

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
جامعة الشاذلي بن جديد - الطارف
كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية



مجلة التميز الفكري

للعلوم الاجتماعية والعلوم الانسانية

مجلة علمية دولية دورية محكمة في العلوم الاجتماعية والعلوم الانسانية

الترقيم الدولي 7080-2661

العدد الثالث

جانفي 2020

مجلة التميز الفكري للعلوم الاجتماعية والعلوم الانسانية

مجلة علمية دولية دورية محكمة

تصدر عن كلية العلوم الانسانية و الاجتماعية

قسم علم الاجتماع

جامعة الشاذلي بن جديد -الطارف

ردود: 2661-7080

العدد الثالث

جانفي 2020

العنوان : مجلة التمير الفكري للعلوم الاجتماعية والعلوم الإنسانية
تصدره : كلية العلوم الاجتماعية و العلوم الإنسانية
قسم علم الاجتماع
جامعة الشاذلي به جديد - الطارف
ردده : ISSN- 2661 - 7080
الطبعة : سوهام للنشر والتوزيع
الحجم : 24 x17
العدد الثالث : جانفي 2020
عدد الصفحات : 172

جميع الحقوق محفوظة

العنوان: حي فيلاي ع (د) رقم 4 قسنطينة - الجزائر

هاتف / فاكس: 00213 31.92.24.69

البريد الالكتروني: souhemediton@yahoo.fr



المدير الشرفي للمجلة

أ.د / عبد المالك باش خزناجي

مدير جامعة الشاذلي بن جديد - الطارف

مدير المجلة:

د / تريكي حسان

عميد كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية لجامعة الشاذلي بن جديد - الطارف

رئيس التحرير:

د. حربي سميرة

نائب رئيس التحرير:

د. هامل مهدية

أمانة المجلة:

السيدة : صبرينة فزاروي السيد: عيسى معلم

هيئة التحرير

د. إدريس لعبيدي	د. بوخاري أم هاني	د. بن حمزة حورية
د. بلبل كريم	د. عواطف عطيل	د. عيادي نادية

أعضاء الهيئة العلمية والاستشارية (داخل الوطن ومن خارجه)

العضو	الجامعة	العضو	الجامعة
أ.د. مريوحة بولحبال نوار	جامعة عنابة	أ.د. طارق هاشم خميس	جامعة تكريت - العراق
أ.د. فيلاي عبد السلام	جامعة عنابة	أ.د. حمزة عبد الكريم	جامعة اليرموك
أ.د. قرزيز محمود	جامعة برج بوعرييج	الريابعية	الأردن
أ.د. شايب قدارة	جامعة قالمة	أ.د. خلف الطروانة	جامعة مؤتة الأردن
أ.د. ساسي سفيان	جامعة الطارف	أ.د. راضية بوزيان	جامعة الطارف
أ.د. غريب مونية	جامعة الطارف	أ.د. رتيحي فضيل	جامعة البليدة
د. سالي محمود عبد الحي	جامعة عين شمس مصر	أ.د. نوبصر بلقاسم	جامعة سطيف
د. رحاب فايز أحمد سيد	جامعة بني سويف مصر	أ.د. إسماعيل قيرة	جامعة 20 أوت سكيكدة
أ.د. الياس شرفة		أ.د. حسان ميراني	جامعة عنابة
د. إسماعيل التميم	جامعة ليل فرنسا	أ.د. منصور فؤاد	جامعة عنابة
أ.د. بن تروش عماد	جامعة الطارف	أ.د. العمارة بوجمعة	جامعة برج بوعرييج
أ.د. أحمان لبني	جامعة باتنة	أ.د. العقبي الأزهر	جامعة بسكرة
د. عبد الحليم بلوهم	جامعة قالمة	د. الزهراء فضلون	جامعة أم البواقي
د. حمزة عبد الكريم الرباعه	جامعة اليرموك	د. خالد الحبشي	المعهد العالي للتوثيق تونس
د. هالة دغمان	جامعة سكيكدة		
د. نادية ملياني	جامعة عنابة	د. ربا البطاينة	جامعة اليرموك الأردن
د. حاج كولة	جامعة برج بوعرييج	د. أمين أعزان	جامعة مولاي اسماعيل المغرب
د. ملاس حسنية	جامعة بالطارف		
د. بوغراف حنان	جامعة الطارف	د. عمر الربيع	جامعة نيوشاتل سويسرا
د. منصف القابسي	جامعة صفاقس تونس	د. سرار عائشة	جامعة باتنة
د. فريد سمير	جامعة فالمة	د. زنقوتي فوزية	جامعة فالمة
د. عثمان مريم	جامعة الطارف	د. أمينة عبد الله سالم على	جامعة حلوان مصر

د. زيتوني عائشة بية	جامعة عنابة	د. سوهايم بادي	جامعة تبسة
د. سامية بادي	جامعة برج بربوعريج	د. سريطعي مراد	جامعة الطارف
د. زويتي سارة	جامعة الطارف	د. قودة عزيز	جامعة ورقلة
د. بوالشرش نور الدين	جامعة عنابة	د. لمين هماش	جامعة الطارف
د. علوي نجاة	جامعة سطيف	د. أمال قواجلية	جامعة البويرة
د. بن وهيبة نورة	جامعة الطارف	د. حريرية عتيقة	جامعة الجزائر 2
د. بلصوار سهيلة	جامعة عنابة	د. عرعار أنس	جامعة باتنة
د. فوزي نوار	جامعة الطارف	د. يحيواوي مريم	جامعة باتنة 1
د. بوشلاغم هند	جامعة عنابة	د. عليوات سميحة	جامعة عنابة
د. مقدم سعاد	جامعة الطارف	د. يونس سمير	جامعة الطارف
د. بن حليلة عمر	جامعة الطارف	د. العمري وفاء	جامعة الطارف

التعريف بالمجلة وأهدافها:

"مجلة التميز الفكري للعلوم الاجتماعية والانسانية" هي مجلة علمية محكمة تصدر عن كلية العلوم الاجتماعية والانسانية بجامعة الشاذلي بن جديد - الطارف، يتولى التحكيم نخبة من الأساتذة المختصين والباحثين من مختلف التخصصات العلمية، داخل وخارج الوطن، وهيئة تتشكل دوريا في كل عدد.

وتسعى المجلة إلى تحقيق جملة الاهداف التالية:

- تنمية مجال العلوم الاجتماعية والانسانية ودراساتها، بنشر البحوث والدراسات العلمية المحكمة، والمحرة باللغات التالية: العربية، الفرنسية، الانجليزية.

- الحرص على "تميز المادة العلمية لهذه البحوث" وارتباطها بالواقع العربي وبخاصة الجزائري حاضرا ومستقبلا، وكذا الإنتاج العلمي والفكري ضمن مختلف تخصصات العلوم الاجتماعية والعلوم الإنسانية (علم الاجتماع ، علم النفس ، التاريخ ، الفلسفة ، الاعلام والاتصال ، علم المكتبات والتوثيق ...).

- فتح فضاء علمي لتشجيع الباحثين على التميز والانتاج والابداع والاثراء العلمي في مختلف تخصصات العلوم الانسانية والاجتماعية، وتشجيع التواصل الفكري بين مختلف الباحثين داخل الوطن وخارجه .

- تنمية المجتمع من خلال تبيين وتفعيل نتائج البحوث العلمية المنشورة في المجلة، والاستفادة من التجارب الدولية في مختلف مجالات العلوم الانسانية والاجتماعية.

شروط النشر:

يسر مجلة التميز الفكري للعلوم الاجتماعية والإنسانية استقبال ونشر الموضوعات العلمية في التخصصات المذكورة، وتلزم الباحثين التقيد بالشروط التالية:

1- تنشر المجلة الأبحاث والدراسات ذات التميز العلمي والفكري في مجال العلوم الاجتماعية والانسانية وتخضع المقالات الى "التحكيم السري" من ذوي الاختصاص ومن جامعات متنوعة من داخل الوطن وخارجه.

2 - أن تكون المادة المرسله للنشر أصيلة ومتميزة وتقدم الاضافة الجادة للمعرفة العلمية، ولم ترسل للنشر في أي جهة أخرى بإحدى اللغات الثلاث : العربية أو الفرنسية أو الانجليزية. وذلك بكتابة تعهد من طرف المعني بالأمر.

3- أن لا يتجاوز المقال والبحث 20 صفحة، بما في ذلك قائمة المراجع والجداول والملاحق والبيانات التوضيحية، وأن لا تقل عن 12 صفحة.

4- تقبل المقالات باللغة العربية واللغة الانجليزية واللغة الفرنسية على أن يرفق المقال بملخص بلغة البحث ولغة أجنبية، بحيث لا يتجاوز عشرة أسطر مع ضرورة إدراج الكلمات المفتاحية، تحدد بخمسة كلمات على الأكثر.

5- أن يتبع المؤلف الاصول العلمية المتعارف عليها في إعداد وكتابة البحوث وخاصة فيما يتعلق بإثبات مصادر المعلومات وتوثيق الاقتباس والامانة العلمية.

6- تتضمن الورقة الأولى العنوان الكامل للمقال باللغة العربية وترجمة لعنوان المقال باللغة الانجليزية، كما تتضمن اسم الباحث ورتبته العلمية والمؤسسة التابع لها، الهاتف والبريد الالكتروني وملخص باللغة العربية والانجليزية. (حيث لا يزيد عدد أسطر الملخص الواحد عن 10 أسطر بخط 12 SimplifiedArabic للملخص باللغة العربية و 12 Times New Roman للملخص باللغة الانجليزية)

7- تكتب المادة العلمية باللغة العربية بخط نوع SimplifiedArabic مقاسه 14 بمسافة 1.00 بين الأسطر، والعناوين الرئيسية بنفس نوع الخط مقاسه 16 غليط والعناوين الفرعية بنفس نوع الخط مقاسه 14 وبالغليط ، والهوامش بخط SimplifiedArabic حجم 12.

- أما بالنسبة للمادة العلمية باللغة الفرنسية أو اللغة الانجليزية بخط نوع Times New Roman مقاسه 12 بمسافة 1.00 بين الأسطر ، العناوين الرئيسية بنفس نوع الخط غليظ مقاسه 14 ، العناوين الفرعية بنفس نوع الخط غليظ مقاسه 12 .
- 8- هوامش الصفحة أعلى 2.5 وأسفل 2.5 وأيمن 3 وأيسر 3 ، رأس الورقة ، 2 أسفل الورقة 2 حجم الورقة عادي A4 .
- 9-يرقم التمهيش والاحالات بطريقة آلية Not de Fin على أن تعرض في نهاية المقال .
- 10-يرسل الباحث رفقة المادة العلمية في ملف مستقل مختصر لبيان السيرة الذاتية. علما أن المقالات المرسله لا تعاد الى أصحابها سواء نشرت أو لم تنشر.
- 11-يحق لهيئة التحرير إجراء بعض التعديلات الشكلية على المادة المقدمة متى لزم الأمر دون المساس بالموضوع.
- 12-المقالات المنشورة في المجلة لا تعبر إلا عن رأى أصحابها ولا تعكس وجهة نظر المجلة، كل مقال لا تتوفر فيه شروط النشر لا يؤخذ بعين الاعتبار.
- 13-يحق لهيئة التحرير إجراء بعض التعديلات الشكلية على المادة المقدمة متى لزم الأمر دون المساس بالموضوع

المراسلات:

توجه جميع المرسلات الى :

أمانة نيابة عمادة كلية العلوم الانسانية والاجتماعية
جامعة الشاذلي بن جديد -الطارف

أعلى العنوان الالكتروني التالي: revue-tamaiz-f-ssh@univ-eltarf.dz

كلمة رئيس التحرير:

بسم الله الرحمن الرحيم

""الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم ملك يوم الدين إياك نعبد وإياك نستعين اهدينا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين ""

صدق الله العظيم

نحمد الله كثيرا ومن أعماق قلبنا على إصدار العدد الثالث لمجلة "التميز الفكري في العلوم الاجتماعية والإنسانية" لكلية العلوم الاجتماعية والإنسانية الذي خضع إلى مجموعة من التحكيمات للمقالات من طرف نخبة متخصصة من الأساتذة، من داخل الوطن وخارجه، والذين لم يبخلوا بتوجيهاتهم وملاحظاتهم القيمة، لأجل الارتقاء بنوعية الأبحاث العلمية الأكاديمية المقدمة للنشر في هذا العدد.

أتوجه بالشكر الجزيل والامتنان الكبير، لجميع من ساهم من بعيد أو من قريب، في إخراج العدد الثالث للمجلة، ووضعها في شكلها النهائي، كما أتوجه بالشكر إلى السيد عميد كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، الذي وفر كل الإمكانيات والدعم المعنوي، لتسهيل إخراج هذا العدد، دون أن أنسى جميع الأساتذة، وبخاصة الأساتذة أعضاء اللجنة العلمية للمجلة، وكل الذين قدموا يد العون من قريب أو من بعيد، فكل الشكر والتقدير للجميع.

وفي الأخير، نأمل أن تتضافر كل الجهود، في سبيل التميز الفكري، الذي تطمح إليه مجلتنا، كي تسهم في التراكم والبناء المعرفي، وترقية البحث العلمي وإثراءه.

رئيسة التحرير

د.حري سميرة

فهرس

الصفحة	المؤلف	عنوان البحث
30 -15	د. بوخاري أم هاني جامعة الشاذلي بن جديد، الطارف	1. أهمية التعليم العالي في إعداد الرأس المال البشري داخل مجتمع المعرفة.
46 -31	د. بوالشرش نورالدين جامعة عنابة	2. الأسرة الجزائرية و تغير منظومة القيم - قراءة سوسولوجية-
74 -47	د. خيري الرزقي جامعة باتنة 1 الحاج لخضر	3. مسألة الهوية الوطنية الجزائرية والسياسة الاستعمارية الفرنسية في فكر زعماء الحركة الإصلاحية بالجزائر - الشيخ إبراهيم أبو اليقظان نموذجاً - 1926 - 1938
86 -75	د. سميحة عليوات جامعة باجي مختار - عنابة	4. منهج ابن خلدون في الدراسات الاجتماعية
104 -87	فواز عبيدي جامعة محمد البشير الإبراهيمي - برج بوعريبيج محمد ذيب جامعة حمه لخضر - الوادي	5. تجليات العنف الرياضي في الملاعب الجزائرية وآليات العلاج - دراسة تحليلية-
124 -105	أ.د. سيف الإسلام شوية الأستاذ حمدان مداح جامعة باجي مختار - عنابة	6. القيم الأسرية بين التغير والثبات في المدن الجديدة دراسة حالة لعينة من قاطني مدينة ذراع الريش . عنابة
144 -125	طالبة دكتورا/أفراح ملياني أ.د. إلياس شرفة جامعة الشاذلي بن جديد الطارف	7. إشكاليات الفعل النقابي في الجزائر إتجاه المجتمع (رؤية تحليلية)
172 -145	د. صابور شويفر مختارية جامعة محمد بن أحمد - وهران د. حجام العربي جامعة الشاذلي بن جديد - الطارف	8. التحولات الديموغرافية وعلاقتها بالصحة في الجزائر

أهمية التعليم العالي في إعداد الرأس المال البشري

داخل مجتمع المعرفة

The importance of higher education in preparing human capital

د. بوخاري أم هاني

قسم علم الاجتماع - أستاذة محاضرة - أ -
جامعة الشاذلي بن جديد، الطارف، الجزائر

الملخص:

إن الإهتمام بالتعليم يعتمد بشكل كبير على إتاحة المعلومات والإستخدام الصحيح لها وينطوي تحت ذلك البرامج التعليمية والتعليم عن بعد والمكتبات المتطورة والتكنولوجيا الحديثة... مما يؤدي في الأخير إلى قفزة نوعية في التعليم والبحث العلمي وتحقيق في التنمية الإنسانية.

وفي إطار التحول إلى مجتمعات المعرفة أصبحت مؤسسات التعليم العالي والبحث العلمي بمثابة المعول الذي يغذي المجتمع بالكفاءات اللازمة التي ترفع من قيمة السلع من خلال المعرفة التي يكتسبها ويطورها الفرد مدى الحياة، هذه الكفاءات تعرف بالرأسمال البشري، وهو موضوع هذه الدراسة التي تبحث في دور التعليم العالي في إعداد الرأسمال البشري ومجتمع المعرفة.

الكلمات المفتاحية: التعليم العالي، رأس المال البشري، مجتمع المعرفة.

Abstract:

The development of education, science and culture depends mainly on the correct use of information and communication tools, which is reflected in educational programs, distance education, advanced libraries and modern technology and lead to a qualitative leap in education, scientific research and human development.

As part of the transformation to knowledge societies, higher education and scientific research institutions have become the dependents that feed the society with the necessary competencies that increase the value of work through the knowledge acquired and developed for life. Preparation of human capital and the knowledge society.

key words : Higher Education, Human Capital, Knowledge Society.

مقدمة:

إن التحولات الاقتصادية التي يشهدها العالم اليوم تدين بشكل أساسي للدور الريادي الذي تلعبه المعرفة في تحقيق النمو والتطور وقدرة المؤسسات والحكومات على المنافسة، وإن الإهتمام بالمعرفة وتوظيفها لخلق القيمة المضافة صارت من سمات المجتمعات القائمة على إقتصاد المعرفة، وتشير الدراسات إلى وجود العديد من العوامل التي تعمل على تشكيلها بعيدا عن العنصر المادي ومن أهمها ما يعرف بالأسمال البشري وما يملكه من قدرات ومهارات من شأنها أن ترفع من إنتاجية المؤسسة وتخلق لديها إستراتيجية للمنافسة والبقاء داخل مجتمعات المعتمدة على المعرفة، وعليه جاءت هذه الدراسة التي نحاول من خلالها التعرف على :

✓ دور مؤسسات التعليم العالي في إنتاج الأسمال البشري الداعم لبناء مجتمع المعرفة.

✓ أهمية الأسمال البشري للفرد وللمنظمة وللمجتمع

وبناء على هذه الأهداف تبلور لدينا: التساؤل التالي:

كيف يساهم التعليم العالي في إعداد الأسمال البشري، كأحد الركائز الأساسية لمجتمع المعرفة؟

أولا) تحديد المفاهيم:

قبل التعرض لدراسة الإشكالية الخاصة بهذه الدراسة يتوجب علينا شرح أهم المفاهيم المكونة لها.

1. مفهوم التعليم العالي:

يعرف التعليم العالي بأنه "أحد الوسائل الأساسية لإكساب الطالب المعرفة والمعلومات والتفكير العلمي والبحث وتكوين الاتجاهات الايجابية وتنمية قدراته على الانتقاء والاختيار في مواجهة هذا الانفجار المعرفي والتقدم العلمي، لأنه بذلك يساهم في تكوين أو خلق مجتمع المعرفة، أو على الأقل التحول إلى مجتمع المعرفة، لأن الهدف في النهاية ينبغي أن يكون إيجاد أفراد متعلمين قادرين على التعامل مع المعارف والمعلومات التي يتلقونها بنوع من التفكير المستقل والإبداع والتركيز على العمل الذهني وتعميقه"¹.

2. مفهوم مجتمع المعرفة:

إن مفهوم مجتمع المعرفة يعد من بين المفاهيم الحديثة التي مازالت تتبلور شيئاً فشيئاً بغرض تحديد مفهومه وتبيان أهم معالم هذا المجتمع الاقتصادي الجديد ومن أبرز المفاهيم نجد التعريف الوارد في تقرير التنمية الإنسانية العربية لسنة 2003 :
"أنه ذلك المجتمع الذي يقوم أساساً بنشر المعرفة وإنتاجها وتوظيفها بكفاءة في جميع مجالات النشاط المجتمعي: الاقتصاد، والمجتمع المدني، والسياسة، والحياة الخاصة، وصولاً إلى ترقية الحالة الإنسانية بإطراد، أي إقامة التنمية الإنسانية"².
ويشير نفس التقرير إلى تحديد مفهوم مجتمع المعرفة من المنظور الاقتصادي بأنه يتمثل في تأسيس نمط إنتاج المعرفة عوضاً عن هيمنة الإنتاج الريعي الذي تشتق القيمة الاقتصادية فيه أساساً من استنضاب المواد الخام وهو ما حاصل داخل أغلب البلدان العربية³.
إن إقتصاد المعرفة يعني النمو الاقتصادي القائم على المعرفة والذي يعم بالفائدة على باقي القطاعات وتمسها بالتنمية، ويمكن تقديم التعريف التالي لإقتصاد المعرفة:

3. مفهوم إقتصاد المعرفة:

إن مفهوم إقتصاد المعرفة يعبر عن الإطار الضيق لمفهوم مجتمع المعرفة حيث أنه يأخذ بالدراسة والإهتمام البعد الاقتصادي لأهم العمليات المكونة للإقتصاد القائم على المعرفة وحسب منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية (OCDE) فهو "الاقتصاد المبني بشكل مباشر على إنتاج ونشر وإستخدام المعارف والمعلومات في الأنشطة الإنتاجية والخدمية المختلفة على الهياكل الاقتصادية"⁴.

أما البنك الدولي فيعرفه على أنه : الاقتصاد الذي يقوم على الإستخدام الفعال للمعرفة من أجل تحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية، والذي يؤدي إلى إستقطاب المعارف الأجنبية"⁵.

4. مفهوم رأس المال الفكري (المعرفة):

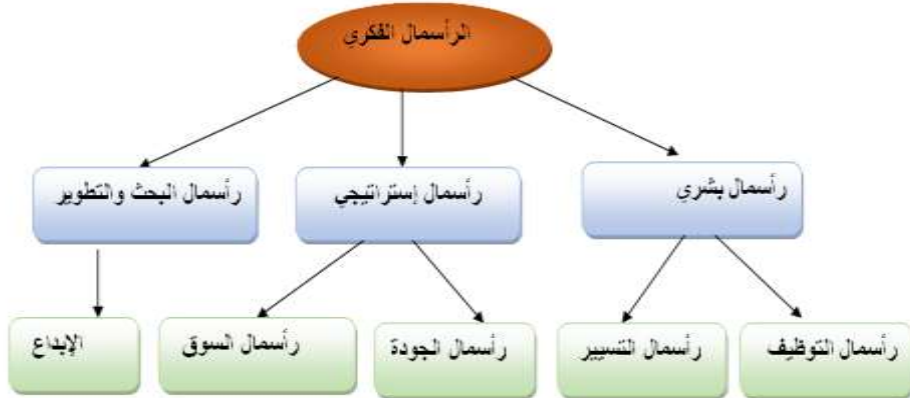
ويعتبر النمو الإقتصادي حاليا تراكم للمعرفة أكثر منه تراكما للرأسمال المادي، وفي دول منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية على سبيل المثال تتعادل نسبة الإستثمار في القيم المعنوية غير الملموسة والمتمثلة في البحث والتطوير والتقانة والبرمجيات الحاسوبية مع الإستثمار في التجهيزات المادية، وتزيد في دول أخرى، وتضع بعض الشركات المهتمة بالإستثمار المعرفي ثلث استثماراتها في القيم المعنوية القائمة على المعرفة كالتدريب والبحث والتطوير وبراءات الإختراع وشهادات الترخيص والتصميم والتسويق⁶.

وحتى نتمكن من فهم أكثر لمكونات للرأسمال الفكري نقدم التصنيفات التالية: Malhorta2003

حيث يقسمها إلى:

- ✓ رأس مال الزبوني.
- ✓ رأس مال العملية.
- ✓ رأس المال البشري .
- ✓ رأس مال التجديد والتطوير.⁷

وهناك تصنيف ثان قدمته (IFAC 1997) ممثلا في الشكل التالي يعبر عن تصور المستعملين للرأسمال الفكري:



الشكل رقم 1: يبين مكونات الرأسمال الفكري حسب (IFAC)¹ ⁸

1 الفيدرالية الدولية للمحاسبين: Fédération internationale des comptables

ومنه يمكن أن نستنتج أن الرأس مال البشري هو أحد مكونات الرأس مال الفكري والذي نحاول شرحه من خلال المفاهيم التالية.

5. مفهوم الرأس مال البشري:

الرأس مال البشري ظهر كمصطلح منذ أوائل الستينيات من القرن العشرين وظهر ذلك في كتابات شولتز سنة 1961م وبيكر 1964م، وهناك من يرجع بدايات الإهتمام بالرأس مال البشري إلى آدم سميث في القرن الثامن عشر.

وجاء تعريف رأس المال البشري في قاموس أوكسفورد الإنجليزي بأنه "المهارات التي تمتلكها القوى العاملة والتي تعتبر موردا أو أصول" وهو يشمل بذلك فكرة أن هناك استثمارا في الأشخاص (مثل التعليم والتدريب والصحة) وأن هذه الاستثمارات تزيد إنتاجية الفرد⁹.

كما ورد مفهوم الرأس مال البشري حسب منظمة التعاون والتنمية الاقتصادية OCDE في نطاقه الواسع على أنه مجموع المعارف والمؤهلات والمهارات والخصائص الفردية التي من شأنها أن تسهل عملية الإبداع لأجل الرفاه الشخصي، والإجتماعي، والإقتصادي. أما المفهوم الضيق له - أي في سياقه الاقتصادي داخل المنظمات- فيعني مجموع المعارف والمهارات التي يحركها الفرد لأجل إنتاج السلع والخدمات¹⁰.

وعليه فرأس المال البشري هو المعرفة والمهارات والإمكانيات والقدرات والصفات والخصائص المختلفة الكامنة في الأفراد، ولها تأثير على النشاط الاقتصادي، ويركز رأس المال البشري بالإضافة إلى المهارات والقدرات والخصائص إلى القدرة على إستخدام الأفراد لكل ما تعلموه ويمتلكونه في مخرجات إقتصادية¹¹.

وتعمل الدول الغنية على جذب أفضل الكفاءات العالية عالميا تعليما وتدريباً وإحتفاظ بها، وتوفير بيئة ملائمة للعمل وتوفير التسهيلات والإمتيازات ومن بينها: تنشيط حركة البحث والتطوير ودعمها بالإمكانيات المادية والبشرية، وزيادة الإستثمار في البحث والتطوير لتصل إلى 100 % في أستراليا على سبيل المثال¹².

ثانياً) خصائص الرأس مال البشري في مجتمع المعرفة:

يشتمل الرأس مال البشري الذي يعول عليه داخل المنظمات التي تساهم في بناء إقتصاد الدول على مجموعة من الخصائص تتمثل أساسا في:

- ✓ القدرة على إتقاط المعلومات وتحويلها إلى معرفة قابلة للإستخدام.
- ✓ القدرة على التعامل مع تقنية المعلومات -المعتمدة على الحاسوب- واستغلالها في العمل.
- ✓ القدرة على التعاون والعمل ضمن فريق، وإتقان مهارات الإتصال اللفظية والكتابية والإفتراضية.
- ✓ إتقان أكثر من لغة للسماح بالعمل في بيئة عالمية.
- ✓ القدرة على تحديد الحاجات والرغبات الفريدة الخاصة بالمستهلكين أي التنبؤ بها، فالمنتجات ذات الخصائص الموحدة لا تناسب الجميع.
- ✓ القدرة على التحرك بسرعة والتغير بسرعة والتأقلم مع الإحتياجات الجديدة واتخاذ الإجراءات اللازمة إتجاهها¹³.

ثالثاً) أهمية التعليم العالي للراأسمال البشري في مجتمع المعرفة:

إن الإطار النظري الذي يحدد العلاقة بين الإقتصاد والمجتمع والتعليم العالي كان ومازال بالنسبة لمتخذي القرار السياسي من التساؤلات الكبيرة التي لم تتضح الرؤية إتجاهها في العديد من الدول، وأشار ألدريش Aldrich " أن الرؤية التاريخية تبين درجة التعقيد الموجودة بين التعليم والأداء الاقتصادي"¹⁴.

وفي عصر المعرفة يعتبر العنصر البشري من أهم عناصر الإنتاج فهو غاية التنمية من جهة وهو الوسيلة في الوقت نفسه، فهو المسؤول على ترجمة خطط التنمية وتجسيدها على أرض الواقع في سبيل تحقيق التنمية الإجتماعية والإقتصادية...، ويُنظر له على أنه المورد الإستراتيجي الذي يصعب تقليده أو نسخه خارج مؤسساتهم، وبينت التجارب أن الدول التي تتوفر بها كفاءات علمية متطورة تسجل تطورا أسرع كسنغفورة والهند وماليزا حيث سمح الإستثمار لديها في التعليم العالي بضمان عوائد إقتصادية على المدى المتوسط والبعيد¹⁵.

وتساهم مؤسسات التعليم العالي في تزويد المجتمع ومؤسساته بالكفاءات العالية الماهرة من خلال التكوين العالي النوعية لتصبح مخرجاتها أكثر قبولا. حيث أن الإستثمار في الأشخاص قصد تحسين تعليمهم له عوائد حقيقة على الأشخاص بعد ذاتهم من جهة وللمؤسسات وللمجتمع الذي يتواجدون داخله، حيث يشير تيودور تشيلز أن هناك علاقة واضحة بين الصحة والتعليم والنمو الاقتصادي حيث أن النمو الاقتصادي يقوم على وجود مجتمعات

نشطة وتملك مستوى جيد من التعليم¹⁶. فالتعليم يسمح للأشخاص بأداء مهام أكثر تعقيدا وبأفضل الرواتب وفي نفس الوقت يشجعهم ذلك على مواصلة دارستهم – التدريب والتكوين المستمر- كما أن الوقت الطويل الذي يمضيه الأشخاص في التعليم دون الحصول على رواتب في فترة ما يعوض في نهاية المطاف بعمل يكافئ الجهد المبذول خلال فترة التعليم¹⁷. إن فائدة التعليم بالنسبة للرأسمال البشري يمكن النظر إليه من زاويتين سواء على المستوى الشخصي أو الاقتصاد القومي، حيث يمكن للأشخاص مقارنة فوائد التعليم والدخل المرتفع من حيث التكاليف المدفوعة للحصول لأجل تكوين رأسمال البشري وتتضمن تكاليف التعليم في جميع المراحل، وينطبق نفس القول على الدول فبقدر ما يكون هناك إستثمار للدول في التعليم بقدر ما تكون العوائد الممثلة في السلع أو الخدمات التي يقدمها الرأسمال البشري¹⁸. وتؤكد منظمة اليونسكو ومنظمة العمل من خلال التقارير التي تنشرها (2003) على أن تنميته التعليم ولاسيما في المراحل المتقدمة تتجلى في النقاط التالية:

- ✓ تقديم فرص التعليم العالي والتدريب المهني المتميز لأكبر عدد ممكن لأفراد المجتمع بضمان تحصيل علمي ومهني أكثر كفاية ما يؤدي إلى زيادة المبدعين وقدرتهم على الابتكار والإختراع.
- ✓ فتح مجالات الإبداع والإبتكار أمام الطلبة والأساتذة والفنيين بالجماعات ومراكز التدريب والبحث والمعاهد وتنمية روح العمل الجماعي.
- ✓ تأكيد على أهمية التداخل والتكامل بين العلوم والتخصصات، لتطوير المعرفة في المجالات الجديدة كأنظمة التخيل والمحاكاة¹⁹.
- ✓ تزيد من فرص التبادل التجاري لذلك لابد أن يتم إعداد الرأسمال الفكري القادر على المنافسة العلمية.
- ✓ تطبيق ضمان الجودة لمعرفة مواطن القوة والضعف، وتقييم مستويات الخريجين، والمساعدة في التخطيط وتوجيه الموارد المالية نحو أفضل البرامج وربطها بسوق العمل
- ✓ رفع مهارات العاملين وزيادة قدراتهم.
- ✓ تقوية الولاء للمؤسسة.
- ✓ تطوير المركز التنافسي للمؤسسة التعليمية.

وهو الأمر الذي يؤدي إلى تحسين الأداء في جميع المجالات²⁰.

رابعاً) أهمية الرأسمال البشري الخلاق في مجتمع المعرفة:

تزداد أهمية الرأسمال البشري الخلاق في إقتصاد المعرفة نظراً للحاجة الماسة له داخل المؤسسات والمجتمع لكون:

✓ وجود منافسة شديدة تتسم بها سوق إقتصاد المعرفة لاسيما في ظل العولمة الكتمركزة إقتصادياً.

✓ قصر عمر منتجات إقتصاد المعرفة بسبب تسارع ظهور أنواع أفضل للمنتجات المنافسة بتصميمات إبتكارية.

✓ البعد الثقافي والإجتماعي... الخ لمنتجات إقتصاد المعرفة التي تتطلب ابداعاً يأخذ هذه الأبعاد بعين الإعتبار حتى يسهل تسويقها خارج موطنها الأصلي.

✓ التحول إلى مؤسسات ذكية قادرة على التعلم من خلال حشد الطاقات الإبداعية لعمالها.

✓ تقاس قدرة المجتمعات برأس مالها البشري وقدرتها على استغلال ذكاء أفرادها وجماعاتها ومؤسساتها في ذكاء جمعي قادر على التفكير الخلاق ونظراً للتسارع في الإنتاج والتغيرات التي تطرا عليه من حين إلى آخر مما يخلق صراعاً بين الطبقات والمصالح...، أصبح لزاماً على مكونات المجتمع أن تتكيف بسرعة مع المستجدات حتى لا تتعرض للإستبعاد والإقصاء²¹.

خامساً) الإنفاق على التعليم العالي وأثره على الرأسمال البشري:

إن الإهتمام بالتربية والتعليم يكرس لرفع دعائم مجتمع المعرفة حيث يقتضي أن يقوم النظام التربوي على سهولة الحصول على المعلومات ونشرها وإنتاج المعرفة وتوظيفها ونقل المعرفة وتسويقها عبر الشبكات مما يسمح بتكون إقتصاد المعرفة²². والإهتمام بالتربية والتعليم وإعتبارها رافداً من روافد التنمية الاقتصادية، ويعتبر الإنفاق على التعليم في جميع مستوياته مؤشراً قوياً على مدى التزام الدول على الاستثمار في الرأسمال البشري منذ المراحل الأولى من التعليم، وتشير الإحصائيات المتعلقة بدول منظمة التعاون والتنمية الاقتصادية (OCDE) إلى أن الإهتمام الذي توليه هذه الدول للتعليم كبير جداً حيث نجد أن متوسط الإنفاق على التلميذ

أو الطالب الواحد في هذه الدول يصل إلى 4 آلاف دولار في الإبتدائي، و500 ألف في المرحلة الأولى من الثانوي و600 ألف في المرحلة الثانية من الثانوي و900 ألف في مرحلة التعليم العالي²³. وهو يعتبر مؤشرا قويا على درجة الاهتمام بهذا القطاع داخل دول المنظمة. ويشمل الإهتمام الإنفاق على التعليم العالي من تعليم وتدريب للمورد البشري الذي من شأنه أن يعزز مصالح الأفراد داخل المنظمات والمجتمع وتحول مرحلة التعليم العالي الأفراد إلى مواطنين صالحين ومسلحين بالمعرفة ما يدعم التنمية الاقتصادية ويجعل الأفراد أكثر إنتاجا وإبداعا وقدرة على المنافسة. ويتميز التعليم العالي بكونه يقدم خدمات تعليمية تخصصية تتميز بارتباطها المباشر بخطط التنمية الوطنية وتسعى إلى خدمة التنمية وذلك بتزويدها بالموارد البشرية القادرة على إدارة عملياتها بصورة واعية تؤدي إلى الوصول إلى غاياتها²⁴. ويوضح الجدول التالي بين نسبة الإنفاق على البحث والتطوير لدى بعض الدول المتقدمة ما يبرر الدور الريادي الذي يلعبه هذا الأخير في التنمية الاقتصادية.

الجدول رقم 1: الإنفاق الإجمالي المحلي على البحث والتطوير من نسبة الناتج المحلي الإجمالي لبعض دول منظمة التعاون الإقتصادي²⁵

اليابان	الولايات المتحدة الأمريكية	فرنسا	ألمانيا	
2,92	2,51	2,29	2,9	1995
3,04	2,69	2,15	2,47	2000
3,32	2,56	2,11	2,51	2005
3,45	2,79	2,26	2,82	2010

سادسا) مؤشرات إفادة مجتمع المعرفة من مخرجات التعليم العالي (الرأسمال البشري):

توجد مجموعة من المؤشرات التي يمكن إعتادها لمعرفة أهمية التعليم العالي وجودته في تشكل الرأسمال البشري داخل إقتصاد المجتمع من خلال تبيان وتفسير العلاقة بين مخرجات التعليم العالي الجيد والتقدم الاقتصادي حيث نجد:

- ✓ تأثر التقدم الاقتصادي يتعلق بنوع التعليم وجودته.
- ✓ تأثر إنتاجية الفرد بمقدار التعليم الذي حصل عليه ونوعيته.
- ✓ تقدم أي دولة في مجتمع المعرفة يتوقف على قيمة المعارف (مؤلفات، براءات إختراع...)
فيها.
- ✓ قيمة أي منتج أي السلع اليوم تحدد بقيمة مكون المعرفة فيه (التراخيص).
- ✓ الطاقة العاملة المؤهلة الخيرة مفتاح التنمية الاقتصادية والاجتماعية.
- ✓ مؤسسات التعليم العالي ترفع من قدرة الأفراد على التكيف مع متغيرات النمو الاقتصادي (التعليم، التدريب، التكوين المستمر).
- ✓ تطوير أساليب البحث العلمي وتوظيف نتاجاته (المنظمات).
- ✓ القدرة على تنمية المناطق الأقل حظا ونمو وتحقيق تكافؤ الفرص.
- ✓ تهيئة المواطن الأرفع ثقافة والأكثر قدرة على المنافسة داخل مجتمع المعرفة.
- ✓ إتاحة الفرصة للأفراد لاكتشاف طاقاتهم الكامنة وتنميتها وتوظيفها²⁶.

سابعا) الفجوة بين أهداف التعليم العالي وتشكل الرأسمال البشري:

إن الاهتمام بالتعليم العالي لأجل تحقيق التنمية للمجتمع ينبغي أن ينطلق من نظرة واقعية للمجتمع بحيث تشخص وضعه الحالي وتبين أهم نقائصه من جهة وميزاته من جهة أخرى حتى تكون الخطط واضحة وسهلة من حيث التطبيق. وعليه يكون تكوين الإطارات القادرة على أداء مهامها داخل مؤسسات المجتمع فالمهن تتغير بوتيرة متسارعة داخل مجتمعات المعرفة وعلى مؤسسات التعليم أن تتماشى وتلك المتغيرات حتى يكونوا قادرين على إدارة الأعمال المنوطة بهم بجودة وإتقان عاليين، وجاء في تقرير التنمية الإنسانية العربية (2003) أن نوعية التعليم العالي في الدول العربية تتأثر بعوامل كثيرة أهمها عدم وضوح الرؤية وغياب سياسات واضحة تتحكم في العملية التعليمية، حيث نجد بعض الجامعات يسرها المنطق السياسي²⁷. بحيث تكون هناك قطيعة بين الخطط وواقع تلك الدول. بحيث يفقد أهدافه وغاياته المتمثلة في بناء جيل مؤهل. ويلاحظ نفس التقرير أن هناك إرتفاعا كبيرا في عدد المنتسبين للتعليم العالي غير أن هناك إنخفاضا كبيرا في إختصاصات العلوم والتقنية من باحثين وفنيين -تقنيين- وهذا الوضع يعد مؤثرا في إطار مساعي الدول لبناء قدرة بشرية متوازنة في مجال العلوم التقنية، وأن هناك تركيز على الكمية بدلا من النوعية، وأن العرض يفوق الطلب²⁸. وهو الأمر الذي يؤدي إلى

انتشار البطالة لليد العاملة المؤهلة في قطاعات لا يوجد فيها عجزا مما يؤدي إلى عدم التوازن في خريجي الجامعات بما يوافق إحتياجات سوق العمل. ناهيك عن غياب النوعية في التعليم في باقي التخصصات.

ولا ينبغي على مؤسسات التعليم العالي الإكتفاء بالتعليم في مرحلة الدراسة والحصول على الشهادة بل ينبغي أن تحرص على التدريب في مرحلة با بعد التخرج وتقييم مخرجاتها بإستمرار بما يتناسب وإحتياجات المنظمات الموجودة وان تمتلك نظرة إستشرافية لأوضع برامج تعليمية تواكب الرؤية المستقبلية للتطور.

وعلى الدول العربية أن تحرص على التعليم الأصيل الذي يستمد مناهجه من القرآن الكريم وعلوم الشريعة واللغة العربية، وإعادة تنظيمه تنظيم هيكلي وتنظيم مناهجه وتدريب العاملين فيه وضبطه مهنيا حتى تضبط جودته النوعية وتحسن كفاية مخرجاته²⁹.

ويشكل موضوع هجرة العقول هدرا حقيقيا للمؤسسات التعليم العالي الأم فهو يقف عايقا أما عامل توطين العرفة والذي يعد مطلبا رئيسيا في مجتمع المعرفة حيث تؤدي الأوضاع الاقتصادية والإجتماعية والسياسية وغياب التمكين وتقدير الذات... إلى تحفيز خريجي التعليم العالي للبحث عن وضع أفضل لهم لدى دول أجنبية، كما تساهم الشركات المتعددة الجنسيات من جهتها في تهميش دور مؤسسات التعليم العالي في الإفادة من الطاقات المحلية وتوطين المعرفة حيث تؤدي دورا بارزا في ظاهرة هجرة العقول من دول الجنوب من خلال سعيها الدائم للحفاظ على وضعها المتميز عالميا تنفق هذه الشركات أموالا هائلة لتنفرد بالبحث والتطوير وبراءات الإختراع والشهادات، وتستغل هذه الشركات مواردها في وضع الطاقة البحثية للجامعات ومراكز البحوث في خدمة مصالحها عن طريق عقود البحث. وتشير الإحصائيات أن ما تنفقه الشركات المتعددة الجنسيات يفوق كل ما تنفقه الدول الرأسمالية على البحث والتطوير، كما أشارت له منظمة التنمية والتعاون الاقتصادي (OCDE)³⁰.

خلاصة:

تكشف الأبحاث والدراسات ولاسيما التقارير التي تنشرها المنظمات الدولية الموثوقة إلى الأهمية الكبيرة التي يحتلها الاهتمام بالتعليم العالي في بناء إقتصاديات الدول ويتجلى هذا الدور في المخرجات-الرأسمال البشري- التي تعتبر موردا رئيسيا بالنسبة لمؤسسات المجتمع ولا غنى عنها في أداء مهامها وتحقيق الميزة التنافسية وإدارة التغيير، بل وتساهم هذه المؤسسات في صقله عن طريق التدريب والتكوين المستمر، كما يعتبر الإنفاق على قطاع التعليم العالي بغرض التكوين أو القيام بالبحث والتطوير مؤشرا قويا لتقدم المجتمعات القائمة على إقتصاد المعرفة وبالنسبة للمجتمعات العربية لازالت السياسات غير واضحة في هذا المجال ويعتبر القطاع العلمي التقني أقل حظا من ناحية مخرجاته وهو ما أدى إلى اللجوء على الرأسمال البشري الأجنبي وجعلها بعيدة عن تحقيق هدف توطين المعرفة .

1) رقاد صليحة: تطبيق نظام الجودة في مؤسسات التعليم العالي الجزائرية- آفاقه ومعوقاته- دراسة ميدانية بمؤسسات الشرق الجزائري، أطروحة دكتوراه العلوم، جامعة سطيف 1، كلية العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير. 2014/2013. ص. 23-24، (على الخط)

<http://www.univ-setif.dz/Tdoctorat/2015/SEG/regad%20saliha.pdf>

- 2) ربيعي مصطفى عليان: إقتصاد المعرفة، دار صفاء، عمان الاردن، 2011، ص. 408.
- 3) المرجع نفسه. ص. 408.
- 4) أحمد علي الحاج محمد: إقتصاد المعرفة وإتجاهات تطوره، دار المسيرة، 2013 عمان، ص، 105
- 5) المرجع نفسه، ص، 105
- 6) سعيد بن حمد الربيعي: التعليم العالي في عصر المعرفة، ط 1، عمان، دار الشروق، 2007، ص، 125 – 126.
- 7) فرحاني لويزة، دور رأس المال الفكري في تحقيق الميزة التنافسية للمؤسسات الاقتصادية في ظل إقتصاد المعرفة دراسة حالة شركة الاسمنت عين التوتة- باتنة أطروحة دكتوراه العلوم،

جامعة محمد خيضر، بسكرة، علوم التسيير تخصص : تنظيم الموارد البشرية. 2016/2015، ص. 71. (على الخط)

http://thesis.univ-biskra.dz/2007/1/gest_d13_2015.pdf

8) السنبل, عبد العزيز بن عبد الله. التربية والتعليم في الوطن العربي على مشارف القرن الحادي والعشرين. الرياض: دار المريخ. 2004. p. 329 330.

8 Lionel Escaffre, **L'offre d'information sur le capital intellectuel**, page consulte le 02/12/2019/, [en ligne],

<https://halshs.archives-ouvertes.fr/halshs-00582774/document>

9) Claudia Goldin, **HumanCapital**, page consulte le 12 /11/2019/, [en ligne],

https://scholar.harvard.edu/files/goldin/files/human_capital_handbook_of_cliometri_cs_0.pdf

10 SIMON BAUDRIER, **L'IMPACT DU CAPITAL HUMAIN ET DU CAPITAL SOCIAL DES PME SUR LES COLLABORATIONS INTERNATIONALES, UNIVERSITÉ DU QUÉBEC**, 2013, P, 24, [En ligne] <http://depot-e.uqtr.ca/7516/1/030826345.pdf>, page

consulte le 12/10/2019.

11) فرعون أمحمد، محمد إليفي: الإستثمار في الرأس مال البشري كمدخل حديث لإدارة الموارد البشرية بالمعرفة، 2017/08/09

امحمد-فرعون-بالمعرفة-البشرية-/-2010/03/uploads/2010/03/-المدخل-البشري-المال-رأس-في-الاستثمار.pdf

12) سعيد بن حمد الربيعي، مرجع سبق ذكره، ص، 126.

13) سعيد بن حمد الربيعي، مرجع سبق ذكره، ص، 228.

14) L'OCDE, **POLITIQUE ET GESTION DE ENSEIGNEMENT SUPERIEUR**, p.13, [En ligne] <https://hal.archives-ouvertes.fr/hal-01423076/document>, page consulte le

20/09/2019 <https://www.cairn.info/revue-politiques-et-gestion-de-l-enseignement-superieur.htm>, p. 13

15) المرجع نفسه، ص، 224-225.

16 OCDE, **Les essentiels de l'OCDE : Le capital humain**,P. 12

<https://www.oecd.org/fr/lesessentiels/38081744.pdf>

17 OCDE, **Les essentiels de l'OCDE : Le capital humain** op cit, p. 31

18 OCDE, **Les essentiels de l'OCDE : Le capital humain** op cit, p. 32

(19) أحمد علي الحاج محمد، مرجع سبق ذكره، ص، 91.

(20) سعيد بن حمد الربيعي. مرجع سبق ذكره، ص، 385 – 386.

(21) نبيل علي، العقل العربي ومجتمع المعرفة مظاهر الأزمة واقتراحات بالحلول، ج 2،

21الصفحة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 2009، ص، 78.

(22) أحمد علي الحاج محمد، مرجع سبق ذكره، ص، 365.

23)Sveinbjörn Blöndal, Simon Field et Nathalie Girouard, **l'investissement en**

capital humain : le rôle de l'enseignement secondaire du 2e cycle et de

l'enseignement supérieur <http://www.oecd.org/fr/economie/travail/18381208.pdf>,

page consulte le 29/10/2019

(24) سعيد بن حمد الربيعي، مرجع سبق ذكره. ص. 229

25) Valentin Railean, Oleg Curbatov, Michel Gay, **Le rôle des université et des**

universitaire dans l'économie de la connaissance, p.57. [En

ligne]<https://hal.archives-ouvertes.fr/hal-01423076/document>. page consulte le

29/09/2019

(26) سعيد بن حمد الربيعي، مرجع سبق ذكره، ص، 169.

(27) المرجع نفسه، ص، 41.

(28) المرجع نفسه، ص، 70.

(29) السنبل عبد العزيز بن عبد الله، التربية والتعليم في الوطن العربي على مشارف القرن

الحادي والعشرين، الرياض، دار المريخ، 2004، ص، 177.

(30) هيفاء عبد الرحمان ياسين التكريتي، آليات العولمة الاقتصادية وأثارها المستقبلية في

الاقتصاد العربي، عمان، دارالحامد، 2009، ص، 368.

قائمة المراجع:

- (1) أحمد علي الحاج محمد: اقتصاد المعرفة وإتجاهات تطويره، دار المسيرة، 2013، عمان، ص، 105
- (2) السنبل، عبد العزيز بن عبد الله. التربية والتعليم في الوطن العربي على مشارف القرن الحادي والعشرين. الرياض: دار المريخ. 2004. p. 329 330
- (3) ربيعي مصطفى عليان: إقتصاد المعرفة، دار صفاء، عمان الاردن، 2011، ص. 408.
- (4) رقاد صليحة: تطبيق نظام الجودة في مؤسسات التعليم العالي الجزائرية- آفاقه ومعوقاته- دراسة ميدانية بمؤسسات الشرق الجزائري، أطروحة دكتوراه العلوم، جامعة سطيف 1، كلية العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير. 2013/2014. ص. 23- 24، (على الخط)
- <http://www.univ-setif.dz/Tdoctorat/2015/SEG/regad%20saliha.pdf>
- (5) سعيد بن حمد الربيعي: التعليم العالي في عصر المعرفة، ط 1، عمان، دار الشروق، 2007، ص، 125 – 126.
- (6) فرحاني لويزة، دور رأس المال الفكري في تحقيق الميزة التنافسية للمؤسسات الاقتصادية في ظل اقتصاد المعرفة دراسة حالة شركة الاسمنت عين التوتة- باتنة أطروحة دكتوراه العلوم، جامعة محمد خيضر، بسكرة، علوم التسيير تخصص : تنظيم الموارد البشرية. 2015/2016، ص. 71. (على الخط)
- http://thesis.univ-biskra.dz/2007/1/gest_d13_2015.pdf
- (7) فرعون أمحمد، محمد إليفي: الإستثمار في الرأسمال البشري كمدخل حديث لإدارة الموارد البشرية بالمعرفة، 2017/08/09
- lefpedia.com/arab/wp-content/uploads/2010/03/الموارد-لإدارة-حديث-كمدخل-البشري-المال-رأس-في-الاستثمار
- (8) نبيل علي، العقل العربي ومجتمع المعرفة مظاهر الأزمة واقتراحات بالحلول، ج 2، الصفاة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 2009، ص، 78.

(9) هيفاء عبد الرحمان ياسين التكريتي، آليات العولمة الاقتصادية وآثارها المستقبلية في الاقتصاد العربي، عمان، دار الحامد، 2009، ص، 368.
المراجع الأجنبية:

11) Lionel Escaffre, **L'offre d'information sur le capital intellectuel**, page consulte le 02/12/2019/, [en ligne],

<https://halshs.archives-ouvertes.fr/halshs-00582774/document>

12) Claudia Goldin, **HumanCapital**, page consulte le 12 /11/2019/, [en ligne],

https://scholar.harvard.edu/files/goldin/files/human_capital_handbook_of_cliometrics_0.pdf

13) SIMON BAUDRIER, **L'IMPACT DU CAPITAL HUMAIN ET DU CAPITAL SOCIAL DES PME SUR LES COLLABORATIONS INTERNATIONALES**, UNIVERSITÉ DU QUÉBEC, 2013, P, 24, [En ligne]

<http://depot-e.uqtr.ca/7516/1/030826345.pdf>, page consulte le 12/10/2019.

14) L'OCDE, **POLITIQUE ET GESTION DE ENSEIGNEMENT SUPERIEUR**, p.13, [En ligne]

<https://hal.archives-ouvertes.fr/hal-01423076/document>. page consulte le 20/09/2019

<https://www.cairn.info/revue-politiques-et-gestion-de-l-enseignement-superieur.htm>, p. 13

15) OCDE, **Les essentiels de l'OCDE : Le capital humain**, P. 12

<https://www.oecd.org/fr/lesessentiels/38081744.pdf>

16) OCDE, **Les essentiels de l'OCDE : Le capital humain** op cit, p. 31

17) OCDE, **Les essentiels de l'OCDE : Le capital humain** op cit, p. 32

18) Sveinbjörn Blöndal, Simon Field et Nathalie Girouard, **l'investissement en capital humain : le rôle de l'enseignement secondaire du 2e cycle et de l'enseignement supérieur**

<http://www.oecd.org/fr/economie/travail/18381208.pdf>, page consulte le 29/10/2019

19) Valentin Railean, Oleg Curbatov, Michel Gay, **Le rôle des université et des universitaire dans l'économie de la connaissance**, p.57. [En ligne]

<https://hal.archives-ouvertes.fr/hal-01423076/document>. page consulte le 29/09/2019

الأسرة الجزائرية و تغير منظومة القيم - قراءة سوسيولوجية-

The Algerian family and changing the value
system Sociological reading-

د. بوالشرش نورالدين

أستاذ محاضر(أ)

قسم علم الاجتماع - جامعة عنابة

الملخص:

ان التغيرات التي عرفتها الأسرة الجزائرية شملت الخصائص والبناء والوظائف وأنماط التفكير والعلاقات الاجتماعية بين مختلف العناصر المشكلة للنسق الأسري، وبالتالي تغير النسق القيمي، حيث تعتبر القيم المحددات الهامة للسلوك الاجتماعي، والأسرة الجزائرية على غرار باقي الأسر في العالم العربي فإنها تسعى للمحافظة على نسقها القيمي وما يحدده من معايير والتزامات يفرضها على أفرادها، لكن بعد التحولات الاجتماعية والاقتصادية ظهر نوع من التغير القيمي أثر على تماسك الأسرة الجزائرية.

الكلمات المفتاحية: الأسرة الجزائرية، منظومة القيم، المجتمع الجزائري

Summary:

The changes that defined the Algerian family included characteristics, construction, functions, patterns of thinking and social relations between the different elements of the family pattern, and consequently the change in the value system, where values are important determinants of social behavior, and the Algerian family, like other families in the Arab world, seeks to maintain its values It is determined by the criteria and obligations imposed on its members, but after the social and economic transformations emerged a kind of values change has affected the cohesion of the Algerian family.

Keywords: Algerian family, value system, Algerian society

مقدمة:

تعتبر الأسرة أهم مقومات الوجود الاجتماعي في المجتمع الجزائري ، وهي النظام الأهم ضمن مؤسسات التنشئة الاجتماعية ، فهي أول من يتولى اعداد الفرد ليكون كائنا اجتماعيا ، اد من خلالها يتم نقل القواعد ومعايير السلوك وتحويل الفرد من كائن بيولوجي الى كائن اجتماعي .فمؤسسة الأسرة هي من يتحكم في نجاح عملية التنشئة الاجتماعية بما تضمنه من علاقات وتفاعل بين أفرادها.

كما تبقى الأسرة على غرار بقية البنى الاجتماعية الأخرى عرضة لعملية التغيير الاجتماعي، فتغير بنيتها ووظائفها هو في الواقع نتاج لعملية التغيير الذي يمسه المجتمع من خلال اقتصاده أو الحياة الاجتماعية والثقافية السائدة فيه ، ما يعني تغير الحياة الأسرية بشكل عام .وبما أن الأسرة كمؤسسة اجتماعية حاملة ومنتجة للقيم فان أي تغيير يمسه بنية ووظيفة الأسرة فانه سيؤثر حتما على نسق القيم المرتبط بها .

فالأسرة الجزائرية تشهد حاليا العديد من الاختلالات في بنيتها ووظيفتها تبعا للتغير الحاصل على مستوى النسق العام للمجتمع، مما يقودنا الى طرح التساؤل التالي: ماهي العوامل المؤدية الى تغير منظومة القيم في الاسرة الجزائرية؟

أولا: ماهية القيم:

تعتبر القيم خاصية من خصائص المجتمع الإنساني، فالإنسان هو موضوع القيم ، حيث تعتبر عملية اجتماعية تختص بالجنس البشري عموما وتشتق أهميتها ووظائفها من طبيعة وجوده في المجتمع ، فلا وجود للمجتمع الإنساني دون قيم، فهما ظاهرتان متماسكتان أشد التماسك ويشبههما كروبير (Kroeber) بأنهما كسطحي الورقة في تلاصقها ، فإذا محونا من أي مجتمع إنساني قيمه ، فإننا بذلك نكون قد سلخنا عنه بشريته، وتشكل دراسة القيم أهمية خاصة ، كونها تمثل الملامح الأساسية لضميز المجتمع ووجدانه ، وفي تشكيل ضمائر أفراد المجتمع ، وهي في هذا السياق تهدف إلى تنظيم السلوك والحفاظ على وحدة الهوية الاجتماعية وتماسكها¹

وبشكل عام تمثل القيم إطارا مرجعيا يحكم تصرفات الفرد والجماعة ، وبالتالي فإن دورها يتمثل في تكوين شخصية الفرد ونسقه المعرفي ، وتشكل الطابع القومي أو الشخصية القومية .وعلى الرغم من أهمية موضوع القيم (values) إلا أنه ظل لفترة طويلة خاضعا للتأملات

الفلسفية التي أحاطته بنوع من الغيبية بعيدا عن الدراسة العلمية الواقعية ، ويعزو البعض تأخر الاهتمام بدراسة القيم إلى الاعتقاد السائد لدى علماء النفس والاجتماع عموما ، أنذاك أنها تقع خارج نطاق الدراسات الأمبريقية التجريبية ، كما أنها لا تخضع للقياس²

وفي بداية الثلاثينات والأربعينات من القرن الماضي أخذ الاهتمام بدراسة القيم ينحو إلى المزيد من الالتزام بالمنهج العلمي ، ولعل الفضل في ذلك يرجع إلى اثنين من علماء النفس هما : ثرستون (thurstone)، وسبرانجر (spranger) واستمر الاهتمام بدراسة القيم تدريجيا داخل مجالات علم النفس والاجتماع عموما لعدد من الأسباب أهمها : أن النظرية الكفاء في تفسير السلوك الإنساني والتنبؤ به يجب أن تتضمن موضوع القيم ، كذلك يمكن من خلال دراسة القيم ، وفي أي مجتمع من المجتمعات تحديد الأيديولوجية أو الفلسفة العامة لهذا المجتمع³.

كما وردت كلمة "قيمة" value في اللاتينية وهي مأخوذة من الأصل اللاتيني valeo ، واستخدمها الفرنسيون في العصر الحديث للإشارة إلى اسم النوع من الفعل "قام" أو وقف أو اعتدل أو انتصب كما استخدم الشعراء هذا المفهوم لإبراز بعض المقومات الخاصة بالشجاعة والكرم⁴ والقيم هي الحكم الذي يصدره الشخص على شيء ما مهتديا بمجموعة من القواعد والمعايير التي وضعها المجتمع الذي يعيش فيه والذي يحدد المرغوب فيه والمرغوب عنه من أنماط السلوك .

وتناول "محمد الجوهري وآخرون" القيم في معجم لغة الحياة اليومية فكلمة قيم "تعني شخص ذو مكانة ويحسن تصرفاته ويعتني بهيئته وهندامه ، وكلمة قيمه سمة تقال للإشارة إلى شخص ذو هيئة وهندام منسجمين وللإشارة إلى شخصية مؤثرة⁵.

ويرى " رالف لينتون " ralf linton "" أن مصطلح القيمة يتضمن عدة معاني تختلف باختلاف السياق أو المجال الذي يستخدم فيه ، وإذا أغفلت الاستخدامات التقنية والفنية للمصطلح في علوم الاقتصاد والرياضيات والفن و... الخ ، ستظل هناك قائمة طويلة من المعاني ، وأشار " لينتون " إلى أكثر معاني القيمة شيوعا وهو أن القيمة هي أي شيء يحمل أي قيمة أو أي شيء إيجابي وطبقا لهذا فإن القيم هي أي شيء يمكن أن يؤثر على قرارات الفرد في مواقف الاختيار⁶.

واعتقد "روبن ويليامز" robin williams " أن القيم تشير إلى الاهتمامات والمطالب والأهداف والحاجات وما يكرهه الناس وما يجذبهم ومختلف الأنواع الأخرى من التوجهات المختارة .

وعرف "كلايد كلاكوهن" clyde klachohn "" القيم بأنها تصور صريح أو ضمني خاص بفرد أو مميز لجماعة عما هو مرغوب فيه ويؤثر على الاختيار من بين البدائل المطروحة من أنماط ووسائل وغايات الفعل ⁷

ويرى "ايكه هولتكرانس" أن القيمة هي الدافع الإيديولوجي الذي يؤثر في أفكار الإنسان وأفعاله كما يرى "مالينوفسكي" أن القيمة هي "ارتباط قوى وحتمي بين الكائن الحي (الإنسان) وبعض الأهداف والمعايير والأشخاص المعنيين الذين يعتبرون وسيلة لإشباع حاجات الكائن الحي ⁸ .

إن التعريفات المشار إليها اتفقت في أن القيم أفكار ، وتصورات وأحكام ودوافع ، وأنها في الغالب تعبر عن شيء إيجابي مرغوب فيه ولها دور في التأثير على قرارات واختيارات الإنسان ، وأنها معايير وقوانين متعارف عليها اجتماعيا أي موضوعة بواسطة المجتمع ، كما تختلف من مجتمع لآخر ومن جماعة لأخرى في ذات المجتمع ، وهي بصفة عامة هي موجبات للسلوك الإنساني ، ولم تشير أي من تعريفات القيم أن هناك قيما سلبية غير مرغوبة ، وان هناك عوامل أخرى بخلاف القيم تؤثر على اختيارات الإنسان كالظروف البيئية والسياسية والاقتصادية... الخ ، فالقيم أحد العوامل المؤثرة في اتخاذ القرارات المتعلقة بأهداف الإنسان والمجتمع عموما ، كما لم تشير التعريفات إلى أن القيم رغم قوتها الاجتماعية وكونها ملزمة بحكم العادة والعرف والتقليد لا بحكم القانون الرسمي ، كما لم تشير التعريفات إلى ما قد يطرأ على القيم من تغير ، باعتبارها تستغرق فترة زمنية طويلة حتى تتغير باعتبارها من عناصر الثقافة المعنوية التي تتغير بمعدل أبطأ من تغير الثقافة المادية كالتيكنولوجيا مثلا ⁹ .

وعليه وضع التعريف الإجرائي التالي : تعبر القيم عن مجموعة من الموجبات والمحددات التي تحكم افراد المجتمع ، وتتعلق أساسا بمجموعة من السلوكات والاعتقادات ، وتحكم علاقة الإنسان بذاته وبالآخر وتنعكس في السلوك العام للمجتمع.

ثانيا: الأسرة الجزائرية كنموذج للتغير الاجتماعي :

تعتبر الأسرة نسقا جزئيا من أنساق المجتمع الكلي أي النسق الأكبر، لذلك فهي تتأثر بما يحدث في المجتمع من تغيرات وتحولات، وبالتالي فإن الحديث عن الأسرة الجزائرية يقودنا إلى التركيز على أبرز التغيرات التي شهدتها المجتمع الجزائري. إن أهم ما يميز المجتمع الجزائري عبر مراحلها التاريخية وجود محطات أثرت على بنيته الاجتماعية كالمرحلة العثمانية و المرحلة الاستعمارية. فالمجتمع الجزائري قبل الاستعمار كان يتكون من مجموعة من القبائل و العشائر وعلى رأس كل قبيلة أو عشيرة شيخ يوقره و يحترمه بقية الأفراد. حيث يقوم الشيخ بتنظيم شؤون القبيلة و يسهر على وجود الاستقرار، ومع دخول الاستعمار أدى إلى حدوث تغيرات على المجتمع حيث حاول الاستعمار محو الهوية الوطنية و تفكيك نظام القبائل لإضعاف علاقات القرابة و قتل الروح الجماعية فأدى ذلك إلى تلاشي الملكية الجماعية و انتشار الملكية الفردية و انتقل المجتمع الجزائري من نظام عشائري إلى نظام عائلي تطغى عليه شكل الأسرة الممتدة¹⁰

يمكن تعريف الأسرة على أنها البيئة الأولى التي تحتضن الطفل بحيث تقوم بغرس العقائد والعادات والتقاليد والقيم والتراث الاجتماعي، وذلك من خلال وظائفها الدينية، الاقتصادية، الاجتماعية والتربوية، فهي مدرسة الفرد الأولى التي يتلقى فيها مبادئ التربية الاجتماعية والسلوك وأداب المحافظة على الحقوق والواجبات، هذا فضلا عن العادات والتقاليد التي تربط بعضهم ببعض، ثم تربطهم بالتالي بالمجتمع الذي يعيشون فيه. وفي حديثه عن تعريف الأسرة وبالأخص عندما يتعلق الأمر بالأسرة العربية يرى "عنصر العياشي" أن هذا التعريف جد معقد ويتطلب دراسة عميقة من أجل تحديد المفهوم ودلالته إذ يجب التفريق بين مفهوم الأسرة ومفهوم العائلة لأن لكل مفهوم دلالاته فالأسرة حسب "طاهر لبيب" أو "هشام شرابي" تشير إلى أصغر وحدة اجتماعية في سلم النسب في حين مصطلح العائلة يشير إلى الجماعة القرابية الكبيرة أو العائلة الممتدة¹¹.

وما يميز المجتمع الجزائري أنه مجتمع لطالما ضم النمطين معا بحيث يمكن ملاحظة تواجد النمط الأسري النووي وكذا الممتد في نفس الحيز الجغرافي، الحضري أو حتي الريفي رغم التراجع النسبي للأسر الممتدة مقارنة بالنووية التي سجلت تزايدا مستمرا في فترة ما بعد الاستقلال، كذلك دراسة هذا الموضوع في المجتمعات العربية هو أكثر تعقيدا مقارنة بالمجتمعات الغربية، فالحيز الفاصل بين الأسرة والعائلة غير واضح المعالم ومعقد في بعض الأحيان، إذ أن التحولات

الاجتماعية والاقتصادية وحتى الثقافية التي غيرت من المشهد الأسري في الغرب لم تكن نفسها في المجتمع الجزائري والانتقال من نمط العائلة الى الأسرة في الغرب ليس له نفس الوقع على بنية ووظيفة الأسرة لو قارناه في مجتمع مثل المجتمع الجزائري وحتى لو أقررنا أن هناك عوامل ساهمت في انتشار النمط الأسري النووي في المجتمعات الغربية كالصناعة أو التمدن، أو عوامل التحضر فانه يبقى من الصعب مقارنة الأسرة النووية الجزائرية بمثلتها في الغرب لاختلاف البيئة الاجتماعية، الثقافية، والمنظومة القيمية الخاصة بكل مجتمع، لذلك فان تحول الأسرة يبقى مرهون بهذه العناصر فالتشابه يكون من حيث الشكل أكثر منه في المحتوى، فتحول الأسرة في الغرب هو "تحول قطيعة"، لأن بنية الروابط تغيرت تبعاً لتغير النمط الأسري، ولعل هذا هو الاشكال القائم في تغير الأسرة الجزائرية التي رغم تحولها في الشكل لا تزال مواضع السلطة، الحرية، الديمقراطية، المساواة الاستقلالية... الخ مطروحة في العلاقات القائمة بين أفراد الأسرة¹²

وبالرجوع إلى الأسرة الممتدة العائلة وفي حال انطلقنا من النظرية التطورية سنجد أن الأسرة الممتدة هي سابقة للأسرة النووية وأن هذه الأخيرة هي فقط تحول للأسرة الممتدة وتقلص في حجمها نتيجة التحولات والتطورات التي مسّت المجتمع، وتعتبر هذه النظرية وأفكارها أساس معظم الدراسات العربية حول موضوع الأسرة، وتجد مرتكزها الأساسي في رصد المراحل التي تمر بها الأسرة في صيرورة خطية للتحول بطريقة تجعل تلك المراحل إطاراً مرجعياً لا غنى عنه أي اعتبار الأسرة الممتدة بمثابة الشكل الأولي أو البدائي للبناء الأسري في المجتمع والأنماط الأخرى للأسرة التي ظهرت فيما بعد ما هي إلا نتاج للتحولات التي مسّت المجتمع وأفرزت نماذج جديدة منبثقة عن الأسرة الممتدة. وهناك إجماع على أن الأسرة الممتدة هي أسرة يرتبط فيها الأفراد بعضهم البعض من خلال أصل قرابي واحد، وتحتوي على نماذج من الأسرة النووية، بحيث يعرفها "روسروهاريس" بأنها علاقة معينة بين مجموعة من الأفراد تربطهم المودة والتراحم من خلال الزواج والانجاب، وهي أوسع من الأسرة النووية، بحيث تمتد لثلاثة أجيال بدءاً من الأجداد وحتى الأحفاد.¹³

وهذه الأسر هي جماعة متضامنة تعتمد على الملكية عامة، والسلطة فيها لرئيس الأسرة أو الجد الأكبر وهذا النمط الأسري غالباً ما ينتشر في المناطق الريفية أو القرى مقارنة بالمدينة والمناطق الحضرية. لكن النظرية التطورية هذه لاقت نقداً كبيراً نتيجة الدراسات الديموغرافية التي أثبتت أن النمط الأسري الممتد والنووي هما نمطان لبناء أسري لطالما وجداً معاً عبر كل

الحقب الزمنية، فحتى المجتمعات الصناعية المتحضرة ، والتي شجعت فكرة الأسرة النووية هي الأخرى لا تخلوا من وجود الأسرة الممتدة. وما يهمنا في هذا الانتقال من النمط الأسري الممتد الى النمط الأسري النووي لم يكن التغير في الحجم أو في عدد الأفراد المكونين للأسرة بقدر ما يصاحب هذا التغير من آثار على الروابط الأسرية وبنيتها، وكذا تأثر القيم بالأسرة ، فلو انطلقنا من فكرة أن التغير الاجتماعي هو بمثابة حتمية فان كل ما يرتبط بالأسرة في عملية تغيرها عرضة للتغير وهنا قد يظهر الاشكال الحقيقي عندما يتعلق الأمر بالقيم، بحيث تعتبر هذه الأخيرة أساس بناء الروابط الأسرية بين أفراد الأسرة و على ضوءها تتحد قوة العلاقات الأسرية وديمومتها، وتغيير في القيم سيكون أثره كبيرا على الحياة الأسرية.¹⁴

ان فترة ما بعد الاستقلال شهدت عدة أحداث وتطورات من بينها إجراءات تصبو إلى تغيير المجتمع عموما والوسط الاجتماعي الريفي خصوصا، إذ توسع نظام التربية والتعليم بوتيرة سريعة، إضافة إلى نمو وتوسع المشاريع العمرانية في مناطق جغرافية مختلفة ، كما تم وضع استراتيجية جديدة للتنمية الريفية في إطار التخطيط العمراني "القرى الاشتراكية" والثورة الزراعية لضمان الاستقرار وفرص التشغيل ، كما انخرط أفراد العائلة في تخصصات مهنية عن طريق التكوين المهني ثم امتهان بعد ذلك لوظائف متنوعة حيث كانت تهدف من ورائها لترقية الحياة الاجتماعية لأفراد المجتمع ومن ثم تحسين الظروف المعيشية للأسرة.¹⁵

ثالثا: منظومة القيم في الاسرة الجزائرية:

عتبر الأسرة المؤسسة الاجتماعية الأولية في انتقال القيم و إعادة انتاجها فالنموذج الأسري التقليدي بنمطه الممتد يعمل على الحفاظ على نظام قيمه السائدة من خلال ابقائه و حفاظه على مبدأ التراتبية القائمة و مبدأ السلطة الذي يساهم بشكل كبير في تعديل و تنظيم العلاقات بين الآباء و أبنائهم ، بين الرجال و النساء و بين الاخوة الكبار و الصغار ، وهذه المصادر التي تعتبر خزان قيم الأسرة الممتدة، وبحسب الدراسات تبقى سائدة حتى في الأسر النووية التي تعتبر نتاج لتحويلات يمكن وصفها بالحضارية بحيث لا يزال الدين و الأعراف و التقاليد مصادر أساسية لهذا النموذج الأسري على الرغم من التحويلات التي كانت عرضة لها، وهذا يختلف عما هو سائد في المجتمعات الغربية التي نتج عن ظهور الأسرة النووية قطيعة مع هذه المصادر التقليدية فلم يعد للدين أو التقاليد دورا هاما في التأثير على بنية ووظيفة الأسرة ، فالروابط الأسرية صارت تحكها قيم أخرى مختلفة مصدرها الحرية، العدالة، الاستقلالية، المساواة ،

المبادرةوهي قيم ترمز الى مخلفات النمو الحضاري، الثقافي، الفكري، الذي مس هذه المجتمعات والحياة الاجتماعية، والأسرية على الخصوص.¹⁶

هذه القيم على اختلاف مصادرها تبقى ذات وظيفة أساسية تتمثل في الحفاظ على التوازن الأسري والحرص على أن تقوم الأسرة بالدور المنوط بها دون الاخلال بما هو سائد في المجتمع ، ففي المجتمعات التقليدية وبنظام قيمه السائد تسعى القيم ليس فقط للحفاظ على البنية الأسرية ووظائفها بل العمل على إبقاء ما هو سائد، لذلك تصعب مثل هذه القيم عملية التغيير داخل الأسرة ونقص بالتغيير على المستوى السلوكي والذهني لأفرادها، لذلك غالبا ما ترتبط القيم الموجودة في الأسرة بالدين وغالبا ما يسودها الطابع القدسي ما يصعب على الأفراد مواجهتها أو انكارها كذلك وحتى تحافظ هذه القيم على تواجدها في الأسرة أنتجت آليات و معايير لهاذا الغرض، من محرمات وممنوعات وطبوهات ، لذلك قد ينتقل العقاب الرمزي من الوسط الأسري الى الوسط الاجتماعي ليتحول الى عقاب اجتماعي يصعب تفاديه، هذا ما يدفع الأفراد الى الامتثال لمثل هذه القيم.¹⁷

وعلى الرغم من اعتبار التحولات الاجتماعية مصدرا أو عامل فعال في التأثير على القيم السائدة في المجتمع بصفة عامة والأسرة بصفة خاصة من خلال تقهقر قيم وصعود أخرى أو ظهور قيم جديدة واختفاء أخرى، الا أنه لا يجب انكار دور هذه القيم السائدة في المجتمع أو الأسرة في عملية التغيير الاجتماعي بحيث تتحول هذه القيم اما معيق لسير وديناميكية عملية التغيير الاجتماعي أو محفز لذلك، فتمسك الأسر في المجتمعات التقليدية بقيم تقليدية ورفضها التخلي عنها تحول مع مرور الوقت الى عائق كبير في تغيير المجتمع من خلال اختلاق آليات اجتماعية وثقافية تهدف الى الحفاظ على ما هو سائد عن طريق استغلال عملية التنشئة الاجتماعية أو الضبط الاجتماعي وحتى العقاب الاجتماعي، وظيفتها اختلاق الحواجز والمعوقات في وجه أي مبادرة لتغيير ما هو سائد، ومحاولة المحافظة عليه، وفي وجود مظاهر التغيير أنتجت صراعا بين هذه القيم التقليدية وقيم جديدة أنتجها هذا التغيير أصبح يعرف بصراع الأجيال بحيث يحمل كل جيل قيما متناقضة، وعلى العكس من ذلك فقد تتحول الأسرة بما تحمله من قيم الى محفز فعال في عملية التغيير الاجتماعي، بحيث تجعل هذه الأسرة من قيمها وسيلة للوصول الى أهدافها فانتهى قيم مرتبطة بالحرية والاستقلالية والنجاح والتدرج الاجتماعي والمساواة غالبا ما تنتشر في المجتمعات المتقدمة التي تتميز بديناميكية كبيرة، بحيث لا يوجد

عائق أمام طموح أفراد الأسرة، والوصول الى أهدافهم مرتبط فقط بالإمكانيات المتاحة لذلك، فحاليا صار الحديث عن ثنائية ما هو "ممكّن/غير ممكّن" بدلا من فكرة ما هو "مسموح/غير مسموح" أي كل ما هو ممكّن تقنيا يبقى مسموح حاليا، بعبارة أخرى فان الأفراد في المجتمعات التقليدية لا يزالون خاضعين لفكرة ما هو مسموح وما هو غير مسموح بحيث أن طموح الفرد في الوصول إلى أهدافه حتى وإن كانت تلك الأهداف تخدمه، ترغمه على مراجعة شرعيتها في إطار ما هو متعارف عليه في مجتمعه وهل هذه الطموحات والأهداف تخدمه، ترغمه على مراجعة شرعيتها في إطار ما هو متعارف عليه في مجتمعه وهل هذه الطموحات والأهداف تتعارض مع القيم والمعايير السائدة أم لا، لذلك ومع كثرة الممنوعات والطبوهات والمحرمات في المجتمعات التقليدية، فان هامش حرية الأفراد في السلوك يبقى محدود وسبل الوصول إلى الأهداف يبقى هو الأخر ضيق، بحيث أن القيم السائدة هي التي تحدد طبيعة السلوك أن كان مقبولا ومسموحا به أم لا، لذلك يميل الأفراد إلى التخلي عن الكثير من طموحاتهم وسلوكياتهم ليس لأنهم يرونها غير سوية بل لأنهم يدركون عواقبها الاجتماعية¹⁸

فالملاحظ أن دور الأسرة التي تعتبر وحدة إنتاجية بيولوجية قد تراجع وخضع هو الآخر تحت طائلة العبء الاجتماعي مما جعله يهدد كيانها ويعطل دورها الطبيعي في أداء مهمتها ووظيفتها التربوية والاجتماعية وجعل الأسرة تعاني من التفكك المادي والمعنوي، حيث عانت الأسر في وقتها الحاضر من التفكك الضمني الذي خلق فجوة بين كل من الآباء والأبناء، ما جعل هؤلاء الأبناء يفتقدون للتحصين الذاتي للإجرام في ظل افتقارهم لأساليب التنشئة الأسرية السليمة ومعاناتهم من الحرمان العاطفي وعدم امتلاكهم لسبل التكيف الاجتماعي والكفاءة الاجتماعية

رابعا: العوامل المؤثرة في تغير قيم الأسرة الجزائرية:

لقد عرفت المجتمعات بصفة عامة والمجتمع الجزائري بصفة خاصة تراجعا في منظومة القيم الأصلية بسبب التغير الاجتماعي في جميع المجالات خاصة في ظل العولمة بألياتها المعاصرة، فشكل نوعا من الازدواجية الثقافية التي تجتمع فيها تناقضات الاصاله والمعاصرة مما يؤدي إلى تغير ملامح الثقافة الأصلية التي هي محور قيم تلك المجتمعات.

1- العوامل القيمية¹⁹:

لقد بينت بعض الدراسات السوسولوجية إلى أن ظهور العلاقات الرسمية التعاقدية أثر في طبيعة العلاقات القيمية القرابية التي تراجعت عما كانت عليه في الاسرة التقليدية التي تتصف

فيها العلاقات القرابية بالتماسك القوي، كما فرضت وسائل الاعلام والاتصال نفسها فأصبح لها أدوار لا يستهان بها، وأصبحت وسائل الاتصال احدى الوسائل القوية للعلاقات الاجتماعية داخل الاسرة ، من هنا كان للتطور والتقدم العلمي والتكنولوجي أعظم الأثر على الاسرة وعلى تقلص وظائفها التربوية شيئا فشيئا وبالتالي نجد جل هذه الأسباب أدت الى تغيير في وظائف الاسرة، ومن أهم عوامل التحول في منظومة القيم داخل الأسرة الجزائرية نجد:

أ- التغيير الاجتماعي:

تشير إلى أوضاع جديدة تطرأ على البناء الاجتماعي والنظم والعادات وأدوات المجتمع، نتيجة لتشريع او قاعدة جديدة لضبط السلوك أو نتيجة لتغيير إما في بناء فرعي معين أو جانب من جوانب الوجود الاجتماعي أو البيئة الطبيعية والاجتماعية . وبالتالي التغيير الاجتماعي هو ذلك التغيير في الأدوار التي يتقمصها الأفراد داخل المجتمع من زمن لآخر، وكذلك التنظيمات والمؤسسات داخل المجتمع، وما يطرأ على هذه الأدوار من تغييرات، وهو يخضع لعدة عوامل متداخلة منها السياسية الاقتصادية والثقافية ، كما تؤثر التغييرات الاجتماعية التي تحدث في المجتمع على الأسرة بشكل مباشر من حيث وظائفها في الحياة وتطلعاتها، ونمط العلاقات بين أفرادها وتوزيعها لدورها، وظهرت مؤسسات متخصصة في المجتمع ساعدت الأسرة في الكثير من الوظائف التي كانت تؤديها من قبل ، ومن جراء هذا التغيير أصبحت الأسرة تختلف عما كانت عليه في الماضي، وبالتالي مفهوم الأسرة كشكل من أشكال التفاعل انتابه الكثير من التغيير في الأدوار والوظائف خلافا لما كان متعارف عليه في الماضي.

ب- التغيير في أنماط الاسرة:

لقد تأثرت الأسرة بالتغييرات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية التي شهدتها المجتمع مما أدى الى تغيير بنائها وانكماش وظائفها مما جعل انماطها تتعدد بتعدد المجتمعات والأزمات أيضا، من خلال العادات والتقاليد والعرف الخ، أي باختلاف الأنماط الثقافية والاجتماعية للمجتمع. ومن حيث الحجم نجد أن الأسرة النواة كبديل للأسرة الممتدة، ومن خصائصها صغر الحجم، كما تتميز باستقلالها الاقتصادي، غياب تأثير الأقارب إضافة إلى ضعف العلاقات القرابية ويعود شيوع هذا النوع من الأسرة إلى سيطرة النزعة الفردية كالمملكية وكذلك شدة الحراك الجغرافي والاجتماعي.

ج) خروج المرأة للعمل:

أدى خروج المرأة للعمل الى خلق تحولات وتغيرات عديدة، حيث تؤكد احدي الدراسات على أن عمل الأم يؤدي إلى تغير في نظام الأسرة لان المرأة العاملة تجبر أسرتها على اتباع نظام صارم، هذا النظام ناتج عن ضيق وقت المرأة العاملة، حيث أن قيامها بدورين اجتماعيين جعل وظيفتها مزدوجة مما جعلها لا تستطيع أن تفي باحتياجات أسرتها، وبالتالي فان المرأة العاملة أصبحت لديها ازدواجية في الأدوار من ناحية هي أم وزوجة ومن ناحية أخرى هي صاحبة وظيفة وعلما ان توفق بين هذه الوظائف لأن عملها المبني يعتبر كوظيفة ثانية يضاف الى عملها الطبيعي المتمثل في الانجاب و التربية و الاعمال المنزلية.

2- العامل السكاني والديموغرافي:

يمكن أن نرجع عامل السكان المؤثر في تغير الأسرة إلى عناصر مختلفة منها: كثافة السكان، حجم السكان وحجم الجماعات أو المجتمعات، ومعدلات المواليد، والوفيات، الهجرة الداخلية والخارجية واستحداث مناطق جديدة للعمران، والسكن، والعلاقات الاجتماعية ونسبة الأطفال والشباب والشيوخ إلى سكان المجتمع، وأثر ذلك في العمل والإنتاج وفي الاقتصاد الوطني وغير ذلك من المؤشرات الديموغرافية التي تؤثر بشكل مباشر وغير مباشر في تغير تركيبة الأسرة والجماعات الأسرية، من أسرة حاضنة لمجموعة من العائلات إلى شكل الانفصال والتجزئة الداخلية للعائلة الكبيرة وبروز عائلات صغيرة، وهنا تظهر ما يعرف سوسيولوجيا بالعائلة النووية داخل المجتمع. ولقد أدى تحول الأسرة من أسرة ممتدة إلى نووية، إلى حدوث انفصال كامل بين أسرتي التوجيه والإنجاب لأن الفرد حين يتزوج، وينفصل عن أسرته ويكون أسرة زواجية خاصة به، أما في الأسرة الممتدة فإن الأسرتين تتداخلان معا، وتكونان أسرة واحدة.²⁰

3- العامل الاقتصادي:

لقد أثر التغير الاقتصادي في جميع النظم، والمؤسسات الاجتماعية في كل المجتمعات تاركا سماته البارزة وبخاصة التصنيع على جميع مناحي الحياة، ولقد كان النظام الأسري أشد النظم الاجتماعية تأثرا بهذا التغير وذلك لشدة ارتباط الواحد بالآخر نتيجة وجود علاقات قوية متبادلة بينهما، فالأسرة تمد الميدان الاقتصادي بالأيدي العاملة، كما تعتبر المستهلك الأول لما

يظهر في الميدان من سلع وخدمات، كما تعد ظاهرة خروج المرأة للعمل أبرز ظاهرة اجتماعية في العصر الحديث ، حيث كان لها الأثر الكبير على الناحية الاقتصادية للمجتمع.²¹ إن البناء الأسري عرف في القرنين الأخيرين داخل المجتمعات الغربية تغيرا نتيجة التصنيع الحديث والتحضر السريع، والهجرة الداخلية من الريف إلى المدينة أو الهجرة الخارجية وبالأخص الهجرة إلى العالم الجديد؛ هذا التغير يراه الكثير من علماء الاجتماع أنه يمس جميع المجتمعات التقليدية في البلدان النامية التي تتجه نحو التصنيع والتحديث، ففي هذا الصدد يرى "جود" أن نسق الأسرة النووية أو الزوجية سوف ينتشر في المجتمعات التقليدية التي تنشأ فيها الصناعة وتشيع فيها الحياة الحضرية العصرية، ويعتقد أن إيديولوجية هذا الشق تقوم على علاقة متوازنة ومحدودة بين أقارب الزوج والزوجة، وعلى سلطة محدودة نسبيا للأباء على الأبناء وللأزواج على الزوجات، كما يرى أن ثمة ميلا إلى المساواة بين الجنسين في كل المجالات²² إن هذا التغير الملحوظ في الأسرة الجزائرية كان نتيجة التحولات الاقتصادية والاجتماعية التي شهدتها الجزائر وخاصة في الفترة غداة الاستقلال إلى بداية الألفية الثالثة.

4- العامل الأيديولوجي:

يعني العامل الأيديولوجي النظام الفكري والعاطفي الشامل الذي يعبر عن مواقف من العالم والمجتمع، والإنسان ، وقد طبق هذا المفهوم بصورة خاصة على الأفكار ، والعواطف والمواقف السياسية التي هي أساس العمل السياسي، وأساس تنفيذه وشرعيته، إن دور الأيديولوجيا في تغير الأسرة يظهر بوضوح في ارتفاع مستوى رعاية الأطفال في المجتمعات الحديثة الذين يحصلون على رعاية فائقة، وخدمات متعددة لم يتيسر لهم الحصول عليها من قبل ، ويمكن تفسير ارتفاع رعاية الأطفال حاليا في ميل الأسرة إلى أن تكون جماعة تربطها المحبة، والعلاقات الشخصية.²³ إن المجتمع الجزائري وعلى غرار كافة المجتمعات مر بالعديد من المراحل، وعرف الكثير من التغيرات في مختلف المجالات والبناءات انطلاقا من البناء الاقتصادي والاجتماعي والسياسي وحتى الثقافي، وأثرت كل هذه التغيرات بدورها على منظومة القيم في المجتمع الجزائري، ويتجلى هذا من خلال ما نلاحظه اليوم من غياب بعض القيم التقليدية وظهور قيم غربية غريبة عن المجتمع الجزائري لا تمت بصلة لانتماءاته أو ثقافته. وتتجلى أهم التغيرات التي حدثت في هذا المجتمع وأثرت في منظومة القيم بالأخذ بالسياق السوسيوي - تاريخي الذي أكد عليه "كارل مانهايم" في دراسة الظاهرة الاجتماعية وهذا باعتبار القيم ظاهرة اجتماعية فيما يلي:

- بما أن الأسرة هي أهم مؤسسة في المجتمع والخلية الأساسية في بنائه يجب التركيز عليها وعلى أهم التغيرات التي مست هذه الأخيرة وأثرت بدورها على منظومة القيم، حيث أن الأسرة الجزائرية عرفت العديد من التغيرات على مستوى الحجم والشكل فانتقلت من الأسرة الممتدة الى الأسرة النووية، وظهرت لدى الآباء مجموعة من الآراء والقيم تختلف عن تلك التي حصل عليها الآباء في ظل هذه الظروف ، وهذا ما أحدث تغييرا في نموذج العلاقة بين الآباء والأبناء، اضافة الى أن القوانين الوضعية أيضا تأثرت بالتغير الذي حدث على مستوى الأسرة ، الأمر الذي انعكس سلبا على الكثير من العلاقات الاجتماعية خاصة الزواج فانتشرت ظاهرة الطلاق بشكل رهيب وصلت إلى أكثر من 61 ألف حالة طلاق في السنة الواحدة، كما انتشرت ظاهرة الخلع في المجتمع الجزائري بشكل غير مسبوق.²⁴ من خلال دراسة وتحليل التحول في القيم الأسرية يتضح أن الأسرة الجزائرية فقدت العديد من الخصائص والسمات التي كانت تتميز بها سابقا، فالأسرة الجزائرية هي في تحول مستمر، وما يصاحب هذا التحول من تغير في طبيعة العلاقات، الأدوار، الوظائف، الضبط، الرقابة، والسلطة داخل الأسرة، من شأنه التأثير على القيم الأسرية كقيم الجماعية، والقيمة المتعلقة بالسلطة الأبوية. كما أن الارتفاع الكبير والمستمر في متوسط سن الزواج في الجزائر بعد الاستقلال، ووصوله إلى مستويات قياسية عند كلا الجنسين، يشكل مؤشرا قويا عن تراجع قيمة الزواج المبكر، بعدما كانت تشكل قيمة أساسية في الأسرة الجزائرية التقليدية.

فضلا عن ذلك يشهد المجتمع الجزائري انحسارا كبيرا للقيم المجتمعية المشجعة على كثرة الإنجاب، فلم تعد الأسرة الجزائرية تفضل إنجاب أطفال كثيرين، وعليه نستخلص مما سبق أن التحولات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التي عرفها المجتمع الجزائري بعد الاستقلال، قد تركت أثارها الواضحة والعميقة في المجتمع بصورة عامة والأسرة بصورة خاصة. فقد تغيرت المميزات التقليدية التي كانت تتصف بها العائلة الجزائرية التقليدية كتركيبها ووظائفها والقيم المميزة لها، لذلك يمكن القول أن منظومة القيم الاجتماعية في الأسرة الجزائرية، تميل إلى التغير في اتجاه التخلص من القيم التقليدية واكتساب القيم الحديثة المصاحبة للتحديث والعولمة.²⁵ لقد شهدت الأسرة الجزائرية عبر فترات عديدة العديد من التغيرات البنائية والوظيفية أثرت بشكل مباشر وغير مباشر على منظومة القيم داخلها ، وأصبحت تتميز بخصائص فرضتها التغيرات الاجتماعية والاقتصادية وكذا التطور التكنولوجي السريع الذي ميز المجتمعات بصفة عامة.

خلاصة:

إن التغيرات التي مست المجتمع الجزائري عموما والأسرة على وجه الخصوص كان لها الأثر الكبير على القيم المرتبطة بهذه الأخيرة، وأن انتقال الأسرة من شكلها الممتد التقليدي الى شكلها النووي المعاصر أظهر طبيعة هذه التغيرات وشدتها، بحيث أصبحت الأسرة الجزائرية تمثل نموذج مميز يجمع بين قيم تقليدية، وقيم أخرى يمكن وصفها بالعصرية هذه التناقضات انتجت ظواهر جديدة محورية و أدت الى بروز مفاهيم جديدة كصراع القيم وصراع الأجيال و غيرها، وأثرت على تماسك الأسرة الجزائرية بصفة عامة.

قائمة الهواميش :

- 1- ماجد الزيود: الشباب والقيم في عالم متغير، ط1، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان ، الأردن، 2006 ، ص21.
- 2- المرجع السابق، ص21
- 3- المرجع السابق ، ص ص 21-22
- 4- سلوى السيد عبد القادر: الأنتروبولوجيا والقيم ، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2010، ص211.
- 5- المرجع السابق ، ص211
- 6- المرجع السابق ، ص211-212
- 7- المرجع السابق ، ص212
- 8- المرجع السابق ، ص212
- 9- المرجع السابق ، ص212-213
- 10- ابراهيم شرع الله: دور العوامل السوسيوثقافية في تأسيس الثقافة المجتمعية لدى الشباب ، مجلة الشباب والمشكلات الاجتماعية، جامعة سوق أهراس ، الجزائر، العدد الأول ، جانفي 2013، ص221
- 11- فيصل بوطوب: الأسرة والقيم - مقارنة سوسيوولوجية لمسألة تغير القيم في الأسرة الجزائرية، مجلة آفاق فكرية، العدد السادس، شتاء 2017، ص12
- 12- المرجع السابق، ص ص12-13
- 13- المرجع السابق، ص13

- 14- المرجع السابق، ص13
- 15- عمار هلال : أبحاث ودراسات في تاريخ الجزائر المعاصر ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1982 ، ص 124.
- 16- فيصل بوطوب: مرجع سابق ، ص 14
- 17- المرجع السابق ، ص15
- 18-المرجع السابق، ص ص15-16
- 19- نور الدين زمام، سميرة ونجن: عوامل التحول في الوظيفة التربوية للأسرة، مجلة التغير الاجتماعي، مخبر التغير الاجتماعي و العلاقات العامة. جامعة بسكرة ، العدد،5 فيفري 2018، ص ص73-93
- 20- هشام سبع: مكانة المسن في الأسرة الجزائرية بالوسط الحضري في ظل التغيرات الاجتماعية الراهنة ، دراسة ميدانية على عينة من الأسر بالشرق الجزائري، رسالة دكتوراه غير منشورة ، جامعة محمد لمين دباغين سطيف 02، 2016-2017، ص ص87-88
- 21- المرجع السابق ، ص88
- 22- مريم بن عالية : وضع الأسرة الجزائرية ووفيات الرضع والأطفال- دراسة ميدانية بدائرة قسنطينة، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة عنابة.2014-2015، ص53
- 23- هشام سبع: مرجع سابق ، ص89
- 24- أحلام بلمادي: سوسيولوجية القيم والتغير القيمي في المجتمع الجزائري، مجلة الحكمة ، المجلد 4، العدد7، 2016، ص ص 102-121
- 25- حسان تريكي: تغير القيم الأسرية في المجتمع الجزائري المعاصر : دراسة تحليلية، مجلة الرواق ، مخبر الدراسات الاجتماعية والنفسية والأنثروبولوجية، المركز الجامعي غليزان ، الجزائر ، العدد09 ديسمبر 2017 ، ص ص 77-102.

قائمة المراجع والمصادر:

أولا: الكتب باللغة العربية:

- 1- سلوى السيد عبد القادر: الأنثروبولوجيا والقيم ، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2010
- 2 - عبد الخالق محمد عفيفي :الخدمة الاجتماعية المعاصرة ومشكلات الأسرة والطفولة ، مكتبة عين شمس ، القاهرة ، 1999

- 3-عمار هلال :أبحاث ودراسات في تاريخ الجزائر المعاصر ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر 1982 ،
- 4-فاطمة منتصر الكتاني : الاتجاهات الوالدية في التنشئة الاجتماعية وعلاقتها بمخاوف الذات ، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان ، 2000.
- 5- ماجد الزيود :الشباب والقيم في عالم متغير، ط1، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان ، الاردن، 2006
- 6- جرجس ملاك :المشاكل النفسية للطفل وطرق علاجها ، دار المعارف ، القاهرة ، 1990
ثانيا: المقالات العلمية:
- 7- ابراهيم شرع الله : دور العوامل السوسيو ثقافية في تأسيس الثقافة المجتمعية لدى الشباب ،مجلة الشباب والمشكلات الاجتماعية، جامعة سوق أهراس ،الجزائر، العدد الأول ، جانفي، 2013، ص 221
- 8- فيصل بوطوب :الأسرة والقيم -مقاربة سوسيولوجية لمسألة تغير القيم في الأسرة الجزائرية، مجلة آفاق فكرية، العدد السادس، شتاء 2017
- 9- نور الدين زمام، سميرة ونجن: عوامل التحول في الوظيفة التربوية للأسرة. مجلة التغير الاجتماعي ، مخبر التغير الاجتماعي والعلاقات العامة، جامعة بسكرة ، العدد5، فيفري 2018، ص ص 73-93
- 10- أحلام بلمادي: سوسيولوجية القيم والتغير القيمي في المجتمع الجزائري، مجلة الحكمة ، المجلد 4، العدد7، 2016، ص ص 102-121
- 11- حسان تريكي: تغير القيم الأسرية في المجتمع الجزائري المعاصر: دراسة تحليلية، مجلة الرواق ، مخبر الدراسات الاجتماعية والنفسية والأنثروبولوجية، المركز الجامعي غليزان ، الجزائر ، العدد09 ديسمبر 2017 ، ص ص 77-102.
- ثالثا: المدكرات والرسائل الجامعية:
- 12- حسن يوسف : دور التربية الأسرية في بناء منظمة القيم الاجتماعية- دراسة ميدانية في محافظة اللاذقية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية التربية بجامعة دمشق ، 2006
- 13- مريم بن عالية : وضع الأسرة الجزائرية ووفيات الرضع والاطفال - دراسة ميدانية بدائرة قسنطينة، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة عنابة، 2015-2014
- 14- هشام سبع : مكانة المسن في الأسرة الجزائرية بالوسط الحضري في ظل التغيرات الاجتماعية الراهنة ، دراسة ميدانية على عينة من الأسر بالشرق الجزائري، رسالة دكتوراه غير منشورة ، جامعة محمد لمين دباغين سطيف 02.2016-2017.

مسألة الهوية الوطنية الجزائرية والسياسة الاستعمارية الفرنسية في
فكر زعماء الحركة الإصلاحية بالجزائر
- الشيخ إبراهيم أبو اليقظان نموذجاً - 1926-1938

The question of national identity Algerine and colonial politics french
in the minds of the leaders of the reformist movement in Algeria
-Sheikh Ibrahim Abu Al-Yaqdhan as an example-1926-1938

د. خيرى الرزقي

أستاذ محاضر- قسم التاريخ
جامعة باتنة 1 الحاج لخضر

الملخص:

تدور محطات المقال حول موضوع مسألة الهوية الوطنية والسياسة الاستعمارية في فكر زعماء الحركة الإصلاحية بالجزائر من خلال صحافة الشيخ إبراهيم أبو اليقظان ، معرجاً في ذلك على محطات هامة تدور حول الوحدة الوطنية وشروط وسبل تحقيقها في ظل تعنت الإدارة الفرنسية وسعيها في الاتجاه المعاكس لأفكار أبي اليقظان الذي حدّد مفهوم الحرية أولاً ، ودعا إلى الاهتمام بالقضايا الوطنية ، ودور زعماء الأمة فيها ، مبرزاً بعض الأخطار والعراقيل التي قد تعترضها ، وفي الأخير وجه أبو اليقظان دعوة إلى تأسيس حزب سياسي لتمثيل الأمة ورفع انشغالاتها ، ومن هنا يبرز الشيخ أهمية تكاتف رجال الحركة الإصلاحية مع رجال الحركة الوطنية السياسية من اجل الدفاع عن الهوية الوطنية ، والوثوق في وجه السياسة الاستعمارية.

الكلمات المفتاحية: الهوية الوطنية؛ السياسة الاستعمارية؛ الفكر؛ الحركة الإصلاحية بالجزائر؛ إبراهيم أبو اليقظان.

Abstract:

The article's stations revolve around the issue of the national identity and colonial policy in the thought of the leaders of the reform movement in Algeria through the Sheikh Ibrahim Abu Al-Yazqan press, referring to that on important stations that revolve around national unity and the conditions and ways to achieve them in light of the intransigence of the French administration and its pursuit in the opposite direction of the ideas of Abu Al-Yakdhan who He defined the concept of freedom first, and called for attention to national issues and the role of the nation's leaders in it, highlighting some of the dangers and obstacles that might face them. ATV reform movement with the men of the National Movement political men in order to defend the national identity, and trust in the face of colonial policy.

Keywords: national identity; colonial politics; thought; the reformist movement in Algeria; Ibrahim Abu Al Yakdhan.

مقدمة:

إن المتتبع لمقالات أبي اليقظان الصحفية سواء تلك الممضية باسمه أو بأحد أسمائه المستعارة أو التي هي من دون إمضاء يستخلص موقفه من السياسة رغم كرهه لها، فقد غاص في أعماقها وعالج قضايا سياسية في غاية من الخطورة آنذاك، فقد حلل وعلل وناقش وأردف الحلول لها، ورغم هذه الحقيقة الموجودة في صحفه إلا أننا نجدّه يصرح في العدد 06 من جريدة البستان عن كرهه للسياسة وعدم الخوض في غمارها لما تشكل له من متاعب كالسجن والمراقبة، والاستجابات المتكررة، وربما يكون موقفه بغرض صرف أنظار الحكام الفرنسيين، وعدم إعلانه الخوض في السياسة جهرة، متبعا للوصول إلى ذلك طريق الإصلاح، فهو يعلن أنه غير قادر على التلطف بها والخوف منها -السياسة- وفي إطار تهكمي يقول أن القانون يعاقب عليها، في إشارة إلى الاضطهاد السياسي الذي فرضته إدارة الاحتلال الفرنسي على الجزائريين، أو على زعماء الحركة الوطنية وتشكيلاتها المختلفة، إذ وصلت حدود العقوبة على امتهان السياسة إلى حد النفي خارج الوطن، ووجه أبو اليقظان نداء إلى العالم أجمع في شبه تهكم ورمز -وهما من خصائص أسلوبه الصحفي- بعدم محاسبته ومعاقبته إن هو تلفظ بلفظ السياسة¹.

ويبدو أن في هذا إيحاء وشد انتباه إلى التعسف الفرنسي المطبق في الجزائر، وكأنه أراد لفت انتباه شعوب العالم إلى التنديد بالتضييق السياسي الفرنسي إذ قال: "أوجه رجائي وعظيم أملي إلى الملوك والأمراء ورؤساء الجمهوريات والوزارات والدكتاتوريات ورؤساء الإدارات وموظفيها والقضاة والباشوات والشرطيين ومقدمي الحارات والعسس في أن يمنوا علينا بالعفو إذا أنا أزلت بقلبي أولساني فنطقت بلفظ السياسة"².

رغم تصريح أبي اليقظان بنبذه للسياسة إلا أنه قد خاض فيها إلى أبعد الحدود، وعالج القضايا الوطنية الجزائرية السياسية بنوع من الاحترافية والمهنية الصحفية في إطار المناصرة، مقدما مفهومه للحرية مبرزاً في الوقت نفسه مواقفه من القضايا الوطنية المطروحة آنذاك، داعياً إلى الوحدة بمختلف صيغها.

1 : نبذة عن حياة الشيخ أبي اليقظان وأعماله الفكرية :

أ- مولده : هو حمدي إبراهيم بن عيسى، لقب نفسه بأبي اليقظان تيمناً بالإمام الرستمي أبي اليقظان بن أفلاح بن عبد الرحمان بن رستم، وهو خامس الأئمة الرستميين، والده هو الحاج عيسى بن يحيى أحد الأعضاء المشهورين في القرارة بالتدين والصرامة وعضواً في مجلس العزابة، ووالدته هي السيدة عائشة بنت الحاج أمحمد بن الحاج إبراهيم بوعروة من أولاد حمو بن إبراهيم وكانت ولادة أبي اليقظان يوم الإثنين 24 صفر 1306هـ الموافق ليوم 05 نوفمبر 1888م، عاش الفقر الشديد خاصة بعد وفاة والده بعد سنة واحدة فقط من ميلاده لتتولى أمه تربيته رفقه إخوته.

تلقى تعليمه الأول في بلدة بني يزقن على يد الشيخ أطفيش، وبعد رحلة قادته إلى المشرق العربي، أين زار بيت الله الحرام سنة 1905 وتلقى فيها بعض العلوم الدينية عن مشايخ الحرم، كما حاول الالتحاق بجامعة الأزهر أثناء سفره إلى مصر لكن لم يستطع بسبب ظروفه المادية، كما زار طرابلس الشرق وأزمير وبيروت ليعود بعد ذلك إلى بني يزقن أين واصل تعلمه على يد الشيخ محمد أطفيش إلى غاية سنة 1911 ليعود بعدها إلى مسقط رأسه القرارة ويعد تعليمه في تونس من أهم مراحل تعليمه والتي تمتد من سنة 1912 إلى 1926 بين ذهاب وإياب وقد حصد فيها الكثير من العلوم والعلاقات والاتصال بالشخصيات، ويبقى معهد الحاج عمر بن يحيى الأكثر تأثيراً في الشيخ أبي اليقظان، وفي تكوين شخصيته .

ب - مؤلفاته:

ترك الشيخ أبو اليقظان مؤلفات عدة، تراوحت ما بين كتب الفقه والشريعة والأدب والتفسير وعلوم القرآن، والحضارة والتاريخ والتراجم وكتب أخرى متفرقة، منها ما طبع ومنها ما زال مخطوطاً ناهيك عن ثمانية صحف.

ج - وفاته:

توفي الشيخ أبو اليقظان يوم الجمعة 25 صفر 1393هـ، الموافق ليوم 30 مارس 1973 عن عمر ناهز 85 سنة م خلفاً وراءه ثمانية صحف وما يقارب 60 مؤلفاً بين مخطوط ومطبوع، وهو المؤلف والكاتب والمصلح والشاعر والمربي، عالج قضايا وطنه الجزائر والعالم الإسلامي الواسع

2: مفهوم الحرية عند أبي اليقظان:

أ- الحرية مطلب شعبي عام:

إنّه لمن الشجاعة الصحفية أن تطلعنا جريدة وادي ميزاب بمقال يتحدث عن الحرية، ذلك المطلب الأسمى للشعوب المستعمرة عشية استعدادات الاحتلال الفرنسي للاحتفال بالذكرى المائة لاحتلال الجزائر، ومن مقال عبد العزيز الثميني نخلص إلى وجود دعوة صريحة تماماً إلى التحرر، منطلقاً في ذلك من مفهوم الحرية والتحرر وصولاً إلى مواصفات الحرية الحققة وطرق تحصيلها، نابذاً في الوقت نفسه طرق الاستبداد والسيطرة على البشر وعلى العقول وعلى الثروات والجمعيات، لذلك عالجت الجريدة -وادي ميزاب- موضوع الحرية معالجة شاملة، وليس من الجانب السياسي فقط فهي "معنى ينشده كل حي ويتطلبه كل موجود به الحياة والسعادة والعمل والارتقاء والاختراع والابتكار والحضارة والعمران، ينفق كل فرد في نيّله أعز ما لديه، ويبذل ما في قواه للبلوغ إليه"³.

بناءً على ما تقدم نلاحظ أن هيئة التحرير جعلت الحرية⁴ هي مدار السعادة ومصدر أساسي للرفق والتقدم، ومساعدة النمو الفكري، وأن الحرية هي مطلب إنساني من قبل ظهور وثيقة حقوق الإنسان والمواطنة المعلن عنها بعد نجاح الثورة الفرنسية، وهي أيضاً مصدر للخير وهي من كونت المدنية والحضارة انطلاقاً من ماضي الشعوب* إلى حاضرها، فالكل يطلب الحرية ويرفض العبودية والاستبداد، وهذا ما ينطبق على الجزائري في الفترة الاستعمارية إذ "مضت على البشر سنون عديدة وقرون طويلة وهو أسير النذل والاستعباد حليف الهوان والاستبداد

حسبه ما ينال عند سيده من سقط المتاع وما يجده من بقايا الأقوات"⁵ قاصدا بذلك الوضع المأساوي الذي تعيشه الأمة في ظل اللأحرية.

ب- شروط ومواصفات الحرية :

لكي تكون الحرية أنفع وأفيد وجب أن تكون مقيدة بشروط –رغم كونها حرية- فلا تجب المجازفة فيها، ولا يطلق العنان لها إذ يرى أبو اليقظان أن المفيد منها ما كان مقيدا بالأخلاق والآداب الفاضلة، فهي محمودة إذا حافظت على الحقوق والمصلحة العامة، وامتنزت بالنزاهة والعفة واحترام إنسانية الإنسان، وكل هذه الشروط تكشف لنا بعد نظر هيئة التحرير في صحف أبي اليقظان، فليس من أجل الحرية يتم إلحاق الضرر بحرية الآخرين، وربما كان هذا المبدأ مقتصرًا على الحرية بين أفراد المجتمع، بينما إذا كان الأمر يتعلق باستقلال بلد من برائن الاستعمار فوجب استعمال القوة والسلاح دفاعًا عن الدين والوطن، وعند تبعنا لمواصفات الحرية والتحرر في صحافة أبي اليقظان نجده يعالج قضية فئة ساندت الاستعمار فيقول أنها "أبعد الناس عن الحرية وأقربهم إلى الاستعباد المتزلف الذي يبيع دينه وملته وشرفه لأجل درهيمات ينالها ورتبة يتقرب إليها، فيحسب بذلك أنه قد امتلك ناصية الخلاص من الجور والحيث وما هو إلا وتده الذي يشجه على رأسه بضربات الخضوع والصغار"⁶.

وكما هو معروف أن هؤلاء الموالون –عبر التاريخ- قد وقفوا حجر عثرة أمام تحرر شعوبهم، فقد استطاع الاستعمار إغرائهم واستمالتهم ببعض المزايا، لذلك كان الحر هو الذي يعتبر بمبادئه وأخلاقه وعرضه وشرفه، وسعى إلى إصلاح وطنه ودينه وإعلاء مجده، ومن صفات الحر التي يحبها أبو اليقظان الأخلاق المهذبة ونظافة السجايا، وإحقاق الحقوق، لذلك اعتبر أن الحرية هي مطلب الأفراد والجماعات والاقتصاد أيضاً⁷ فمن جانب الفرد دعت جريدة وادي ميزاب إلى ضرورة تحرر أفكاره بإزالة الضغوطات الممارسة عليه، فينشرها بكل حرية، ويمارس ابتكاراته دون الخوف من سلطة الرقابة، ويكون ذلك عن طريق إزالة قيود النشر والكتابة ورفع المضايقات عن كل ما يصدر بالعربية، أو في لهجة تحريرية إصلاحية "فيخط القلم ما يوحيه إليه الوجدان الطاهر والعقل السليم" وهذا تصريح مباشر بحرية الصحافة والتأليف والكتابة عموماً، وربما جاء هذا بعد الخناق الذي شدته إدارة الاحتلال على صحف أبي اليقظان بعد نشرها لبعض المقالات التي جرته إلى التحقيق ومثال ذلك مقال "الاعتماد على النفس" في العدد 17 من وادي ميزاب.

أما فيما يتعلق بحرية الجماعات فتكون "بتفويض الأمر إليهم وتسهيل الوسائل لهم، وتنشيطهم على أعمالهم فيجتمعون لأي غرض شاءوا وفي أي وقت ومكان أرادوا لهم حرية القول والعمل والنشر لكل ما اختاروه"⁸.

يرى أبو اليقظان أن الحرية إذا تحققت للجماعات فمن شأن ذلك ظهور الجمعيات على مختلف أنواعها العلمية والأدبية والفنية... الخ، وحتى الجمعيات ذات الطابع السياسي والخيري على اعتبار أن العمل الجمعي أساس كل الخيارات، وبالتالي مساندة كل المشاريع ذات الطابع الإصلاحي أو الاجتماعي ومنه اعتبر أبو اليقظان العمل الجمعي الحر عنصرا فعالا في حركة النهوض وتخطي الصعاب، أما مفهوم الحرية عند أبي اليقظان في شطرها الاقتصادي فتكون في مجال حرية المبادلات التجارية سواء داخل الوطن أو خارجه، عن طريق تصدير الإنتاج الصناعي والزراعي، واستيراد ما يحتاجونه من آلات الزراعة والصناعة لزيادة الإنتاج عن طريق جلب المواد اللازمة لذلك.

مما سبق نخلص إلى أن مفهوم الحرية عند أبي اليقظان هو مفهوم شامل ينطلق من حرية الفرد وصولا إلى حرية الاقتصاد مرورا بحرية الجماعات، ولتحقيق ذلك التحرر الثلاثي قال: "إذا أرادت الأمة أن تنال حريتها وتجاري الأمم الحية في ميدان الحياة فلترب أبناءها تربية صحيحة بأسلوب مفيد، ولتغرس في نفوسهم الفضيلة ومكارم الأخلاق، ولتحبب إليهم الشرف والإباء"⁹.

بمعنى أن الحرية عند أبي اليقظان تأتي عن طريق عملية الإصلاح التربوي، وإعداد جيل يحمل المشعل، وهي الفكرة التي جسدت في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بعد تأسيسها، أين كان أبو اليقظان أحد أعضائها.

إن شخصية أبي اليقظان شخصية تواقفة للحرية بجميع مدلولاتها سواء الفكرية، أو السياسية أو الأخلاقية، لذلك تكلم عنها في العديد من المواقف مقدما مفاهيمها ومواصفاتها، فهو ينطلق من مفهوم كونها "هي الإطلاق التام والإباحة المطلقة من كل قيد"¹⁰، ويرد على أصحاب هذا الرأي بالرفض مستدلا بآيات من القرآن الكريم مفندا ذلك، كونها في هذه الحالة تصبح مضررة بحرية الآخر، وأن قناعة هؤلاء مبينة على الأحلام والتمني، وأن المستحيل يمكن أن يتحقق، ويبدو أن أبا اليقظان أراد توضيح فكرة هي: أن للحرية ثمن، ولا تحصل بالخيال والأمني أو التماطل، كما استعرض مفهوما آخر للحرية والقاضي بأنها تعني عدم الإجمار أو التقيد بتعاليم الدين، وفتح كل أبواب الملاهي والمفاسد دون رقيب ولا قانون يعاقب على ذلك، وإذا ما شاعت

الحرية بهذا المفهوم فحتمًا تنتشر الفوضى ويحدث خلل في نظام الكون بسبب التصرف المطلق، وتصبح الحرية هنا وكأنها مرادفة للفوضى والتعدي على المعتقدات والأشخاص والأموال والأعراض، فكانت النتيجة أن "عمّ البلاء وعظم الخطب وتوالت المصائب وكثرت الفضائح والجرائم والجنايات فثقل حمل الحياة على البشرية"¹¹.

ج- علاقة التربية بالحرية:

بعد إعطاء مفاهيم متعددة للحرية اقترب أبو اليقظان من الجانب المراد ربطها به وهو واقع التربية والتفكير والنشر، فالجهات المعارضة لهذه المحطات تعتبر أن الحرية فيها هي تكبيلها وتقييدها عبر طول الأزمنة، وهذا ما يعد ضربًا من ضروب الاضطهاد والتعسف في حق من يريد إنشاء تربية صحيحة وتحقيق التفكير الإيجابي، أو الوصول إلى كليهما عن طريق النشر كالكتب والمجلات والجرائد... الخ، فإذا قيدت هذه المواضيع فقد أصبحت الحرية جبروتًا وليس تحررًا، فالحرية الحقّة التي ينتصر لها أبو اليقظان هي "حرية التفكير والقول والعمل في دائرة الدين الحق"، إذ قال: "هذه هي الحرية الحقّة التي تستمد نورها من الفطرة البشرية السليمة والعقول الإنسانية الراجحة، ولكن أين نجدها ومتى نجدها وكيف نجدها؟ الجواب عن هذا موكول إلى المستقبل"¹².

شبه أبو اليقظان الحرية بالشمس، كثيرها يحرق وقليلها يخنق لذلك وجب على الشعوب أن تتعاطاها بمقدار معلوم محدد وبجرعة مدروسة، بمعنى أن الحرية في تناولها تكون بشروط وضوابط سواء كانت حرية دينية أو أخلاقية أو قانونية، ومن هنا يبدو لنا أن وجهة نظره للحرية هي على نوعين، فشطرها الأول يتعلق بالأفراد والشطر الثاني منها خاص بالجماعات أي قسمها إلى حرية خاصة وحرية عامة، فمعناها في الشطر الأول أن تكون في حرية التعبير بكل أشكاله، والنشر بجميع أنواعه والتفكير الصائب، وكل هذا بعدم الخروج عن دائرة تعاليم الدين الإسلامي والآداب العامة والقوانين الشرعية، وهذا المفهوم من أبي اليقظان يحمل دفاعًا عن رجالات الحركة الإصلاحية وعن صحفهم ومؤلفاتهم في ظل ظروف زاد فيها تضيق الخناق عليهم بسبب فكرة أرادوا نشرها أو جريدة أرادوا طبعها.

أما النوع الثاني من الحرية عند أبي اليقظان فهي الحرية العامة -الخاصة بالأمم والجماعات- فمفهومه لها "هي أن يكون للأمة الحق في حكم نفسها بنفسها بما يقتضيه الشرع والقانون داخل حدودها الطبيعية بإدارة شؤونها، وخارجها بتمثيل نفسها لدى الأمم الأخرى"¹³.

لا يوجد مدلول آخر من خلال هذا المفهوم الذي قدمه أبو اليقظان للحرية العامة سوى الدعوة إلى إعطاء السيادة والحرية للجزائر وشعبها في حكم نفسه بنفسه، وضبط حدودها الطبيعية، وتسيير شؤونها الداخلية والخارجية، وهي ملامح السيادة الوطنية التي هي مطالب تؤخذ ولا تعطى، إذ يعتبرها أبو اليقظان شأنها شأن الشيء الغالي الثمين، وأنها لا تؤخذ بالتسول والإغراق في النوم والاستجداء والجري وراء الملهيات والشهوات ويقرن تحصيل الحرية الحقبة بضرورة اكتساب العلم والتربية الصحيحة، فبالعلم تنور العقول، وتتضح الرؤية وتساعد التربية في إعداد النشء الذي يحمل على عاتقه السهر والتضحية من أجل نيل الحرية التي هي سعادة الأمم والشعوب، لأن أتعس يوم في حياتها يقول أبو اليقظان هو يوم فقدانها "لحريتها واستقلالها وتصير كالكرة بين أيدي أعدائها"¹⁴.

إن من أسباب ضياع حرية الأمم - حسب أبي اليقظان - هو عدم سهرها على تربية أبنائها تربية صحيحة وتلقينهم تعاليم الدين، وعدم تعليمهم بمناهج تخدم وطنيتهم وتعزز فيهم روح الانتماء، وهذا ما يفسح المجال أمام النشاط المفسدين ومساهماتهم في إضعاف وطنهم دون غيره، ومنه تضيع الحريات وتفقد أسطها، ولهذا يرى أن "الأمة العزيزة إذا تذلت بين سائر الأمم يسيء حالها ويقل عددها وأسرع إليها غالباً الزوال والاضمحلال"¹⁵.

لذلك إذا أرادت الأمة أن تسير نحو الحرية وجب عليها غرسها في أبنائها بغرس العلم والتربية الصحيحة، لما لهما من دور في تكوين الشخصية، كما أثبتت التجارب الحديثة بأن نوع التعليم والتربية كفيلاً بإيجاد نوع الشخصية، وهناك من يضيف بيئة النشأة - الجزائر - والتي تمتاز هنا بفقدان السيادة وضياع الحقوق ونهب الثروات، لذلك فهي عامل مهم في زيادة الطلب على الحرية.

د- بعض مواقف أبي اليقظان في المطالبة بالحرية:

إيماننا من أبي اليقظان في الدفاع عن حرية الأفراد والجماعات كانت له مواقف تاريخية عديدة في ذلك، فقد اغتنم فرصة الخلاف الذي نشأ بين بعض النواب الاشتراكيين مع شيخ مدينة وهران الذي يعد من المعارضين لحرية التعبير عند الدعوة إلى الاشتراكية من قبل هؤلاء النواب، وأوضح أنه إذا كانت الحالة هذه عند هؤلاء من أجل الحرية في التعبير، فما هو مصير حوالي ستة ملايين جزائري القابعة تحت إدارة الاحتلال الفرنسي، وهي الشعوب التي طالما حلمت بأن تكون حرة، إذ قال: "فماذا يجب أن يكون إذن موقف ستة ملايين من الأهالي الذين لم يتمتعوا بهذا النوع من الحرية التي ينشدها كل حي على وجه البسيطة ولو في المنام؟ وهل يتفكر النائبان

المحترمان - عند قيامهما في مجلس النواب بالدفاع عن حرية الاجتماع والخطابة في وهران تلك الحرية التي حرما منها- أن هناك في وهران نفسها وفي كامل القطر الجزائري أكثر من خمسة ملايين عباد مثلهما محرومين من الحرية بجميع معنى الكلمة وبأنواعها كلها"¹⁶.

كأن أبا اليقظان يثبت الحججة على النواب الفرنسيين الاشتراكيين لما انتفضوا بعد منعهم من القيام بالدعاية لحزبهم الاشتراكي في وهران، فكان الأجدر بهم أيضا أن ينتفضوا لمصادرة أبسط مظاهر الحرية لدى الشعب الجزائري، وكان عليهم أن ينقلوا احتجاجهم أيضا حول حالة الأهالي إلى مجلس النواب، ولم يقتصر الدفاع عن الحرية في جريدة وادي ميزاب فقط، فقد كانت جريدة النور أيضا تنشر مقالات تدور مواضيعها حول مصطلح الحرية، لكن بالمفهوم العام والشامل -بسبب تشديد الرقابة- ففي العدد 75 نشرت مقالا يحمل عنوان "الحرية الاجتماعية" لمراسلها من مدينة فاس المغربية، دار محتواه حول مفاهيم الحرية ومواضيعها، ويمكن أن نعتبر هذا التوجه الصحفي لجريدة النور في سنة 1933 بالتوجه الشجاع، لأن ما نشر عن الحرية بعد مرور 100 سنة على احتلال الجزائر مفقود تماما آنذاك وما صاحبه من مصادرة لمظاهر التحرر الاجتماعي مثل حرية التجمع وحرية التفكير وحرية المعتقد... الخ. ومن أنواع الحرية التي تبدو غائبة تماما في تلك الفترة -وتناولتها النور- هي "حرية الاجتماع، فلا تتم حرية الفكر ولا حرية البدن إذا منع الإنسان من الاجتماع، والحرية مبادلة لأفكار الشؤون العمومية حيث يتبين صحيح الأفكار من سقيمها، وحرية الاجتماع غريزة في النفس، لأن الإنسان مدني بالطبع، ومنها حرية الاعتقاد وهي من أقدس الحريات"¹⁷.

بالمقارنة فإن ما دار حول مفاهيم الحرية في جريدة النور من خلال هيئة تحريرها وعلى رأسها أبو اليقظان يدور حول فقدان مظاهر التحرر، وزيادة تطبيق القوانين الفرنسية المضادة لها مثل قانون الأهالي المجدد لعدة مرات والذي يتنافى تماما مع ما يتعلق بالحرية في الاعتقاد والفكر، والتجمع والرأي والاختيار، وقد يعد هذا رسالة مشفرة من أبي اليقظان إلى الجزائريين لما يحاك ضدهم من قوانين ومشاريع هدفها خنق حريتهم، وتجدر الإشارة إلى أن رأي أبي اليقظان في الحرية هنا، هو أن تكون مقرونة بالأداب الإسلامية إذ قال: "ما دامت الحرية خارجة عن آداب الإسلام وتعاليم الدين فهي كما قال الفتيان¹⁸ سلاح فتاك في يد صبي جاهل"¹⁹.

عموما فإن المتتبع لتطور لهجة الخط الصحفي في صحف أبي اليقظان يتحسس ذلك، ملموسا تماما في جريدته "النبراس" وفي العدد الأول منها خاصة، إذ طالعت هيئة تحريرها القراء بمقال

يحمل عنوان "بلادي" لا يمكن أن يفهم منه سوى كونه دعوة إلى النهوض والتخلص من قيود الاستعمار والتحرر منها بعد طول نوم وسبات عميق، فنجد أن صاحب المقال يكاد أن يفصح بالقول أن البلاد الجزائرية قد حان وقت تحررها، والقضاء على عبوديتها وعدم بقائها بين مد وجزر أيدي الاستعمار وحكامه المتعاقبون على إدارتها وفي الوقت ذاته دعت النبراس إلى الاقتداء بما قدمته الشعوب الأخرى من أبنائها ثمنا للحرية، إذ أوردت قائلة: "قدمت الشعوب ضحايا كثيرة من أبنائها تطلب عوضها شمس الحرية المضيئة ففازت بمنها وكلفت مساعيها بالنجاح والفلاح، أما أنت فلازلت سخرية الكروب وكرة قدم تتقاذفك النوائب والخطوب، فهل آن وقت طلوع شمسك مثل غيرك أم قد غربت وراء جبال الأبدية فلا طول لها ولا شروق"²⁰.

يعد هذا التوجه في الخط الصحفي لصحف أبي اليقظان توجها جديدا، إذ أصبحت لهجته في تصاعد، أثناء ركون الحركة الوطنية الجزائرية إلى الهدوء، وهو الوقت نفسه الذي طار فيه الاحتلال الفرنسي فرحا اعتقادا منه أنه قضى على آمال الجزائريين، وأفشل كل مخططاتهم ومشاريعهم سواء الإصلاحية، أو السياسية، لذلك يعد مقال النبراس بمثابة وخزة من شأنها أن تحقق الاستفاقة بين زعامات وتيارات النضال السياسي والإصلاحي الجزائري.

وعلى العموم فإن مفهوم الحرية عند أبي اليقظان ينطلق من المفهوم العام -الشامل- سواء عند الأفراد أو المجتمعات شريطة أن تكون مقيدة بضوابط أخلاقية ودينية، وتطور هذا المفهوم إلى غاية وصوله إلى الجانب السياسي بل تجاوزه إلى ضرورة تحرر البلاد الجزائرية من قيود الاحتلال الفرنسي.

3 : دعوة أبي اليقظان إلى الاهتمام بالقضايا الوطنية:

أ- عوامل بناء الشخصية الوطنية:

انطلق أبو اليقظان في فكرة الحفاظ على الهوية ، وبناء الشخصية الجزائرية والمطالبة ضمينا بالحرية من الذات الإنسانية في حد ذاتها الباحثة عن الاستقلال والتحرر الفردي، بالإضافة إلى اعتماده على المقوم الأساسي وهو الدين الإسلامي، أين تكلم عن مصطلح الأمية الدينية التي لم تتحقق في النهاية بسبب عدم تمتع الفرد المسلم باستقلاله الذاتي، وقد ركز أبو اليقظان على الفرد الجزائري الذي يعيش أوضاعا استعمارية خاصة، ورغم هذا لم يثنها أن تصبح عضوا فاعلا في دول العالم الإسلامي إذ قال: "أن الجزائر قد كانت من أكثر الأعضاء عملا في جسد الأمة الإسلامية، وليست هي من الأقوام القطريين الذين يزالون يعيشون عيشة القدماء، بل أنها

تقلبت في أدوار حضرية جديدة بكل اعتبار...فخلق بأمة كهذه بأن لا تنقاد إلى دافع اليأس وتخنع لسultan الفشل ...²¹.

كحلول ووسائل وجب على الجزائري تتبعها للنهوض والخروج من حاله والعودة إلى العز والتفكير في الاهتمام بقضايا الوطنية، وتحقيق الاستقلال الفردي أولاً، وذلك بالتعبير عن شخصه نظرة خدمة الآخرين، وإدراكه أن فكرة الحياة تقوم على واجبات وما يقابلها من حقوق، ومنه إثبات وجوده ، وفي حالة حدوث العكس "فإن ذلك الفرد يفقد كل ما يحتاج البشري أن يحافظ عليه، يفقد شخصيته وهمته الذاتية وكرامته وحرية عمله واعتقاده وتفكيره وتساميه إلى غاية من الغايات، فيكون أداة محرك مسخرة مسيرة عمياء صماء بكفاء لا إرادة لها ولا حرية ولا مبدأ"²².

ثاني العوامل التي يعتمدها أبو اليقظان في بناء الشخصية الوطنية يكون نتيجة لتحرر الفرد الذي يترتب عنه تحرر العقول ونهوض الفكر ونشاط العزيمة فتظهر النوادي والجمعيات ويتحقق الرقي العام، ولمعالجة داء الجمود وجب على الجزائري أن ينزع عنه روح الخنوع والانقياد والعمل لغيره.

ب- الاعتماد على النفس سبيل لنصرة القضايا الوطنية:

يبدو أن الدافع الحقيقي الذي جعل عثمان الكعاك يكتب في جريدة وادي ميزاب هو الحفاظ على هوية الفرد الجزائري كي يهتم بقضايا الوطنية، مع ضرورة تقمص كل جزائري روح الاستقلال الفردي وهذا بغية إدراكه ما من حقوق عليه كي تؤدي إليه الواجبات إذ صرح بالقول: "ونسعى إلى أن تنشئ فكرة الاقتراع في الجزائر فلا يبق هنالك اعتماد على الغير، ولا يبق فرد لا يعمل لفائدة وطنه مهما كانت أعماله"²³.

ومن الواضح أن هذا المقال هو بمثابة دعوة إلى الاعتماد على النفس ، وهو ما فهمته السلطات الفرنسية -فيما بعد- أنه دعوة إلى الثورة ضدها خاصة بعدما نشر أبو اليقظان مقالا تحت عنوان "الاعتماد على النفس"، ونظرا لتشديد الرقابة على صحفه فقد عولجت القضايا الهامة في شكل كتابة عامة، إذ اتبع أسلوب التلميح دون التصريح، ومثال ذلك ما أورده وادي ميزاب في العدد 16 في مقال تحت عنوان "الشعور بالواجب" أين حاول صاحبه إيقاظ الهمم ، وتوجيهها إلى ضرورة الاهتمام بالقضايا المطروحة على الساحة الجزائرية، والتفكير فيما يدور من مؤامرات ولقاءات تجاه المصلحة العامة للشعب، وبسبب حساسية وخطورة الإفصاح بشكل مباشر، عالجه من منطلق القضايا العامة للمسلمين، وفي الحقيقة كان كلامه موجه إلى

أطياف المجتمع الجزائري على اختلاف المذاهب الدينية والطبقات الاجتماعية، ملحا على ضرورة مساندة زعماء الأمة ، وعلمائها، ومفكرها ومرشديها في مساعهم الرامي إلى الحفاظ على الكيان الجزائري، إذ بين لهم خطورة عدم الشعور بهذا الواجب الوطني ونتيجة التقاعس عنه، ملمحا إلى بعض المصاعب التي تلاقي قادة الأمة في دفاعهم عن الدين والملة والبلاد، ووصف الشعور بالواجب كالسائق الوجداني إلى الجلائل والعظائم مهما كانت التكاليف أو كما قال أبو اليقظان بأن "إذا أراد الله خيرا توج عظماءها بهذه الفضيلة وملا قلوبهم شعورا بالمسؤولية فحملوا أمانة زعامتها وطاروا بها إلى قمة المجد والسيادة"²⁴.

لقد حدد أبو اليقظان وجود الشعور بالواجب سواء الوطني²⁵ أو الدين عند ذوي النفوس الشريفة المتطلعة إلى تحقيق المصلحة العامة والمتشعبة بالتربية والتهديب، وهذه الصفات توفر الأمة التي تتضامن مع زعمائها، وتتحمل معهم المسؤولية، وبالتالي بلوغ الرقي العقلي والفكري، أما إذا لم تتحمل الأمة مسؤوليتها فإنها مقبلة على حقوق مهضومة، ومصالح ضائعة "وهل يبقى أما هذا شأنها أحد يعمل ويعمل بجد وعزم وصدق وإخلاص لإعزاز شأنها وإعلاء كلمتها؟ كلا، نرى كثيرا من الأبطال والزعماء قد انقطعوا عن العمل وفسلوا وسط الطريق...نرى كثيرا من المؤسسات والمشاريع قد عطل سيرها وأغلقت أبوابها"²⁶.

يكون هذا كله بسبب إهمال المسؤولية وعدم الشعور بها تجاه قضايا الأمة وعدم تقدير الواجب، ولقد تواصلت المقالات التي تدعو إلى الاعتماد على النفس في النهوض بالقضايا الوطنية الجزائرية عبر صحف أبي اليقظان ومثال ذلك ما صدر في العدد 25 من وادي ميزاب التي نشرت حول الموضوع ما نصه: "نعم هناك سر كمين ألا وهو الاتحاد وثبات الإرادة والاعتماد على النفس وطهارة الوجدان...نعتمد على إرادتنا ونسعى في تلاقي أمورنا وإصلاح شؤوننا بأنفسنا...فهميات هميات أن نرجو الخير من الغير أو يكون لنا على صروف الدهر معينا ونصيرا"²⁷ ومن هنا يتضح لنا أن أبي اليقظان يعتمد في الدعوة إلى الاهتمام بالقضايا الوطنية على النفس دون الاتكال على غير أبناء الأمة، وعدم الانتظار من إدارة الاحتلال الفرنسي تحقيق الرغبات المطلوبة.

4: فكرة الوحدة الوطنية عند أبي اليقظان:

أ- مفهوم الوحدة الوطنية عند أبي اليقظان:

إن الوحدة الوطنية هي أولى القضايا التي تطرق إليها أبو اليقظان في العدد الأول من وادي ميزاب-بعد الافتتاحية مباشرة- في مقال اختار له عنوان "أيها الجزائري" بأسلوب النداء، وتخصيص الجنسية وهي محاولة أولى لبث الوطنية²⁸.

لقد حاول أبو اليقظان أن يحدد مقومات الوطنية ويبرزها للجزائريين، وهي عوامل موحدة إذ حصرها في الدين (الإسلام)، واللغة والجنس والحيز الجغرافي، ثم باقي العادات والتقاليد، واعتبر أن ركيزة هذه الوحدة أيضا هي الأخوة المتبادلة بين جميع عناصر المجتمع الساكنة فيه، إذ قال: "أيها الجزائري المسلم إنك أخو الجزائري المسلم ديناً ولغة وجنساً ووطناً وسروراً وألماً"²⁹.

كما أبرز أبو اليقظان خطورة وسلبيات الانحراف عن هذه المقومات وهي الضعف والاستكانة، وعدم الفاعلية وبالتالي المصير المجهول، وعليه نادى بوجود الحفاظ على تلك الركائز وضرورة الوحدة والتكامل والتأزر في الحقوق والواجبات، هذا مع إدراك أن القطر الجزائري هو وحدة جغرافية وتاريخية متكاملة، وعدم ترك الأفكار الداعية إلى التفرقة تظهر باعتبارها هدامة لا موحدة، إذ صرح بالقول: "ألم تر أن التداعي بالقبائل والطوائف، هذا عربي، وهذا مزابي، وهذا قبائلي لم يجن على البلاد والعباد غير الهلاك والخراب والدمار"³⁰.

من أجل تجاوز الخلافات وعوامل التفرقة ذكّر أبو اليقظان بالعلاقات المتينة التي تربط أفراد الوطن الجزائري من نسب، ومصاهرة، وجنس، ولغة...وهذا التذكير كان للمرة الثانية في مقال واحد وفي هذا دلالة على الحرص في تكوين الوحدة، هذا مع الدعوة إلى توحيد القوى، وعدم العمل بشكل فردي أو انفرادي، ووجه دعوة إلى كل جزائري من أجل العمل على تحقيق الوحدة قائلا: "أيها الجزائري إن الدين يدعوك والجزائر تستفز همتك و قوميتك، تناديك بصوتها الرخيم إلى الاستقامة، إلى العمل، إلى الاتحاد فإن السعادة في أنظارك في محطة العزة والفخار"³¹.

وعن جريدة العرفان نقل أبو اليقظان أهداف الوطنية الحققة وطرق تحصيلها، فمن خلالها وجه دعوة غير مباشرة إلى الزعماء والأغنياء بغية تشييد المدارس الوطنية التي تنقذ الأبناء من مخالب المدارس الأجنبية، التي سوف تحطم وطنيتهم و قوميتهم معا، كما وجه أيضا دعوة إلى الناشئة من الأجيال إلى حب الوطن والإخلاص له وتجنب التباعد والتشاجر والتحاسد رغم الاختلاف في المذاهب الدينية وفي المقابل حث أبو اليقظان على بث روح التسامح وعدم ترك

فرصة لكل من يتربص بالوطن، وإزالة لكل غموض وقدم مفهوما للوطنية إذ قال: "...هي تلك الروح المقدسة روح الوطنية فإنها أكبر عامل على تربية الأخلاق وتهذيبها، إذ بمقدار حب الرجال لوطنهم وإخلاصهم في خدمته تعرف أخلاقهم ويظهر شرف نفوسهم، قال بعضهم الوطنية حليفة الفضائل، ولا دليل على وطنية الرجل إلا أعماله وأمياله نحو هذا الواجب المقدس واجب الوطن المحبوب، ولا برهان على إخلاصه لبلاده إلا إذا كان عمله مفيدا لأبناء وطنه"³².

ب- دور زعماء الأمة في النهوض وتحقيق الوحدة الوطنية:

تجدد الإشارة إلى أن لزعماء الأمة دورا بارزا في تنشيط حركة الوحدة الوطنية على مختلف أنواعها مثل الوحدة الدينية والاجتماعية والسياسية، ومهما كان توجه هذه الزعامات الفكري أو السياسي أو دون ذلك فلهم الفضل الكبير في إيقاظهم الشعوب وتنوير عقولهم وتذليل عراقيل القيام والوحدة، ومادام الوضع بالجزائر في فترة ما بين الحربين يحتاج إلى هؤلاء، ونظرا لإدراك أبي اليقظان لدورهم توجه إليهم بالخطاب مبرزاً مكانتهم في المجتمع، وقد اعتبر هذا من باب دفع زعماء الأمة إلى النهوض والتحرك قصد الدفاع عن الدين، والوطن في وقت انتشرت فيه السياسة الفرنسية بالجزائر انتشار النار في الهشيم، إذ ظهرت مظاهر الانحلال الخلقي وشيوع الخمر، والفجور واتساع دائرة الجهل، كل هذا جعله يتساءل هل للأمة زعماء؟ هل لهم الخبرة والدراية الكافية لمعالجة هذه القضايا؟ وإن وجدوا هل للأمة روح الطاعة تجاه هؤلاء؟.

فقد اقترح أبو اليقظان حلاله هذه الوضعية - طبعاً بعد تحرك قيادات المجتمع من علماء ومثقفين ورجال أدب... الخ- إذ صرح قائلاً: "وهو أن تبذل الأمة كل ما في وسعها لتعليم أبنائها وتربيتهم تربية صحيحة ولا تتكل في ذلك على أحد... فتبني عرصات المدرسة وحول مناضدها يتخرج رجال الزعامة والإصلاح ورجال العلم والأدب ورجال الصناعة والزراعة والتجارة"³³.

وحسب أبي اليقظان فإنه يستوجب إحداث ثورة علمية وأدبية واقتصادية للنهوض بالأمة وإخراجها من واقعها خاصة من دائرة الجهل المتنامية يوماً بعد آخر، وهي ظروف مساعدة على الانشقاق والاختلاف وبالتالي ذهاب روح الوحدة، ومن أجل إعطاء الجو المناسب للزعماء الجديرين بالزعامة، وقصد النهوض بالأمة حدد واجبات الأمة نحو زعمائها وحقوقهم تجاهها.

فمن واجبات الزعماء -القادة- نحو الأمة ذلك النصح والإرشاد والإخلاص في العمل والتضحية في سبيل خدمتها، وبالمقابل وجب على الأمة تجاه زعمائها الطاعة واحترام أوامرهم ، والثقة بهم وحمائهم وبذلك تتكامل الأدوار من أجل تجسيد مشروع الوحدة الوطنية.

كما دافع إبراهيم أبو اليقظان عن الوطن والوطنية في جريدته وادي ميزاب في مرحلتها الأولى إلى غاية العدد 51، فعندما دخلت مرحلتها الثانية بدءا من العدد 52 أطلع جمهوره بمقال يتحدث فيه عن مفهوم الوطنية الحقيقية، وكأن به يقول أن الخط الصحفي للجريدة مازال مستمرا في المرحلة الثانية وهو الدفاع عن القضايا الوطنية، وفيه تحدث عن مفهوم الوطنية لدى فئة محددة من الجمهور وفند رأيهم فيها، لأنهم يرونها بمفهوم ضيق جدا وخاطئ ، فمن وجهة نظرهم عند القيام ببعض الأعمال والمشاريع فإنهم يخدمون الوطن بفتح مجالات الخمر والملاهي وإقامة الحفلات وكل هذا بدعوى استهلاك ما هو محلي وغيرها من التصرفات التي يخل منها الوطني الغيور الحقيقي، وفي هذا قال: "ليست هذه يا قوم من الوطنية في شيء"³⁴.

راح أبو اليقظان يعدد بعض الأمور الخاطئة في مفهوم الوطنية وفي الوقت ذاته يصحح مفاهيمها، فالجهل بتاريخ الوطن ليس من الوطنية، وعدم معرفة شخصياته ولغة ودين وأداب الوطن هي الأخرى لا تمت للوطنية بصلة، وشأنها شأن من يتفاخر بتاريخ غيره وأمجادهم، ولغتهم وعظائمهم، فكلها صفات لا ينبغي أن تتوفر فيمن يدعي الوطنية، ومن هذا يظهر أن أبو اليقظان ضد المفاهيم الخاطئة أو المغرضة تجاه مفهوم الوطنية، إلى جانب عدم ترك المفهوم ينتشر على ما هو عليه، بل صححه وأعلن قائلا: "إنما الوطنية الحققة أن يسعى الإنسان قدر جهده لجلب الخير العميم لوطنه... إن الوطنية الحققة أن يشقى الإنسان ليسعد وطنه ويذل ليعز ويفقر ليستغني ويموت ليحيا..."³⁵ وقدم أبو اليقظان بعض أسماء الشخصيات التي جسدت الوطنية في أوطانها كي تكون قدوة للجزائريين مثل سعد زغلول (مصر)، وعبد العزيز الثعالبي (تونس)، ومصطفى كامل، وشكيب أرسلان وغيرهم، وكما هو معلوم فإن الوطنية الصادقة تتطلب تفضيل المصلحة العامة على المصالح الذاتية، والتضحية بكل ما يملك الشخص من أجل وطنه، والمساهمة في دفع الضرر عنه بمقتضى العقل والشرع والقانون.

إن المتتبع لظروف صدور هذا المقال في أول عدد من وادي ميزاب في سنته الثانية (العدد 52) يلمح صدق ووطنية أبي اليقظان في الذود عن وطنه الجزائر بأسلوبه الصحفي الخاص طيلة فترة ما بين الحربين، ولا يكاد يصدر عدد من صحفه الثمانية إلا وفيه شيء يخدم الوطن في جانب من جوانب الحياة سواء في الاجتماع ، أو السياسة ، أو الدين أو الاقتصاد، والفترة

المذكورة سابقا تعد فترة حساسة للغاية للخوض في مثل هذه المواضيع الوطنية، أو حتى الكلام عن باقي المصطلحات الأخرى التي تخدم الوطنية أو على صلة بها مثل العدل، المساواة، الإنسانية، الحرية، القومية... الخ وذلك كون إدارة الاحتلال الفرنسي تعاقب من يخوض في هذه المواضيع وتعدده خارجا عن القانون، ولا يخدم مصلحة فرنسا في الجزائر.

يبدو أن أبا اليقظان لم يكتف فقط بتصحيح مفهوم الوطنية، بل تعدت فكرته إلى ضرورة إيجاد المواصفات الأساسية في من يحميها ويتبناها وهو "الوطني" الذي يبرز في وقت الشدة لمواجهة صعاب الأمور التي تعترض وطنه، لا أن يختفي حفاظا على ذاته أو مصلحته الخاصة، كما يؤكد أن الوطن يحتاج إلى أفراد المخلصين وقت البلاء والمحنة والضيق، إذ وصف الوطني المخلص في قوله: "لا يبالي إذا خدم وطنه أو أصيب في ماله أو نفسه أو عرضه لأجله بل لا يزيده ذلك إلا تنشيطا وتشجيعا وإقداما وثباتا وتجلدا"³⁶.

والظاهر أن أبا اليقظان قد تناول هذا الموضوع حول الوطنية لغرض توضيح الرؤية بين زعماء الحركة الوطنية الجزائرية آنذاك بقصد توحيد الجهود، وتوحيد المفهوم الصحيح للوطنية في وقت نادت جهات بالمساواة ولّحت أخرى إلى الإدماج.

ج- خطر الوشاية على الوحدة الوطنية:

يعتبر أبو اليقظان أن من أخطر الأمور التي تهدد الوحدة الوطنية والاجتماعية معا هي ظاهرة الوشاية³⁷ الممارسة من بعض معارضي الحركة الإصلاحية والتي تهدد الدين والوطن أيضا، وتختلف فيها أغراض الوشاة، فمنهم من يمتطيها من أجل الكيد والتنكيل ومنهم من أجل مصلحة أو راتب وغير ذلك، ويبدو أن هذا الخلق قد تفشى في ذوي النفوس الضعيفة من المواليين للاستعمار الفرنسي، بغية التقرب منه ومن إدارته، ولم يكتفوا بنقل الأخبار الداخلية فقط، بل راحوا يتهمون المصلحين بأنهم على علاقة بأحزاب أخرى خارج الوطن كالحزب الدستوري الحر، ودعم شخصياته مثل عبد العزيز الثعالبي وجمع التبرعات لفائدته، ومساندة آخرين كالباروني باشا وعبد الكريم الخطابي، وعند التهويل أكثر كان الوشاة يستعملون تهمة الشيوعية وإلصاقها ببعض الشخصيات للإسراع في الانتقام منها³⁸، ويصف أبو اليقظان وضع الواشي قائلا: "يتظاهر بالوطنية ويندرف الدموع على الإصلاح، ولا غرض له من ذلك سوى استمالة الأحرار إليه ليلتقط منهم حبات قلوبهم... إن هناك خططا منظمة ومحركات خفية للوشاية والسعاية ضد كل من تبدو منه بادرة إصلاح ديني أو قومي أو وطني..."³⁹.

لقد انطلق أبو اليقظان من الوشاية واعتبرها أخطر عامل يهدد الوحدة الوطنية، وعالجها من منطلق ديني لتوضيح أخطارها وآثارها لأن عمل الوشاة عزف ولمرات عدة على وتر الخطاب العصبي والمذهبي والجهوي، وهي عوامل مهددة لجمع الشتات، وفي ذلك أيضا فضح لهؤلاء قصد عدم الوقوع في مخططاتهم والتفطن إليهما، فقال: "إن أعمالهم لا تؤثر في سير حركتنا ولا توهن عزائمنا"⁴⁰.

ومن شدة اعتناق مبدأ الوطنية إلى درجة الغيرة عند أبي اليقظان الذي اعتبرها هي العامل الأساسي في رقي الأمم وسعادتها، وهي مقرونة تماما بالتقدم والحرية والمساواة، فعند الابتعاد عنها أو التخاذل عن تحقيقها من شأنه أن يضعف وحدة الأمة، حث على تجسيدها ميدانيا بكل مقوماتها، مقدما نموذجا بالأمة العربية بما فيها الجزائر والمصير الذي آلت إليه عند تخلها عن الوطنية، أين اضمحلت وأهينت وزادت قبضة الأجانب عليها، ومن جهة أخرى قدم نموذجا للأمة الغربية لما اعتزت بقوميتها ووطنيتها وما وصلته إليه من وحدة وتماسك، ومن أسلوب المقارنة الذي جاء به كان قصده التشجيع على اعتناق مبادئ الوطنية والسعي إلى تحقيقها، مقدما مفهوما آخر للوطنية إذ قال: "فالوطنية إذا هي النور الناصع الفريد والتيار الكهربائي الوحيد الذي يسير بالأمة إلى حيث التمدن والحضارة، إلى حيث المساعدة والرقي، وبقدر تمكنه من النفوس يكون التقدم والارتقاء أقوى، وبمقدار فقدانه من القلوب يحيد الشعب عن جادة الصواب، ويتعد عن كبد الحقيقة، ويميل إلى ناحية التقهقر وإتباع الذات..."⁴¹.

د- آثار التخلي عن الوطنية:

ينبذ أبو اليقظان⁴² كل متعاس عن الوطنية التي اعتبرها من الدين يحاسب عنها من تركها، واعتبر هؤلاء المتعاسين هم السبب في اضمحلال الأمة، وتلاشيها وتراجعها وتقهرها، فهم بمثابة الداء الوبيل في جسد الأمة، وعند تطبيق مفهوم الوطنية بوجه خاص على الأمة الجزائرية فإننا نجد أنها قد تراجعت حالها بعدما أن كانت متجهة نحو التقدم، وربما يكون أبو اليقظان يشير هنا إلى دور سياسة الاحتلال الفرنسي في إضعاف الوطنية بعد انتزاع السيادة من أهلها، إذ أصبح الأهالي بعدها في حالة جهل ومن أضعف الأمم من الناحية الأدبية والمادية، وما سبب ذلك إلا التخلي عن الوطنية والتجرد من مبادئها، وأورد بعض المظاهر الناتجة اثر التخلي عن الوطنية وما ترتب عنها مثل: تقليد الأجانب وعدم الاعتبار للمقومات، كما كانت النتيجة أن أصبح أبناء الأمة من الدّ أعداء الوطن والوطنية واللغة، فقد أصبحوا يحسنون لغات الأجانب أكثر من لغتهم الأصلية، ولعلاج هذا الوضع الذي حل بالأمة الجزائرية بفعل التخلي عن الوطنية

وجه أبو اليقظان دعوته إلى مفكري البلاد وعلمائها ومصالحها بغرض تدارك الوضع ، ونشر الوحدة الوطنية على أوسع نطاق، موضحا سبيل تحقيق ذلك فقال: "بني وطني وحدوا رابطتكم واجمعوا أشتاتكم وضموا شملكم، وخلوا جانب الشقاق فإنه لا يجدي نفعا...وكونوا جمعية إصلاحية تجعل غايتها الوحيدة إحياء الأمة وتسعى بكل قواها في إنشاء المشاريع الخيرية...كأن تؤسس مدارس كبرى وكليات عظمى لتربية الناشئة بالتربية الصحيحة وتغرس في نفوسهم حب الوطن..."⁴³.

يكون أبو اليقظان بهذا الاقتراح قد حدد أهمية ودور الروح الوطنية في توحيد صفوف الأمة، كما حدد آثارها ومقوماتها، مبينا سبل تحقيقها، وطرق تفعيلها، وليس من السهل أن يخوض إمرؤ في مثل هذه القضايا الوطنية إبان ظروف استبداد الإدارة الفرنسية بالجزائر، وتشديد الرقابة على كل ما هو عربي إسلامي وطني، ورغم ذلك فقد تطرق أبو اليقظان إلى القضايا الوطنية السياسية ، رغم أنه أعلن مسبقا كرهه لها واستعاضته منها، وقد حركته روحه الوطنية بعدما أدرك مخاطر إهمال المبادئ الوطنية، تلك الروح التي تنبعث منها الحرية، لقد اشترط بأن تلازم الأقوال الأفعال إذا أردنا تحقيق الوطنية، داعيا بذلك إلى تجنب كثرة الكلام إذ صرح بالقول: "فالوطني هو الذي تراه عمله أكثر من قوله، ولا يقصد من أعماله سوى إرضاء ربه وإصلاح وطنه لا غير"⁴⁴.

ه- بعض الشروط الأخرى لتحقيق الوطنية:

أضاف أبو اليقظان بعض الشروط الأخرى على غرار الاستعداد التام لدفع الغالي والنفيس من أجل الوطنية⁴⁵ مع تحمل الأحزان والآلام، وعدم الإكثار من النقد الذي يحط من العزيمة ونبذ كل مظاهر الباطل، وهنا ربما يكون يشير إلى نبذ باطل الإدارة الفرنسية وسياستها التعسفية، ولإيجاد المقومات المادية التي تحتاج إليها الوطنية أشار إلى ضرورة إنشاء الشركات الصناعية ، والمعامل وتأسيس المطابع لطبع الكتب والجرائد والمجلات الحرة، داعيا كل تيارات الإصلاح إلى العمل على تحقيقها قائلا: "فالواجب إذأ على كل من ينتمي لحزب الإصلاح، ويحب المساعدة للبلاد والخير للعباد ويدعي بأن له غيرة على قوميته أن يسعى ليله ونهاره في إيجاد ما ينير بلاده في مضمار العيش ومعتك الحياة إلى أن تبلغ ضالتها"⁴⁶.

ونظرا لغيرة أبي اليقظان على مسار الحركة الوطنية الجزائرية فقد كتب الكثير عن الأسباب المثبطة لعزيمتها والمساهمة في دفعها نحو العمل السلبي دون التقدم والارتقاء في المطالب، ومن العوامل التي شخصها واعتبرها العوامل الأولى والأساسية في ضعف رجال الحركة الوطنية نجد

الرفاهية والترف، إلى جانب الخوف على المناصب والمصالح الشخصية، وهذا ما جعل العامة من الشعب تشكك في إخلاص الذين يتزعمونها ويقودونها، وذلك حفاظا على راحة بالهم من حيث المنصب والجاه والمال، ويوضح أبو اليقظان أن هذه الصفات ليست من خصائص كل الزعماء، فقد يوجد من هو عكس هذا الوضع، وربما يكون قد نبّه هنا إلى تيارات سياسية بعينها سقطت في ملايين الإدارة الفرنسية، وعدم قدرتها على تمثيل المطالب الحقيقية للجزائريين.

الظاهر أن أبا اليقظان يريد الوصول بزعماء الحركة الوطنية إلى اكتساب الخبرة العالية في ميدان الكفاح القومي والوطني على غرار زعماء الحركة في الهند وغيرها، ويوضح أن الكفاح الحقيقي يشترط التضحية الكبرى بحيث تساوى عند الزعيم الوطني التعب والراحة، النعيم والبؤس، الجاه وفقده أو المنصب وعدمه، وأن يصبح كل همه خدمة المصلحة العامة لوطنه دون انتظار مصالح أو مطامح شخصية أخرى، وشخص الحل في ضرورة التنازل لدى الزعماء عن مظاهر الترف والرفاهية وعدم المبالاة بالمراكز والمناصب والقيام بالتضحية المستمرة، وبالتالي تنشأ مجموعة قائدة في حقل الوطنية، وأفصح أبو اليقظان بالقول: "ما لم نهضم هذا ونمزق ذلك الحجاب الكثيف الذي ضربه الرفاه والترف بيننا وبين الإيمان الصادق تظل حركتنا الوطنية ضعيفة بليدة مشلولة وتقليدية معا، ولا يمكن أن نصل منها إلى مواقف حاسمة ونتائج محمودة..."⁴⁷.

كما واصلت هيئة تحرير جريدة النور في شرح مفهوم الوطنية ومواصفاتها، حيث أقرنت هذه المرة الوطنية بضرورة العمل على تحقيق كل ما يطلبه ويتطلبه الوطن من تضحية وفداء، وأثبتت أنّ الوطنية هي عقيدة وعمل، وأعلنت أنها ما هي "...إلا العمل في طي الخفاء، بعيدا عن كل رقيب، لأن الوطني إذا أكثر اللفظ في المجامع وأذاع إعلانا عن نفسه بين الناس قبل أن يؤدي للمجتمع خدمة جليلة الشأن، خليق بأن يحشر في زمرة الذين يقولون ما لا يفعلون"⁴⁸.

من هذا التصريح يتبين لنا أن الوطنية عند أبي اليقظان هي تلك المقرونة بالعمل والفعل، والبعيدة عن الأفكار الخيالية والنظريات الفاشلة، وتكاد تكون الوطنية عنده ممارسة فعلية تترجم إلى أفعال حقيقية واقعية، وليست شعارات تظهر في المناسبات، فهي -الوطنية- تلبية لنداء الوطن عند الخطر أو الحاجة وتقديم التضحية من أجله، وفي الوقت ذاته وجهت الجريدة دعوة صريحة إلى متشدّقي الوطنية بأن عليهم تطهير نفوسهم من الرياء وحب الظهور، وأن لا ينتظروا مقابل عمل لم يقدّموا حقه، ولم ينجزوه حيث قالت فهم: "وكم أعجب من

أولئك الذين يحسبون أن في استطاعة كل أحد أن يتقمص جلباب الوطنية، وأن يجعلها لقباً موقوفاً عليه دون سواه، وما علموا أن الوطنية لا تلبس قناتها إلا لمن يحسن الغمز ويصيب الهدف ولا يخطئ إلا قليلاً...⁴⁹.

وعليه فإن الوطنية بهذا المفهوم تستلزم التضحية بكل ما هو ثمين ونفيس إرضاء للضمير والوطن، وما دون ذلك فهو تقاعس، وما تولي المناصب دون القدرة عليها والكفاءة اللازمة إلا ضرباً من الضروب المنافية للوطنية، وبالتالي فلا يقبض على ناصيتها إلا مجاهد أصبح كفوفاً ومستحقاً لها، ويطمح أبو اليقظان من وراء تحقيق الوحدة الوطنية إلى أن "تترف راية الألفة والمحبة بين سكان الجزائر، فلا عرب، ولا قبائل، ولا بني ميزاب، وإنما هناك إخوة مسلمون تجمعهم كلمة التوحيد والمصالح المشتركة العامة"⁵⁰.

و- الدعوة إلى تأسيس الأحزاب السياسية ونبذ الخلافات:

بعد أن استكمل أبو اليقظان الحديث عن عناصر الوحدة الوطنية وسبل تحقيقها، فكر في أن التكتل السياسي والحزبي يخدم القضايا الوطنية الكبرى، على غرار ما هو واقع لدى الأمم والشعوب الأخرى، فقد دعا إلى إنشاء حزب سياسي -هيئة- تكون مهمتها معالجة أممات القضايا، وذلك بعد الذي رآه من عجز ونقص في هذا الجانب، فلا أحزاب ولا جرائد تتمتع بالحرية، ولا اتحادات سياسية رغم أن القضية الجزائرية تعد من القضايا الوطنية الكبرى والتي تسارعت بها الأحداث وتشعبت أمورها، لذلك أصبح إنشاء حزب سياسي جزائري من الضروريات السياسية يسيره حكماء من ذوي المبادئ الوطنية، وقد جاءت فكرة تأسيس حزب سياسي وطني جزائري لدى أبي اليقظان على إثر اجتماع جمعية النواب يوم 1934/09/24 بقسنطينة للنظر في مسألة الترشح للمناصب الستة من نيابة العمالة، فقد اعتقد أن تأسيس الحزب قد ينوب عن الأهالي في مثل هذه المناسبات، ويعد ظهور بعض الأحداث على الساحة - كحادثة قسنطينة 1934- من الأسباب التي أفرزت ظهور الزعماء للدفاع عن الأمة، وفي هذا صرح أبو اليقظان قائلاً: "ها هي عصفت حوادث قسنطينة وتمخضت عن مجزية عظيمة من الطراز العالي ذلك هو الدكتور ابن جلول ورجاله"⁵¹.

من المواقف التاريخية التي سجلها أبو اليقظان كتجسيد للوحدة الوطنية وتقوية الصفوف حين تدخل من خلال جريدته الأمة في محاولة لتقريب وجهات النظر بين جريدتي البصائر والميدان، على إثر الخلاف الذي نشأ بينهما في مسألة خروج الشيخ بلقاسم الزغداني من مدرسة

التربية والتعليم بقسنطينة بسبب خلاف مع السيد عبد الحفيظ الجنان⁵² وهو الصراع الذي كاد أن ينتقل بين رئيس جمعية العلماء الشيخ عبد الحميد بن باديس، ورئيس جمعية النواب محمد الصالح بن جلول.

ولتقريب وجهات النظر بين الطرفين وحتمهما على تجاوز الخلاف قالت الأمة: "فكلا الرئيسين محبوب ومحترم، ومبجل ومعظم عند الخاصة والعامة، وكلاهما مستحق الشكر والتبجيل من الشعب كله على ما يقوم به من الدفاع عن الأمة والذود عن الدين والوطن والإسلام"⁵³.

ودعت جريدة الأمة من خلال هيئة تحريرها إلى تكوين لجنة من العقلاء والمخلصين للدين والوطن من أجل رأب الصراع وتجاوزه وتركه أصلا، كما نددت بانتقال الصراع من بين شخصين إلى بين هئتين وزعيمين -رئيس العلماء ورئيس النواب- وأوضحت أن جمعية العلماء جمعية علمية دينية وجمعية النواب هي جمعية سياسية تدافع عن الأمة، وعليه فكل في ميدانه، وبطريقته من أجل الوحدة الوطنية واسترجاع الحقوق الجزائرية، كما وجهت نداء إلى كتاب البصائر والميدان بالكف عن الكتابة في هذا الموضوع "وذلك لأجل خدمة القضية الجزائرية التي هي فوق المنازعات الشخصية والتي لا تصلح ولا تفلح إلا باتحادنا واتفاقنا في كل شيء"⁵⁴.

الخاتمة:

مما سبق يمكن القول أنّ شخصية الشيخ إبراهيم أبو اليقظان كانت شخصية داعية إلى الوحدة الوطنية بجميع مفاهيمها وفي عملت السياسة الاستعمارية على تكسيها وبثّ الخلافات داخل صفوفها، واللجوء إلى زرع الفتن بين أقطابها للنيل منهم ، فقد قدّم مفهومه للحرية وأوضح أنّها مطلب شعبي عام في جميع أنحاء العالم وليس قي المستعمرات فقط ، ومن أجل ذلك كان لأبي اليقظان مواقف مشرفة في التعبير عن الحرية أمام الساسة الفرنسيين ، ومن أجل تدعيمها دعا إلى الاهتمام بكل القضايا الوطنيّة مركزا في كل هذا على زعماء الحركة الإصلاحية بالدرجة الأولى ودعاهم إلى التهيكل والتوحيد داخل حزب سياسي من خلاله يمكنهم رفع مطالبهم وانشغالاتهم أمام الإدارة الفرنسية، ولتجسيد مشروع الوحدة الوطنية قدّم أبا اليقظان شروطا من شأنها أن تساعد على العمل الوحدوي وتجاوز كل ما من شأنه أن يكون حاجزا أماها ، وفي الوقت ذاته أبرز أخطار التخلي عن الوطنية الحقّة وما يلحقها من تفرقة ، إنّ ما طرحه الشيخ إبراهيم أبو اليقظان في ما تعلّق بمسألة الهوية الوطنية ، وفضحه للسياسة الاستعمارية كان قد عجزت عنه شخصيات سياسية كبرى في تلك المرحلة وعليه فقد مثّلت صحافته منبرا حرا للوطنية وبناء الوحدة ومنه الوقوف في وجه الاحتلال الفرنسي .

الهوام:

- 1- كان موقف أبي اليقظان معاديا للسياسة ظاهريا فيما يشبه موقف محمد عبده الذي لعنها، وهذا ما أعابه عليه محمد قنانش واعتبره تخلي عن أرقى فن من الفنون. للمزيد ينظر: محمد قنانش: المواقف السياسية بين الإصلاح والوطنية في فجر النهضة الحديثة، ش، و، ن، ت، الجزائر، د ط، د ت، ص 58.
- 2- أديب و...: "أعوذ بالله من السياسة"، جريدة البستان، العدد 06، ص2.
- 3- عبد العزيز الثميني: "الحرية أساس السعادة"، وادي ميزاب، العدد 24، 18 ماي 1927، ص2.
- 4- يؤكد الشيخ عبد الحميد بن باديس على أن "حق الإنسان في الحرية كحقه في الحياة، ومقدار ما عنده من حياة هو مقدار ما عنده من حرية". للمزيد ينظر: محمد الميلي: ابن باديس وعروبة الجزائر، طبع وزارة الثقافة 2006 ص46.
- *يخلص صاحب المقال إلى أن العرب نشأوا في جاهليتهم وإسلامهم على الحرية التامة لا يعرفون أمرا ولا قانونا، ولهم وحدهم الفضل الأعظم في نشر هذا المبدأ الصحيح في العالم حتى صاروا أساسا لكل رقي وشرفا لكل شعب". عبد العزيز الثميني: "الحرية أساس السعادة"، وادي ميزاب، العدد 24.
- 5- المصدر نفسه.
- 6- المصدر نفسه، ص 2.
- 7- حرية إبداء الرأي السياسي كحق مكتسب ومشروع تعني ممارسة الحرية السياسية التي تعني حتما انعدام وزوال الرقابة على الفكر والنقد، والنشر والطبع وغيرها.
- 8- عبد العزيز الثميني: "الحرية أساس السعادة"، وادي ميزاب، العدد 24 السابق.
- 9- المصدر نفسه.
- 10- دون إمضاء: "ماهي الحرية الحقّة"، وادي ميزاب، العدد 26، 01 أبريل 1927، ص1.
- 11- المصدر نفسه.
- 12- دون إمضاء: "ماهي الحرية الحقّة"، وادي ميزاب، العدد 26 السابق، ص2 ع1.
- 13- المصدر نفسه.
- 14- حمون بن الحاج: "العلم والحرية"، وادي ميزاب، العدد 42، 29 جويلية 1927، ص1.
- 15- المصدر نفسه، ص1.

- 16- دون إمضاء: "عضوان بمجلس النواب يحتجان ضد مسلك شيخ مدينة وهران"، جريدة المغرب، العدد 23، 30 ديسمبر 1930، ص 3.
- 17- فتیان: "الحرية الاجتماعية"، جريدة النور، العدد 74، 27 مارس 1933، ص 3.
- 18- هو مراسل جريدة النور اليقظانية من مدينة فاس المغربية.
- 19- فتیان: "الحرية الاجتماعية"، جريدة النور، العدد 27 السابق، ص 3.
- 20- أنيس: "بلادي"، جريدة النبراس، العدد 01، السابق، ص 3.
- 21- عثمان الكعاك: "المبدأ الشعبي"، وادي ميزاب، العدد 2، 08 أكتوبر 1926، ص 2.
- 22- المصدر نفسه.
- 23- عثمان الكعاك: "المبدأ الشعبي"، وادي ميزاب، العدد 2، 08 أكتوبر 1926، ص 2.
- 24- دون إمضاء: "الشعور بالواجب"، وادي ميزاب، العدد 16، 14 جانفي 1927، ص 1.
- 25- حول اتجاهات الحركة الوطنية الجزائرية في ما بين الحربين ينظر: بشير بلاح: تاريخ الجزائر المعاصر من 1830 إلى 1989، ج 1، دار المعرفة، الجزائر، 2006، ص 351.
- 26- دون إمضاء: "الشعور بالواجب"، وادي ميزاب، العدد 16، السابق، ص 1.
- 27- بكبر بلحاج سليمان: "سعادة الأمة بقوة إرادتها لا بكثرة سوادها"، وادي ميزاب، العدد 25، 25 مارس 1927.
- 28- يتعدى مفهوم الوحدة من الوطنية إلى الوحدة العربية عامة عند الشيخ إبراهيم أبي اليقظان، لأن الفكرة عنده أشمل من أن تكون قطرية فقوامها عنده هو العروبة والإسلام. للمزيد حول الموضوع ينظر: الرزقي خيرى: "صدى الوحدة العربية في صحافة الشيخ إبراهيم أبو اليقظان، جريدة الأمة نموذجاً 1934-1938"، دورية كان التاريخية، المرجع السابق، ص 92، 98. وأيضا: الرزقي خيرى: "المسألة السورية في اهتمامات الشيخ إبراهيم أبو اليقظان"، مجلة الحكمة، المرجع السابق، ص 107-126.
- 29- أبو اليقظان: "أمها الجزائري"، وادي ميزاب، العدد 1 السابق، ص 3ع1.
- 30- المصدر نفسه.
- 31- أبو اليقظان: "أمها الجزائري"، وادي ميزاب، العدد 1 السابق، ص 3ع1.
- 32- عن العرفان: "عناصر الرقي"، وادي ميزاب، العدد 14، 01 جانفي 1927، ص 1.
- 33- دون إمضاء: "الأمة والزعماء"، وادي ميزاب، العدد 39، 08 جويلية 1927، ص 1.
- 34- دون إمضاء: "الوطنية الحققة"، وادي ميزاب، العدد 52 السابق، ص 1.

- 35- دون إمضاء: "الوطنية الحقّة"، وادي ميزاب، العدد 52 السابق، ص1.
- 36- دون إمضاء: "الوطنية الحقّة"، وادي ميزاب، العدد 52 السابق.
- 37- يقول أبو اليقظان عن الوشاية: "هي نقل الكلام عن شخص على وجه الإفساد إلى مستبد للانتقام منه".
- 38- يعدد أبو اليقظان أسماء بعض الشخصيات الوطنية التي كانت ضحية الوشاية منهم: السيد با سعيد بن الحاج داود، والحاج صالح بن محمد، والحاج إبراهيم بن أيوب، والشيخ بكير بن الحاج إبراهيم العنق، وصالح بن يحيى ومحمد الرياحي، وإبراهيم أطفيش، وكلهم يمثلون زعامات الإصلاح في وادي ميزاب. للمزيد ينظر: (Brahim- ben Youcef), Le M'Zab espace et Société, imprimerie Abou Daoud, El Harrach, Alger
- 39- دون إمضاء: "الوشاية"، وادي ميزاب، العدد 59، 02 ديسمبر 1927، ص1.
- 40- المصدر نفسه.
- 41- أحمد بن الحاج يحيى: "أين الوطنية"، وادي ميزاب، العدد 85، 02 جوان 1928، ص2.
- 42- تناول الحاج موسى بن عمر بكثير من التفصيل وجهة نظر أعلام ميزاب إلى القضايا الوطنية وغيرها. لتوسيع الفكرة ينظر: الحاج موسى بن عمر: القضايا الوطنية والعربية والإسلامية من منظور أعلام ميزاب (1902-1962)، رسالة دكتوراه، جامعة الجزائر، 2007.
- 43- أحمد بن الحاج يحيى: "أين الوطنية"، وادي ميزاب، العدد 85 السابق، ص2.
- 44- أحمد بن الحاج يحيى: "أين الوطنية"، وادي ميزاب، العدد 85 السابق، ص2.
- 45- يقترن مفهوم الوطنية في جريدة وادي ميزاب بمفهوم الحرية والسيادة، وجاء هذا التطرق إلى القضايا السياسية رغم أن الجريدة أعلنت عن كونها إصلاحية اجتماعية، وصاحبها يكره الخوض في المواضيع السياسية، ورغم هذا فإن وادي ميزاب قد انغمست في القضايا السياسية إلى أبعد حدود، وأصبحت تطرق تلك المواضيع السياسية في أوقات حساسة، ومن تلك الكتابات حول الحرية ما ذهب إليه الفرقد في العدد 93 منها بمقال تحت عنوان "شؤون وشجون" متحدثا عن عيد الحرية الفرنسية الموافق لـ 14 جويلية من كل سنة بالجزائر إذ قال: "يوم 14 جويلية يحتفل الفرنسيون بذكرى نيل حريتهم بعدما كانوا تحت نير الاستعباد والاستبداد المملوكي...وقد نالوها بعد جهاد طويل وتضحيات كبيرة، نالوها بعدما كانت فرنسا بمثابة الأمة الجزائرية اليوم...أما فرنسا فقد فازت وها هي اليوم تتمتع بثمرات جهادها الوطني، فهل يسمح الدهر للأمة الجزائرية بشعاع من هذا العيد". وتصريح الفرقد واضح تماما وهو الحديث عن الحرية التي هي عكس الاستعمار

والاستعباد ومنطلقا من تاريخ الشعب الفرنسي في حد ذاته وكيف ضحى من أجل حريته فهل طبق هذا في الجزائر؟ وفي العدد نفسه (العدد 93 من وادي ميزاب) تورد الجريدة قصيدة بعنوان "الحرية" لصاحبها رمضان حمودة. لتكوين فكرة أوسع يراجع : Gouvernement général de l'Algérie: Délégations financières Algériennes; Novembre 1935 , N°02 , Alger , imprimerie Solal , 1936 .

46- أحمد بن الحاج يحي: "أين الوطنية"، وادي ميزاب، العدد 85 السابق، ص2. للمزيد يراجع : - Charl Robert Agéron : L'Algérie Algérienne de Napoléon III a de Gaulle, imprimer tardy, Paris 1980 .

47- محمد عزة دروزة: "نقطة الضعف في إيماننا الوطني"، جريدة النور، العدد 08، 03 نوفمبر 1931، ص2.

48- غريب عبد الرحمان: "لا وطنية بدون عمل"، النور، العدد 51، 04 أكتوبر 1932، ص3.

49- المصدر نفسه.

50- نائم: "في المنام"، جريدة البستان، العدد 04 ، 02 أكتوبر 1934، ص2.

51- دون إمضاء: "هل في الإمكان تأسيس حزب وطني جزائري"، جريدة الأمة، العدد 03، 02 أكتوبر 1934.

52- نشرت جريدة البصائر هذا الحدث في عددها رقم 88 ونشرته جريدة الميدان في أعدادها 19، 21، 22.

53- دون إمضاء: "نداء إلى كتاب جريدتي البصائر والميدان"، جريدة الأمة، العدد 148، 28 ديسمبر 1937، ص3.

- دون إمضاء: "نداء إلى كتاب جريدتي البصائر والميدان"، جريدة الأمة، العدد 148 السابق ، 54 وللمزيد حول مسألة الهوية الوطنية وصراع زعماء الأمة مع الإدارة الفرنسية وعلى الخصوص في منطقة وادي ميزاب من خلال الصحافة العربية ينظر على التوالي للمصادر والمراجع التالية : lhaddaden (Z ahir) : Histoire de la presse indigène en Algérie jusqu'au 1930. E.N.A.L, 1983..

- Dadi addoun (Aicha) : Sociologie et Histoire des Algériens Ibadites, Imprimerie El Arabia, Ghardaïa, 1977.

قائمة المصادر والمراجع:

أولا: بالعربية

* المصادر :

- 1/ أديب و...: "أعوذ بالله من السياسة"، جريدة البستان، العدد 06.
- 2/ عبد العزيز الثميني: "الحرية أساس السعادة"، وادي ميزاب، العدد 24، 18 ماي 1927.
- 3/ عبد العزيز الثميني: "الحرية أساس السعادة"، وادي ميزاب، العدد 24.
- 4/ دون إمضاء: "ما هي الحرية الحقة"، وادي ميزاب، العدد 26، 01 أفريل 1927.
- 5/ حمو بن الحاج: "العلم والحرية"، وادي ميزاب، العدد 42، 29 جويلية 1927.
- 6/ دون إمضاء: "عضوان بمجلس النواب يحتجان ضد مسلك شيخ مدينة وهران"، جريدة المغرب، العدد 23، 30 ديسمبر 1930.
- 7/ فتیان: "الحرية الاجتماعية"، جريدة النور، العدد 74، 27 مارس 1933.
- 8/ أنيس: "بلادي"، جريدة النبراس، العدد 01.
- 9/ عثمان الكعك: "المبدأ الشعبي"، وادي ميزاب، العدد 2، 08 أكتوبر 1926.
- 10/ دون إمضاء: "الشعور بالواجب"، وادي ميزاب، العدد 16، 14 جانفي 1927.
- 11/ دون إمضاء: "الشعور بالواجب"، وادي ميزاب، العدد 16.
- 12/ بكير بلحاج سليمان: "سعادة الأمة بقوة إرادتها لا بكثرة سوادها"، وادي ميزاب، العدد 25، 25 مارس 1927.
- 13/ أبو اليقظان: "أيها الجزائري"، وادي ميزاب، العدد 1.
- 14/ عن العرفان: "عناصر الرقي"، وادي ميزاب، العدد 14، 01 جانفي 1927.
- 15/ دون إمضاء: "الأمة والزعماء"، وادي ميزاب، العدد 39، 08 جويلية 1927.
- 16/ دون إمضاء: "الوطنية الحقة"، وادي ميزاب، العدد 52.
- 17/ دون إمضاء: "الوشاية"، وادي ميزاب، العدد 59، 02 ديسمبر 1927.
- 18/ أحمد بن الحاج يحيى: "أين الوطنية"، وادي ميزاب، العدد 85، 02 جوان 1928.
- 19/ أحمد بن الحاج يحيى: "أين الوطنية"، وادي ميزاب، العدد 85.
- 20/ محمد عزة دروزة: "نقطة الضعف في إيماننا الوطني"، جريدة النور، العدد 08، 03 نوفمبر 1931.
- 21/ غريب عبد الرحمان: "لا وطنية بدون عمل"، النور، العدد 51، 04 أكتوبر 1932.

- 22/ نائم: "في المنام"، جريدة البستان، العدد 04 ، 02 أكتوبر1934.
- 23/ دون إمضاء: "هل في الإمكان تأسيس حزب وطني جزائري"، جريدة الأمة، العدد 03، 02 أكتوبر 1934.
- 24/ دون إمضاء: "نداء إلى كتاب جريدتي البصائر والميدان"، جريدة الأمة، العدد 148، 28 ديسمبر 1937 .

* **المراجع :**

- 25/ محمد قنانش: المواقف السياسية بين الإصلاح والوطنية في فجر النهضة الحديثة، ش، و، ن، ت، الجزائر، د ط، د ت.
- 26/ محمد الميلي: ابن باديس وعروبة الجزائر، طبع وزارة الثقافة 2006.
- 27/ بشير بلح: تاريخ الجزائر المعاصر من 1830 إلى 1989، ج1، دار المعرفة، الجزائر، 2006.
- 28/ خيرى الرزقي: "صدى الوحدة العربية في صحافة الشيخ إبراهيم أبو اليقظان، جريدة الأمة نموذجاً 1934-1938"، دورية كان التاريخية، العدد 25 .
- 29/ خيرى الرزقي: "المسألة السورية في اهتمامات الشيخ إبراهيم أبو اليقظان"، مجلة الحكمة ، العدد 28.
- 30/ الحاج موسى بن عمر: القضايا الوطنية والعربية والإسلامية من منظور أعلام مبرز (1902-1962)، رسالة دكتوراه، جامعة الجزائر، 2007.

ثانياً: بالفرنسية

- ben Youcef (Brahim)31/ Le M'Zab espace et Société, imprimerie Abou Daoud, El Harrach, Alger.
- 32/ Gouvernement général de l'Algérie: Délégations financières Algériennes ; Novembre 1935 , N°02 , Alger , imprimerie Solal , 1936 .
- 33/ Charl Robert Agéron : L'Algérie Algérienne de Napoléon III a de Gaulle, imprimerie tardy, Paris 1980 .
- 34/ Ihaddaden (Z ahir) : Histoire de la presse indigène en Algérie jusqu'au 1930. E.N.A.L, 1983.
- 35/ Dadi addoun (Aicha) : Sociologie et Histoire des Algériens Ibadites, Imprimerie El Arabia, Ghardaïa, 1977.

منهج ابن خلدون في الدراسات الاجتماعية

Ibn Khaldoun Method in social studies

د. سميحة عليوات

أستاذة محاضرة-ب-

جامعة باجي مختار - عنابة

الملخص:

لم يكتب ابن خلدون باستحداث علم العمران البشري وتبيان مجالاته وأهدافه فحسب بل رسم له منهجا يختلف عن دراسة المادة الصلبة ليقرب نتائجه من الدقة والموضوعية، من خلال اعتماده على ثلاث خطوات هي تبيان موقفه الرافض للفلسفة اليونانية ومورثاتها العقيمة، ثم تبيان أخطاء المؤرخين وأسبابهم في ذلك، ثم بين سبل تجاوز الأخطاء وحدد بدقة أصولا منهجية تصلح للحقائق الاجتماعية، جمع فيها بين المنهج التاريخي معتمدا على النقد الداخلي للوثيقة، والمنهج المقارن والمنهج الاستقرائي، إضافة إلى العمليات العقلية المختلفة المؤسسة على المنطق السليم، وهو ما تبحث فيه هذه الورقة البحثية.

الكلمات المفتاحية: المنهج العلمي، الدراسات الاجتماعية، العمران البشري، أصول المنهج

Abstract:

Not only did Ibn Khaldun create the science of human urbanization and clarify its fields and objectives, but he drew a different approach to the study of solid matter to bring its results closer to accuracy and objectivity, by relying on three steps is to show his position rejecting Greek philosophy and sterile genes, and then explain the errors and causes of historians in this, Then, between the ways of overcoming errors and accurately identified methodological assets suitable for social realities, where he

combined the historical method based on the internal criticism of the document, the comparative approach and the inductive approach, in addition to the various mental processes based on common sense, which is what these Ge research.

Keywords: Scientific Method, Social Studies, Human Urbanism, Origins of the Method

تمهيد:

استند ابن خلدون في صياغة مشروعه المعرفي على التراث المعرفي الإسلامي المستمد من القرآن الكريم الذي خاطب العقول والحواس بالدعوة إلى التفكير والتبصر والتدبر، وضرب الأمثال الواقعية للأقوام الغابرة.

هذا هو المنبع الذي نهل منه ابن خلدون معارفه ومنهجه ومما زاده عمقا تزوده بعلم الكلام والمنطق (العقلانية الرشيدة)، وعليه فقد شكل المنهج الخلدوني ثورة في تاريخ فلسفة المعرفة، إذ لأول مرة في تاريخ العلوم العربية تعرض إشكالية المعرفة بطريقة نقدية تجريبية، وهو ما عزز أهميته كعالم اجتماع معرفة.

أولاً: مميزات منهج ابن خلدون:

تميز ابن خلدون عن مؤرخي عصره بميزتين أساسيتين هما:

1- تفريقه بين التأريخ وفلسفة التاريخ: يقول ابن خلدون: "إن التاريخ إنما هو ذكر الأخبار الخاصة بعصر أو جيل، فأما ذكر الأحوال العامة للأفان والأجيال والأعصار، فهو أس للمؤرخ تبنى عليه أكثر مقاصده، وتبين به أخباره" ¹ وهذا دفعه إلى استقراء نظريات كثيرة ومتنوعة خاصة العمران البشري.

2- تقصيه للأسباب والعلل والدواعي للوقائع أو الحقائق الاجتماعية، حيث ربط الأسباب بمسبباتها ولذلك يقرر استقراءاته في شكل قضايا عامة، ثم يبدأ في تحليلها بعبارات عليية مثل: "والسبب في ذلك" وأيضاً: "وذلك لأن"، ويقول في ذلك: "إنا نشاهد هذا العالم بما فيه من المخلوقات كلها على هيئة من الترتيب والإحكام وربط الأسباب بالمسببات، واتصال الأكوان بالأكوان، واستحالة بعض الموجودات إلى بعض" ²

ثانياً: العوامل المساعدة على تأصيل منهج لعلم التاريخ وعلم العمران الاجتماعي:

لقد رفض ابن خلدون اعتماد مفكري عصره على المنهج الأرسطي المثالي، كما انتقد طريقة الوصف دون التحقق والتدقيق في نقل الأخبار، والتي لم ترتق إلى مستوى المنهج المتكامل، وذلك لبعدهم عن القواعد والمبادئ المنهجية السليمة القادرة على إدراك طبائع وقوانين العمران البشري، ولذلك وضع أصول منهج تكاملي اختزل المناهج اللاحقة، وعلى الأخص مبادئ المنهجين الاستقرائي التجريبي والوضعي.

ولذلك كان الشك المنطقي أهم قواعد منهجه حيث يقول: "...فلا تثقفن بما يلقى إليك من ذلك وتأمل الأخبار وعرضها على القوانين الصحيحة، يقع لك تمحيصها بأحسن وجه".³ أما العوامل التي ساعدت ابن خلدون في التفرد بمنهج خاص يتوافق والدراسات الإنسانية والاجتماعية والتي تشكل في الوقت ذاته عوامل نبوغه وأسبقته في التأصيل لعلم التاريخ وعلم العمران البشري - علم الاجتماع -، ويمكن إجمالها فيما يلي:

1- الاستزادة من العلم:

حيث حرص ابن خلدون على الاستزادة من المعارف العلمية والأدبية والشرعية، وقد أشار إلى أنه طبق هذه القاعدة على نفسه ولولاها لما بلغ الفهم والوعي والذي ظهر في مؤلفاته.

2- الكتابة وفق التجارب المعاشة في الواقع:

حيث استغل ابن خلدون سياحته في مختلف الأمصار لمشاهدة الوقائع ومعايشتها ولم يعتمد على التخمين أو الحدس أو الخيال مما جعل معارفه واقعية صادقة.

3- الاعتماد على العمليات العقلية واستخدام المنطق:

وهو ما قرب المادة المعرفية إلى الدقة والموضوعية، حيث اعتمد ابن خلدون على العمليات العقلية القائمة على المنطق السليم والعقلانية الراجحة، مثل الوصف، والتفسير، التحليل والإستقراء، الإستنباط والتعميم، التنبؤ وصولاً إلى التنظير الذي أفرز مختلف أوجه النشاط الإنساني لنظرية العمران: اجتماعياً: البدو-الحضر، اقتصادياً- أوجه الكسب والمعاش- سياسياً- عمر الدولة وأجيالها- كما اعتمد المنهج التاريخي، وكذلك المطابقة-المقارنة- التي تسمح من التحقق الإمبريقي إذ الواقع وحده هو الذي يحتكم إليه في قبول المعلومات والمعارف.

ومن هنا نلمس نزعتة الوضعية من قبل أن تظهر الفلسفة الوضعية بعده بخمس قرون على يد أوغست كونت وغيره رواد الفكر السوسيولوجي في أوروبا وأمريكا.



ثالثا: أخطاء المؤرخين: تبيان المغالط وذكر الاسباب :

كان ابن خلدون أول مؤرخ دل على أخطاء المؤرخين وناقلي الأخبار، فقد رأى أن كتب التاريخ خاصة التي تناولت العالم الإسلامي اشتملت على كثير من الأخبار الخاطئة التي تسرب لها الكذب والتزييف، إذ سلكوا مسلكا يختلف جوهريا عن الطرق التي سلكها علماء الطبيعة والرياضة، واعتمدوا على مجرد النقل دون تمحيص، وقد تحدث عنها ابن خلدون قائلا: "... ومن الأسباب المقتضية للكذب في الأخبار أيضا الثقة بالناقلين، وتمحيص ذلك يرجع التعديل والتجريح، ومنها الذهول عند المقاصد، فكثير من الناقلين لا يعرفون القصد بما عين أو سمع، وينقل الخبر على ما ظنه وتخمينه، فيقع في الكذب، ومنها توهم الصدق، وهو كثير، وإنما يجيء في الأكثر من جهة الثقة في الناقلين، ومنها الجهل بتطبيق الأحوال على الواقع لأجل ما يداخلها من التلبس والتصنع فينقلها المخبر كما رآها وهي بالتصنع على غير الحق في نفسه، ومنها تقرب الناس في الأكثر لأصحاب التجلة والمراتب بالثناء والمدح وتحسين الأحوال وإشاعة الذكر بذلك، فيستفيض الإخبار بها على غير حقيقة... ومن الأسباب المقتضية له أيضا -وهي سابقة على جميع ما تقدم- الجهل بطبائع الأحوال في العمران.

وقد أرجع تلك الأخطاء إلى جملة من الأمور منها ما يتعلق ب نقلة الأخبار ومنها ما يتعلق بالحكام والسلاطين نوجزها في ما يلي:

1-الأمور الذاتية المتعلقة بشخص المؤرخ وتشمل ما يلي:

1-1-التشيع للمذاهب والآراء والأهواء، والميل للتقرب من أصحاب المراتب العليا: أي الانحياز إلى مذهب أو اتجاه يقتنع به الباحث ولا يقبل غيره، أو يتبع هواه وما تمليه عليه نفسه فيذهل عن الحقيقة، وهي تطابق مفهوم الذاتية في العصر الحالي، ويقول في ذلك ابن خلدون: "... فإن النفس إذا خامرها تشيع لمذهب أو نحلة، قبلت ما يوافقها من أخبار لأول وهلة، وكان ذلك الميل والتشيع غطاء على عين بصيرتها عن الانتقاد والتمحيص فتقع في قبول الكذب ونقله"، كما يقول في التقرب للسلاطين: "... تقرب الناس في الأكثر لأصحاب التجلة والمراتب بالثناء

والمدح وتحسين الأحوال وإشاعة الذكر بذلك، فتستفيض الأخبار بها على غير حقيقة، فالنفوس مولعة بحب الثناء، والناس متطلعون إلى الدنيا وأسبابها من جاه أو أثره⁵

2-1- الثقة المطلقة في نقلة الأخبار دون التشكيك في الأخبار والاقتصار على مجرد النقل وعدم النظر في أصول الظواهر والتحقق من صدق ومنطقية الأخبار، وأكد ان ذلك يبعد المعارف المنقولة دون نقد عن أصولها وحقيقتها، ولقد أورد ابن خلدون العديد من الروايات والقصص التي أثبت كذبها نورد منها ما نقله المسعودي من تمثال الزرزورب روما، حيث تجتمع الزرايزير في يوم من السنة، تحمل الزيتون وتتخذ منه زيتها، ومنها ما ذكره عن دواب البحر التي صدت الاسكندر عن بناء الإسكندرية، وكيف اتخذ صندوق زجاج وغاص فيه إلى قاع البحر وصور تلك الدواب الشيطانية وعمل تماثيلها من أجساد معدنية ونصبها حذاء البنيان، وحسبه فإن تلك الثقة سببها توهم الصدق، بما للناقلين من هيبة ناجمة عما يبدو لديهم من معرفة واسعة وخبرات شتى، اكتسبوها عن اطلاع وبحث وكبر سن⁶

3-1- الذهول عن المقاصد إذ كثيرا من الناقلين يجهل القصد (الغاية) من نقل الاخبار: إن عدم معرفة الغاية من كتابة الأخبار أو تناقلها، قد يبعد ناقلها عن معناها الحقيقي. مثال: المفكرين المستشرقين لما يكتبون عن التاريخ الإسلامي فإنهم يزيفون المعاني الحقيقية للمعارف نظرا لغايتهم السيئة التي دفعتم للكتابة، فهم يريدون تتبع الفتن وكل ما من شأنه تشويه التاريخ .

4-1- جهل المؤرخين بالقوانين التي تخضع لها الظواهر الطبيعية مما يجعلهم يتناقلون أخبارا مملوءة بالأساطير نظرا لتعليل ظواهر طبيعية بتعليلات خرافية، وتداول أساطير لا يقبلها المنطق السليم، وقد ورد في ذلك العديد من القصص الذي تحقق منها ابن خلدون وأثبت كذبها نظرا لتعارضها مع قوانين الطبيعة، مثل تفسير ظاهرة طبيعية بظاهرة خرافية والمتمثلة في الزلزال، حيث فسرتها المجتمعات القديمة بتحريك الثور- الذي يحمل الأرض على رأسه- ، وهذا تفسير خرافي يتعارض وقوانين الطبيعة.

5-1- جهل المؤرخين بطبائع العمران وأحواله والجهل بالقوانين التي تخضع لها ظواهر الاجتماع الإنساني: وهو أدى بهم إلى تسجيل أخبار تتنافى مع طبيعة العمران، وقد أورد أيضا ابن خلدون أمثلة عن أحداث شابهها التزييف لجهل ناقلها بطبيعة العمران وأحواله.

خامسا: سبل تجاوز الأخطاء والمغالط:

لقد حدد ابن خلدون سبل تجاوز تلك الأخطاء من خلال ما يلي:

1- بالنسبة لنقله الأخبار: من الضروري أن يقوموا بما يلي:

1-2- التجرد من الهوى و التشيع للآراء الشخصية

1-3- الابتعاد عن خدمة الحكام والسلاطين و أصحاب المراتب وتحويل المعارف لمصالحهم.

1-4- الإلمام بالعلوم الطبيعية وقوانينها واستبعاد ما يتناقض معها

1-5- الإلمام قدر الإمكان بالقوانين التي تخضع لها ظواهر الإجتماع الإنساني

2- بالنسبة للحكام وممثلي السلطة: على الحكام وأصحاب شؤون العمران اتباع ما يلي:

1-2- متابعة ما يحدث خارج نطاق حكم الدولة لمعرفة ما يحدث خارجا.

2-2- عدم قياس ما يحدث بمكان على آخر خاصة علماء الأحكام الشرعية الذين تعودوا على

تقسيم الأحكام وقياس الأمور بعضها على بعض.

سادسا: أصول وقواعد المنهج العلمي عند ابن خلدون:

ولعل أهم قواعد المنهج العلمي الخلدوني ما يلي:

1- القاعدة الأولى التشكيك في الأخبار للوصول الى اليقين:

وهو ما يعرف بالشك والتمحيص وهو ما يستلزم تلخيص الخبر من الشوائب الإضافات والأكاذيب، إذ على الباحث أن يشكك في صدق الأخبار لتتبع المعرفة الصحيحة، والتشكيك يقود إلى اليقين الذي هو غاية المعرفة العلمية أي الصدق (المصادقية)، ويكون على مستويين التشكيك بناقل الخبر وأيضا بمصدر الخبر، فكلما كان الناقل حافظا، ثقة، ذو منطق سليم... إلخ، وكلما تتبع الباحث المصدر الاصيل للهبر كلما كان أقرب للواقع وللصحة، وما الشك إلا بداية التأمل العقلي، إنه اختبار أولي للقضايا والظواهر المطروحة، إن النتيجة التي استخرجها ابن خلدون من عيوب التاريخ، هي أن المؤرخ لا يستطيع أن يركز فقط على جمع شهادات بسيطة وإنما بالعكس للوصول إلى إيجاد وقائع يقينية⁸

2. قاعدة النقد الباطني السلبي:

تقوم على التحري عن مصدر الأخبار، وطرق التثبت من صدق المؤلف لتجنب الوقوع في الخطأ والوصول إلى الموضوعية، فكلما اعتمد الباحث على المصدر الأول للخبر كلما كان ذلك اقرب للصحة، وتعتبر هذه القاعدة خطوة أساسية من خطوات المنهج التاريخي الذي يعتمد على النقد الداخلي والخارجي للوثائق في المنهج التاريخي.

3. القاعدة الثالثة: موسوعية المعرفة عند المؤرخ أي الإمام بمختلف جوانب المعرفة:

بمفهوم ابن خلدون الإمام بمختلف جوانب المعرفة في أي فرع من فروع الدراسات، هذا لا يتعارض مع التخصص في العلوم، وهي قاعدة أساسية للبحث العلمي، فمثلا الدارس لظاهرة اجتماعية لا بد ان يكون ملما بالدراسات النفسية، الاقتصادية، القانونية والسياسية لأنها جميعها تدرس النشاط الإنساني فردا كان أو جماعة، نظرا لأنها تعتمد منهاجا واحدا وتصب في اهداف موحدة للتأثير المتبادل فيما بينها.⁹

4. القاعدة الرابعة: الإحاطة بطبيعة العمران:

يتعين على الباحث الإمام بقواعد السياسة وطبائع العمران، والملك وتاريخ الأمم والاقتصاد في الأمصار المختلفة، وما دام العمران البشري يؤثر في الوقائع التاريخية والاجتماعية فلا بد للباحث من الإحاطة بطبائعه، وإلا لا يستطيع إدراك خصوصية المجتمع، فالذي يدرس ظاهرة في مجتمع جزائري عربي مسلم مثلا لا بد وأن يكون على دراية كافية بأحوال ذلك المجتمع، دنيا، سياسيا، ثقافيا،... إلخ، حتى لا يذهب جهده في البحث دون دليل أو موجه يعمل الباحث في ضوئه.

5. القاعدة الخامسة: قطع الشك باليقين (التحليل العقلي):

إن العلاقة بين الموضوعية والعقلانية تلازمية يستلزم كل منهما الآخر، إذ يحتكم للعقل في رفض الروايات والأخبار التاريخية أو قبولها، والمعرفة العقلية من مصادر المعرفة العلمية، وقد رفض ابن خلدون الكثير من الأخبار التي لا يقبلها العقل السليم.¹⁰

6. القاعدة السادسة: (العلية) استخدام منطق التعليل:

اعتمد ابن خلدون على منطق التعليل، وإظهار ما بين الظواهر والحوادث من اقتران سببي، لأن الظواهر والحوادث يرتبط بعضها ببعض ارتباط العلة بالمعلول، ويقوم المنهج الخلدوني على تحليل الحوادث التاريخية ومعرفة عللها، ولما كان لما حدث محدث فلا بد إذا وقع الحادث أن

تعقبه النتيجة، وهذه هي علاقة السببية، وما ينبغي التنبيه له هو أن أساطين الفكر في المنهجية اعتمدوا مبدأ السببية أساساً للإستقراء ووضع الفروض وصياغة القوانين.

7- القاعدة السابعة: الابتعاد عن التشيع والتعصب للآراء: التحلي بالموضوعية-¹²:

قد سبق وأن ذكرنا أن التشيع والتعصب للآراء من أهم مسببات الأخطاء التي يقع فيها نقلة الأخبار، ولذلك من الضروري التخلص منها حتى يسير الباحث في طرق الصحيح للبحث العلمي وللمعارف الصادقة، وكل ذلك يضيء إلى تجنب الأحكام المسبقة (المرتجلة) وهي تشكل معوقات البحث العلمي، إذ تقضي على البحث قبل انطلاقه لأنها تضلل مسار البحث، كما لا بد من تجنب إطلاق الأحكام العامة والقياس بين طبائع العمران المختلفة لضمان الموضوعية، حيث يقول: "ولا يقاس شيء من أحوال العمران على الآخر"

وما يعزز المنهج الذي اتبعه ابن خلدون هو استخدامه للمنهج التجريبي، الاستقرائي، المقارن من خلال تعقب الظواهر في تاريخ المجتمعات في عصور سابقة، وتعقب أشباهها ونظائرها في تاريخ مجتمعات أخرى ممن لم يتمكن من الاحتكاك بها والموازنة بينها كما اعتمد المشاهدة مع المجتمعات التي تمكن من الاحتكاك بها، كما استخدم المنهج التاريخي لضروريته في الدراسات الاجتماعية من خلال تحليل الوقائع التاريخية في سياقها المجتمعي، وتوصل إلى أن الباحث لا يستطيع ان يصل إلى قانون سليم إلا غدا اهتم بالناحية التطورية، حيث اعتمده خاصة في وصف الخلافة والملك والعلاقة بين الحاكم والمحكومين، وكذا في دراسته لأنواع المهن الاقتصادية وتطورها، وربطها بالواقع الاجتماعي.

وقد قدم ابن خلدون قواعد ملاحظته للعمران البشري هي: الشك والتمحيص والتشخيص المادي، تحكيم أصول العادة وطبيعة العمران، قياس الشاهد بالغائب، السير والتقسيم، الحيطة عند التعميم.

مناقشة:

تميز ابن خلدون عن معاصريه وسابقيه من المفكرين والدارسين بمسلكه المنهجي الفريد الذي يتقارب بل يكاد يتطابق وما وصل إليه رواد المنهجية في العصر الحديث، حيث أنه بين الأخطاء التي وقع فيها غيره بل وبين لهم علل وقوعهم فيه، ثم لم يكتف بذلك بل وضع المنهج الجديد والسليم-وهو حال المفكرين المسلمين الموسوعيين الذين لم يقفوا عند النقد وتبيان العيوب وإنما إعطاء البدائل- ليقدم بذلك إضافة إلى جانب ابتكاره لعلم جديد وهو العمران البشري.

أكد ابن خلدون -بعد نقده للطرق التقليدية في عصره- على استخدام الملاحظة والمنهج المقارن في دراسة المجتمع، مع الرجوع إلى تاريخ الظاهرة لفهم حاضرها وضرورة دراستها في شكل علائقي بحيث لا يهمل ارتباطها بمختلف الظواهر التي ترتبط بها -بشكل أساسي أو ثانوي.

1- ملاحظة الظواهر ملاحظة مباشرة-من خلال أسفاره وملاحظة الشعوب التي احتك بها او شاهدها-مع استقراء كثير من الظواهر الاجتماعية وعب عنها بمصطلح المشاهدة، وفي اللغة المشاهدة اعمق وأدق من الملاحظة حيث تستدعي الأولى استحضار العقل والحضور في الواقع المشاهد، وهو أول خطوات البحث العلمي وكذلك شرط في المعرفة العلمية-الوضعية- .

2- تعقب الظاهرة الواحدة في تاريخ الشعب الواحد في مختلف الفترات التاريخية مع تحري صدق هذه الروايات التاريخية، وهو نوع من الدراسات التي اتسعت في القرن العشرين مع ظهور التيار الإمبريقي لاسيما في علم الاجتماع الأمريكي وهو ما ميزت الدراسات الديموغرافية .

3- مقارنة الظاهرة بغيرها من الظواهر المرتبطة بها في نفس المجتمع وفي غيرها من المجتمع أي استخدامه للمنهج المقارن الذي يعد أنصار الفلسفة -النظرية- الوضعية شرط من شروط المعرفة العلمية،

الاهتمام بدراسة الجوانب الديناميكية (التطورية) للظواهر الاجتماعية، إلى جانب العناية بدراسة الجوانب الإستاتيكية التشريحية، وهو ما بينه رائد الاتجاه الوضعي في العصر الحديث أوغست كونت،

5- استخدم منطق التعليل للوصول إلى القوانين العامة التي تحكم الظواهر المختلفة، وهو عملية أساسية من عمليات المنهج العلمي، كما تعد خطوة نحو استكمال موضوعية المعرفة العلمية السوسولوجية من خلال تسهيلها لعملية التقنين-إيجاد قانون اجتماعي- والذي يعد من أهداف العلم عموماً.

4- إن منهج ابن خلدون منهج وضعي- بالمفهوم الحديث- قوامه الاستقراء والموضوعية، والدقة والأمانة والنزاهة، لكنه في الحقيقة منهج تكاملي ناتج عن معرفة إسلامية منهجية-قائمة على أصول يقوم على قاعدة ترابط الظواهر وتشابكها، ومنهج شامل يجمع الحقائق الاجتماعية على المستويين الإستاتيكي والديناميكي.

5- كما يعد ابن خلدون فيلسوف من فلاسفة التاريخ الذين تأثروا بأفكاره واعتنقوها ومنهم من أضاف عليها، حيث ربط ابن خلدون التاريخ بعلم الاجتماع ولا زالت مدرسة علم الاجتماع

الفرنسي-المدخل المنهجي الوضعي-وحتى المدخل المنهجي الماركسي يسلكان هذا المسلك لأهمية تاريخ الظاهرة في وصفها وتحليلها حاضرا والتنبؤ لها مستقبلا، وفيما يلي توضيح الصلة بين فكر ابن خلدون وبعض من رواد فلسفة التاريخ ورواد الفكر الوضعي، من أمثال فيكو، كونت ودوركايم

***فيكو:** سلك مسلك ابن خلدون بنقد الطريقة التقليدية، ونصح باستخدام المنهج الاستقرائي والمقارنة في دراسة ظواهر الاجتماع، اهتم فيكو بفلسفة التاريخ، كما دعا إلى استنباط النظريات من الحقائق التاريخية، ابن خلدون كان أسبق من فيكو في تحديده لقواعد المنهج العلمي الصحيح، وفي اعتقاده بمبدأ الجبرية الاجتماعية خضوع الظواهر الاجتماعية لقوانين ثابتة. **أوجدست كونت:** دعا إلى استخدام المنهج الوضعي-العلمي في الدراسات الاجتماعية- بهدف دراستها دراسة وصفية تحليلية منظمة لمعرفة ما تخضع له من قوانين، قواعد هذا المنهج هو ما ذكره ابن خلدون تماما من أصول منهجية مثل: المشاهدة، المقارنة، الاستقراء، والاستنتاج والتعليل والمنهج التاريخي.

كما أن كونت أكد ضرورة توافر شرطين لفهم الظواهر الاجتماعية على الطريقة الوضعية

- 1- أن تكون هذه الظواهر خاضعة لقوانين عامة فلا تخضع للأهواء والمصادفات، وهو ما بينه ابن خلدون من خلال جملة العلل التي عدها من معوقات المعرفة السليمة والتي أهمها التشيع للمذاهب والأهواء.
- 2- معرفة الناس لهذه القوانين، بقيام الباحثين بتعريف الناس بها ويرى كونت أن معرفة المنهج الوضعي لاكتسب إلا عن طريق الخبرة العملية،

● **إيميل دوركايم:**

يعتبر زعيم المدرسة الفرنسية لعلم الاجتماع حيث يعتبر كتابه "قواعد المنهج الاجتماعي" من أهم الكتب التي كتبت في تحديد مناهج البحث التي ينبغي استخدامها في الدراسات الاجتماعية،

تميز الظاهرة الاجتماعية بخاصيتين رئيسيتين لدى دوركايم

- * القهر: فالظاهرة الاجتماعية تستطيع فرض نفسها على الفرد أراد ذلك أم لم يرد
- * الموضوعية: الظواهر الاجتماعية لها وجود مستقل خارج شعور الفرد

طالب بتطبيق قواعد المنهج الاستقرائي في الدراسات الاجتماعية، ووضع قواعد للملاحظة: -يجب ملاحظة الظواهر على أنها أشياء خارجية منفصلة عن شعوره الداخلي، وهذا ما سبقه إليه ابن خلدون حين بين صفات الباحث مثل: عدة التشيع للآراء، الذهول عن المقاصد، عدم إطلاق الأحكام، وشروط المعرفة التي لا بد أن تتحلّى بالعلمية من خلال ما وضحناه من أصول سابقا.

خاتمة:

ليس المنهج الخلدوني طفرة بقدر ما هو حصاد التراث المعرفي الإسلامي، لكنه يشكل ثورة في تاريخ فلسفة المعرفة، فأول مرة في تاريخ العلوم العربية عرض ابن خلدون إشكالية المعرفة بوجه نقدي تجريبي، وهو ما يعزز أهميته كعالم اجتماع معرفة وكمؤرخ وكمُنظر لمنهج متفرد يصلح للدراسات الإنسانية الاجتماعية، ثم إنه سبق زواد النهضة أصحاب العقد الاجتماعي- هوبز، لوك، روسو- في التنظير لنشوء الدولة وفلاسفة التاريخ- شبنجلر، سوروكين، توينبي- في رسمهم مسارات تطور المجتمعات وكذا رواد المنهج العلمي -بيكون، كونت- الذين قاربوا المعارف الإنسانية إلى الموضوعية والدقة من خلال نظرياته وأفكاره في العمران البشري نشوء وارتقاء وتحضرا.

قائمة الهوامش:

- 1- عبد الرحمن ابن خلدون: المقدمة، دار احياء التراث العربي، بيروت، بدون تاريخ، ص 32
- 2- المرجع نفسه، ص 35
- 3- المرجع نفسه، ص ص 13-14
- 4- حسين عبد الحميد أحمد رشوان: علم الاجتماع بين ابن خلدون واغست كونت، المكتب الجامعي الحديث، الاسكندرية، 2008، ص ص 48-49
- 5- عبد الرحمن ابن خلدون، مرجع سابق، ص 35
- 6- حسن الساعاتي: علم الاجتماع الخلدوني، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة الطبعة 1، 2006، ص 98
- 7- حسين عبد الحميد أحمد رشوان: مرجع سابق، ص ص 50-52

- 8- عبد القادر جغلول " الإشكاليات التاريخية في علم الاجتماع السياسي عند ابن خلدون، دار
الحدائثة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1982، 158
- 9- المرجع نفسه، ص50
- 10 إزاد أحمد علي وآخرون: الفكر الاجتماعي الخلدوني، المنهج والمفاهيم والأزمة المعرفية، مركز
دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2004، ص50
- 11- حسين احمد رشوان، مرجع سابق، ص 55
- 12- المرجع نفسه، ص49

قائمة المراجع:

- 1- إزاد أحمد علي وآخرون: الفكر الاجتماعي الخلدوني، المنهج والمفاهيم والأزمة المعرفية،
مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2004
- 2- حسين عبد الحميد أحمد رشوان: علم الاجتماع بين ابن خلدون واغست كونت،
المكتب الجامعي الحديث، الاسكندرية، 2008.
- 3- حسن الساعاتي: علم الاجتماع الخلدوني، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة الطبعة 1،
2006
- 4- عبد الرحمن ابن خلدون: المقدمة، دار احياء التراث العربي، بيروت، بدون تاريخ،
- 5- عبد القادر جغلول " الإشكاليات التاريخية في علم الاجتماع السياسي عند
ابن خلدون، دار الحدائثة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1982،

تجليات العنف الرياضي في الملاعب الجزائرية وآليات العلاج -دراسة تحليلية-

The manifestations of sports violence in Algerian stadiums and treatment mechanisms - Analytical study-

محمد ذيب

فواز عبيدي

طالب دكتوراه في علم الاجتماع العام
مخبر المسألة التربوية في الجزائر في ظل التحديات الراهنة
جامعة حمه لخضر - الوادي

باحث دكتوراه في علم الاجتماع الاتصال
مخبر الدراسات والبحوث في التنمية الريفية
جامعة محمد البشير الإبراهيمي - برج بوعريريج

الملخص:

هدفت هذه الدراسة إلى التعرف على ظاهرة استفحلت في المجتمع الجزائري مؤخرا ألا وهي العنف في الملاعب الرياضية، ذلك كون هذه الظاهرة خطيرة بسبب ما يصاحبها من أعمال تخريب وتدمير للممتلكات الخاصة والعامة وكذلك التعرض للأرواح بالاعتداء إما باللفظ أو الضرب وتصل في بعض الأحيان إلى القتل، ولتسليط الضوء على هذه الظاهرة قصد فهمها وتحليلها فقد تطرقنا إلى بعض الدراسات التي تطرقت لها من قبل، كما قمنا بعرض أنواعها وصورها وأبرز النظريات المفسرة لها، ثم قمنا في الأخير باقتراح بعض الآليات التي نرى أنه من شأنها أن تقلل أو تحدد من هذه الظاهرة ألا وهي العنف في الملاعب الرياضية.

الكلمات المفتاحية: العنف، العنف الرياضي.

Abstract:

The aim of this study is to identify a phenomenon that has become more prevalent in the Algerian society recently, namely violence in sport stadiums, because this phenomenon is serious because of the accompanying acts of sabotage and destruction of private and public property, as well as exposure to the lives of assaults

by verbal or beatings and sometimes even killing. We have discussed some of the studies that have been discussed before, and we have presented the types and pictures and the most prominent theories explained to them, and then we have finally proposed some mechanisms that we believe that would reduce or reduce this phenomenon, namely violence In the calf Sports.

Keywords: violence, sports violence.

مقدمة:

يعتبر العنف من بين الظواهر الاجتماعية التي استفحلت في المجتمعات المعاصرة في الآونة الأخيرة، وتعد ظاهرة الشغب في الملاعب الرياضية نوع من أنواع العنف الأكثر رواجاً في عصرنا، ذلك كون الرياضة وخاصة كرة القدم أضحت تلقى رواجاً ومتابعة كبيرة في شتى أقطار المعمورة، وبما أن الجزائر ليست بمعزل عن العالم فغنها هي أيضاً تعاني من هذه الظاهرة التي أصبحت خطراً على الممتلكات العامة والخاصة وعلى الأرواح، فقد "أصبحت ملاعب كرة القدم الجزائرية أحد أفضل الأماكن التي تستلهم أشباه الأنصار من أجل إحداث الفوضى والقيام بأعمال شغب وزرع الفتنة التي تؤدي في نهايتها إلى أحداث مأساوية تحصد أرواح الأبرياء، سواء من الجماهير أو الأبرياء، على غرار حادثة مقتل المهاجم الكاميروني لشبيبة القبائل ألبرت إيبوسي [...] في ملعب أول نوفمبر بتيزي وزو، بعد رشقه بحجارة من المدرجات، والتي تعتبر في حد ذاتها جريمة وأعدت إلى الأذهان الكوارث الخطيرة التي شهدتها الساحة الكروية الجزائرية [...] بداية من الاعتداء الهمجى الذي تعرض له لاعبو اتحاد العاصمة قبل موسمين في ملعب سعيدة أثناء اللقاء الذي جمعهم مع المولودية المحلية من أشباه الأنصار الذين اقتحموا الميدان خلال أطوار اللقاء وتهجموا على اللاعبين الذين نجوا من موت محقق واعتدوا على العيفاوي بخنجر، فدخل على إثرها في غيبوبة إضافة إلى بوشامة [...] وفي لقاء بين اتحاد الحراش ومولودية الجزائر، أين قام أنصار «الصفراء» بمحاولة اقتحام الملعب للاعتداء على جمهور المولودية وقاموا بإشعال النيران داخله، فضلاً عن مقتل أحد أنصار الشبان لمولودية الجزائر المدعو «ديقا» بطعنة خنجر في ملعب 5 جويلية أثناء «ديربي سوسطارة»¹.

فمما سبق يتضح لنا جلياً حجم خطورة هذه الظاهرة على الواقع الاجتماعي والنفسي الجزائري، وهو دفع بنا إلى طرح التساؤل التالي:

فيما تتجلى ظاهرة العنف في الملاعب وما هي آليات الحد منها؟

أولاً. التأصيل المفاهيمي والنظري للدراسة:

1. العنف:

ذكر قاموس Webster أن من معاني العنف ممارسة القوة الجسدية بغرض الإضرار بالغير، وقد يكون شكل هذا الضرر مادياً من خلال ممارسة القوة الجسدية بالضرب، أو معنوياً من خلال تعمد الإهانة المعنوية للطفل بالسباب أو التجريح أو الإهانة.² هو استخدام الضغط أو القوة استخداماً غير مشروع، أو غير مطابق للقانون من شأنه التأثير على إرادة الفرد ومن هذا الضغط والقوة تنشأ الفوضى فلا يعترف الناس بشرعية الواجبات ما دامت الحقوق غير معترف بها فتنتشر العلاقات العدائية.³ ويعرفه أيضاً بأنه: السلوك الذي يستخدم الإيذاء باليد وباللسان أو بالفعل أو بالكلمة، في الحقل التصادمي.⁴ فمما سبق نستخلص أن العنف هو تلك الممارسات السلوكية الخارجة عن القانون والتي يتأذى منها المعتدي عليه سواء جسدياً أو نفسياً.

2. العنف الرياضي:

هو ذلك العنف الذي يقع في الملاعب بين اللاعبين والأنصار على أنه مصدر القلق والشعور بعدم الراحة، وهو تعبير عن التخلف الحضاري وعدم قبول الطرف الآخر وتعبير عن العجز الرياضي، وهو معوق وحاجز في طريق القوانين.⁵ أما "جون ماري بروهم Jean Marie Brohm" فيرى أن العنف في الملاعب هو تأثير زائد ومفرط للمنافسة التي تنمها الرياضة، والأصل فيه أنه تنمية وتماسك والزيادة فيه وعدم التحكم واحترام القانون هو الانفعال والعنف.⁶ مما سبق ذكره يتوضح لنا جلياً أن العنف في الملاعب هو ذلك السلوك العدواني إما باللفظ أو الفعل الجسدي تجاه الغير إما المنافس أو الفريق الذي يشجعه الجمهور، وذلك في حالة عدم الرضا على مردوده، كما أن العنف في الملاعب لا يصدر من الجمهور فقط، بل قد يصدر من اللاعبين أو المدربين أو المدراء ورؤساء الأندية.

3- أنواع العنف في الملاعب:

للعنف والشغب في الملاعب أنواع عديدة أبرزها:

أ- العنف الذي يمارسه المشجعون فيما بينهم:

يعني تحول مناصر والفريقين المتنافسين من مشجعين لفريقيهما إلى أعداء يتبادلون السب والشتم والضرب ، حيث يمتد العنف إلى المدرجات وخارج الملعب ، مما يحدث فوضى عارمة تؤدي في الكثير من الأحيان إلى سقوط قتلى وجرحى.

ب-العنف المتبادل بين اللاعبين أثناء المباراة:

أو ما يعرف بالدافعية والحماس الزائد ويحدث هذا النوع من العنف عندما ما تكون هناك مباراة حاسمة مصيرية لفريقيين، حيث يلجأ بعض اللاعبين إلى استخدام الخشونة لترهيب المنافس بالتالي اللعب على وتر أعصابه.

ج- عنف المشجعين ضد فريقهم:

يلعب أداء اللاعبين دورا كبيرا وذلك عندما يتراجع مستواهم يضيعون الفوز الأمر الذي يدفع المشجعين إلى السب والشتم والرشق بالحجارة وغيرها، تعبيرا عن عدم الرضى على المستوى والأداء المقدم.

د- عنف المشجعين ضد الحكام :

يعتبر الحكم طرف رئيسي في اللعبة وعضو مؤثر بقراراته التي تكون عادة مشكوك في صحتها، وهنا يثور الجمهور على الحكم الذي يدير اللقاء أو مساعديه وقد يتعدى اعتراضهم عليه هتافات و صفارات الاستهجان وصول إلى اجتياح الأنصار لأرضية الملعب.⁷

هـ- الاعتداء على رجال الشرطة بالقول و الفعل :

يعد الاعتداء على رجال الشرطة أحد مظاهر العنف الشائعة في كافة المجتمعات، باعتبار أن الشرطة هي المكلفة بصد أعمال الشغب، وقد يكون الاعتداء على رجال الأمن إ فراغا للتعصب في حالة هيجان الجماهير، وقد يكون الهدف من التعدي رجال الشرطة هو إظهارهم بمظهر الضعف.

و- ترديد الهتافات العدائية و الشعارات :

وفي مثل هذا المظهر تكون هناك جماعات تقوم بإعداد وإلقاء الشعارات المؤثرة، وهي ما تعرف برابطة المشجعين أو الألتراس قد تكون هذه الشعارات ضد المنافس أو النظام في بعض الأحيان.

ز- التخريب:

يعتبر التخريب أخطر مظاهر العنف ويأخذ صور متعددة كتكسير الكراسي وأعمدة الإنارة، وتعطيل اللوحات الإلكترونية هو بداية أعمال العنف التي تخرج من الملعب إلى خارجه.

ح- السلب والنهب:

نظرا لحالة الفوضى التي يخلفها التخريب، تحدث عمليات سلب ونهب من المحلات التجارية وغيرها يقوم بها الأشخاص الذين ينتمون حالة الفوضى.

ط- وضع العوائق والإطارات المشتعلة في الطرقات لإعاقة تحرك قوات فض الشغب :

هذا بالإضافة إلى مظاهر وأشكال أخرى يتخذها العنف والشغب في ملاعبنا مثل الهجوم على المنشآت الحكومية كأقسام الشرطة وغيرها.⁸

من خلال ما عرض سالفا يتبين لنا أن العنف في الملاعب يأخذ عدة أنواع، فقد يكون بين جماهير الفريقين وقد يكون بين الجماهير وفريقهم وهذا في حال عدم رضاهم على مردوده خلال المباراة أو عدة مباريات، كما قد يكون العنف ضد الحكام كنوع من الاحتجاج على قراراتهم إما بالشتيم وإما بالضرب في حالة الانفلات الأمني، أما العنف ضد رجال الشرطة فهو نوع من أنواع التعدي بغرض إفراغ الغضب وإظهار النفس بمظهر القوة كونها تغلبت على رجل الدولة، أما التخريب والنهب ووضع العوائق والإطارات فهو نوع من أنواع الانتهازية واستغلال فرصة الانفلات الأمني لتحقيق أغراض شخصية غير قانونية كالسرقة ونهب المحلات.

4. صور العنف الرياضي:**أ- العنف بالأقوال:**

يتضمن التعابير اللفظية القاسية المتبادلة بين اللاعبين، أو الإداريين، أو الجمهور، ويتم داخل المدرجات أو خارجها بين أنفسهم أو بينهم وبين اللاعبين. فهو يتضمن الإيذاء البدني والهجوم اللفظي والألفاظ النابية، وقد يصل إلى حد التهديد بالقتل.⁹

ب- العنف بالكتابة:

يتضمن هذا النوع من العنف الكتابة على جدران الأندية الرياضية أو المؤسسات العامة أو رفع لوحات مكتوب عليها كلام عنف أو سب ضد الفريق الآخر، وتظهر في المباريات الرسمية سواء داخل الملعب أو خارجه، وتتسبب تلك العبارات المكتوبة في إثارة المشاكل وحدوث الاضطرابات التي تؤدي إلى إحداث العنف والشغب.¹⁰

ج- الاعتداء على الأشخاص:

يتضمن استخدام الاعتداء البدني والجسدي غير المشروع بين اللاعبين بصورة مقصودة، أو بين الجمهور أنفسهم، أو بين الجمهور واللاعبين، أو استخدام اللاعبين للقوة بصورة مبالغ فيها، وقد يلجأ اللاعب إلى العنف من أجل العنف في ذاته لإثبات وجود الذات بصورة مرضية بصرف النظر عن المكاسب الأخرى، ويظهر ذلك في تقمص اللاعب لشخصية عدوانية على طول الخط.¹¹

د- الاعتداء على الممتلكات:

يتضمن التعدي على الغير وعلى الممتلكات العامة والخاصة، وذلك كله أو بعضه أثناء المباريات الرياضية أو بعدها مباشرة أو حتى قبلها، وما ينتج عنه من مشاكل وتدمير للممتلكات الخاصة والعامة وأن مظاهر هذا العنف لا تقتصر على نطاق وحدود الملعب بل تمتد لتشمل البيئة المحيطة ووسائل المواصلات والمنشآت المجاورة، وقد ترتبط بالأعمال التخريبية التي تحاول تحطيم وسائل النقل أو المتاجر أو المحلات أو محاولات الاعتداء على الآخرين أو على رجال الأمن، وحالات الإصابات والجروح قد تصل إلى حد الوفاة.¹²

فالعنف في الملاعب قد لا يأخذ صورة واحدة مثلما يعتقد الكثير، وهي العنف الجسدي كالضرب بل قد يكون لفظيا كالسب والأغاني الساخرة، وكذلك قد يكون كتابيا عن طريق الجداريات علاوة على التعدي على الممتلكات الخاصة والعامة بالتكسير والنهب.

ثانيا. الدراسات السابقة:

بما أننا في دراستنا هذه نحاول تسليط الضوء على العنف داخل الملاعب الجزائرية، فقد ارتأينا أن نركز على عرض الدراسات الجزائرية من باب الأولوية، وقد جاءت كالتالي:

1- دراسة يوسف حفصاوي(2000-2001) بعنوان "دراسة نفسية اجتماعية للسلوكيات العدوانية وأعمال العنف عند المتفرجين في ملاعب كرة القدم"¹³:

تمحورت إشكالية هذه الدراسة حول: "هل المشهد الرياضي يتسبب في امتصاص العدوانية وأعمال الشغب عند المتفرجين أم لها علاقة بالظروف والعوامل المرتبطة بالملعب وبحالات اللعب المختلفة؟

وقد قام الباحث بوضع مجموعة من الفرضيات كانت كالآتي:

- إن أعمال العنف والشغب يرتكها شباب تحت تأثير ظروف اجتماعية ونفسية.
- إن الظروف والعوامل المحيطة بالملعب والمحيط بوضعية اللعب المختلفة تزيد من ردود أفعال خطيرة.
- إن عدم تمكن المتفرجين من تحقيق رغباتهم يكون له إنعكاس سلبي على سلوكهم داخل وخارج الملعب.

وللإجابة على هذه الفرضيات، قام الباحث باختيار عينة بحث عشوائية متكونة من 200 متفرج، أما منهج الدراسة فقد اعتمد على المنهج الوصفي، واستخدم الاستبيان والمقابلة والملاحظة كأدوات لجمع البيانات.

وقد خلصت الدراسة إلى مجموعة من النتائج كانت كالتالي:

- السلوكيات العدوانية للاعبين ناتجة عن عدم كفاية الأمن داخل الملاعب.
- غياب الدور الفعال للجنة الأنصار والدور السلبي الذي يقوم به اللاعبون على أرضية الملعب.
- عدم فعالية اللجنة المختصة بدراسة القضايا الانضباطية على مستوى الاتحادية مما يشجع اللاعب والمدرّب على التمادي في ارتكاب مثل هذه السلوكيات.
- تخلي بعض المديرين والمسيرين عن دورهم ومهامهم النبيلة ومساهماتهم في التحريض على العنف والعدوان.

2- دراسة أحمد غضبان (2006) بعنوان "دور الوازع الديني في التقليل من السلوك العدواني للاعبي كرة القدم الجزائرية":¹⁴

حيث انطلق من إشكالية تتمحور حول دور الدين والقيم الدينية للاعبين وأثرها على التقليل من التفاعل مع السلوكيات العدوانية، مستخدما في تفسير ذلك جملة من التساؤلات منها:

- هل يوجد فرق بين اللاعبين في درجة الإحباط من خلال درجة التعلق بالقيم الدينية؟
- هل توجد فروق بين اللاعبين من حيث الأفكار العقلانية من خلال درجة التعلق بالقيم الدينية؟

وبناءً على ما سبق فقد وضع الباحث الفرضيات التالية:

- توجد فروق بين اللاعبين اللذين يتميزون بوازع ديني مرتفع واللاعبين الذين لهم وازع ديني أقل درجة من حيث درجة الإحباط.
- توجد فروق بين اللاعبين اللذين يتميزون بوازع ديني مرتفع واللاعبين الذين لهم وازع ديني أقل درجة من حيث درجة الأفكار العقلانية.

وقد اختار للإجابة على فرضياته عينة بحث اختيرت عشوائيا، وتكونت من 40 لاعبا من ثلاث فرق هم : مولودية الجزائر، اتحاد العاصمة، وشباب بلوزداد، متبعا في ذلك المنهج الوصفي لتحليل المعطيات.

وقد توصل إلى مجموعة من النتائج منها:

- توجد علاقة إرتباطية بين اللاعبين ذوي الوازع الديني المرتفع، واللاعبين ذوي الوازع الديني الأقل درجة، هذا من حيث درجة الإحباط وهذا من حيث درجة الاستثارة.
- توجد علاقة إرتباطية بين اللاعبين ذوي الوازع الديني المرتفع، واللاعبين ذوي الوازع الديني الأقل درجة، هذا من حيث درجة الإحباط وهذا من حيث اللاعقلانية.

3- دراسة مسعود الشريف (2001-2002) بعنوان "دراسة تحليلية حول التحكيم وعلاقته بالعنف في رياضة كرة القدم في الملاعب الجزائرية"¹⁵

تمحورت إشكالية هذه الدراسة حول "ماهي الأسباب والخلفيات التي من خلالها تتعزز ظاهرة العنف والعدوانية بين المشاركين في كرة القدم الجزائرية".
وللإجابة على تساؤل الدراسة وانطلق الباحث من مجموعة فرضيات كانت كالآتي:

- إن السلوك العدواني بين المشاركين يكون قريبا عندما يكون مستوى التحكيم ضعيف.
- سوء تكوين الحكم يعزز من العدوانية عبر الميادين الكروية.
- عدم الصرامة في تطبيق القوانين لهذا القطاع عامل رئيسي معزز للعدوانية.
- العدوانية بين اللاعبين تزيد بزيادة كل من العدوان اللفظي للحكم وكذا سرعة استثارته.
- وللإجابة على هذه الفرضيات اتبع الباحث المنهج الوصفي، مستخدما الاستبيان كأداة لجمع البيانات، وكانت عينة البحث قوامها 120 حكما، وخلصت الدراسة إلى:
- هناك علاقة بين مستوى التحكيم والمستوى الثقافي للحكام والذي لا يتماشى مع المقاييس الدولية الحديثة.
- عدم وجود مقاييس موضوعية لانتقاء الحكام.
- تدهور التحكيم يرجع إلى اختلاف الحكام في تطبيق روح القانون مما يعزز من الاحتجاجات.

● التعقيب على الدراسات السابقة:

من خلال ما تم عرضه يتبين لنا أن العنف في الملاعب تجتمع عليه عدة عوامل منها ضعف الوازع الديني لل جماهير و اللاعبين، إضافة إلى تدهور المستوى التحكيمي بالجزائر وكذلك غياب دور المدربين ورؤساء الأندية ودوهم في التحريض على العنف، علاوة على ضعف الكفاية الأمنية داخل الملاعب وكذلك عدم فعالية لجنة الانضباط من خلال تساهلها مع المتسببين في العنف من جماهير وأندية ورؤسائها والحكام.

كل هذا من شأنه أن يفيدنا في اقتراح مجموعة من الآليات من شأنها أن تساهم في تحسين الواقع الرياضي الجزائري من خلال تقليل أو حد هذه الظاهرة ألا وهي العنف في الملاعب.

ثالثا. النظريات المفسرة للدراسة:

1- نظرية التعلم الاجتماعي:

تؤكد هذه النظرية على التفاعل بين الشخص والبيئة ، وتحاول تحديد الظروف والمواقف التي قد يتم في ضوءها الخروج عن النظام ، وتنظر إلى السلوك العنيف على أنه سلوك متعلم ، فالأفراد ينتهجون سلوكيات عنيفة لأنهم تعلموا مثل هذه السلوكيات ، وهي بذلك تعتمد على التقليد كطريقة لتفسير أنماط معينة من السلوك ، ومنها السلوك الإجرامي ، فبعض سمات الشخصية قد يتعلمها الفرد من خلال محاكاته لسلوك الآخرين عندما يرى الفرد أي نوع من المكافأة أو العقاب يمكن أن يترتب على سلوكيات الآخرين ، وبالتالي فمن المحتمل أن يتم محاكاة وتقليد الاستجابات التي تؤدي إلى نتائج قيمة وهذا ما يعرف بالتدعيم الإيجابي .

وقد وجد (باندورا) عند دراسته السلوك العدواني في عينة من الأطفال أنه غالبا ما يرتبط بالمشير أو المنبه الذي يتعرضون له، فبعض هؤلاء الأطفال لديهم آباء يعاقبونهم عندما يظهرون العدوان نحوهم، وفي الوقت نفسه يرتكب هؤلاء الآباء سلوكيات عنيفة مميزة، ويشجعون أبنائهم على ارتكاب مثل هذه السلوكيات مع أقرانهم خارج المنزل، وهذا النمط من السلوك يجعل الأطفال يظهرون عدوانا بسيطا داخل المنزل، وعدوانا شديدا أثناء تفاعلهم مع زملائهم في المدرسة.¹⁶ (شحاته وآخرون، 1994،)

2- نظرية الاقتران الفارقي:¹⁷

قدمها (سودرلاند Sutherland) عام 1947، وقد صاغ مسلمات نظريته على النحو التالي:

- السلوك الإجرامي سلوك متعلم.
- يتم تعلم السلوك الإجرامي من خلال الاتصال أو التخاطب مع الأشخاص الآخرين أثناء مواقف التفاعل الاجتماعي.
- يحدث الجانب الرئيسي السلوك الإجرامي داخل الجماعات الحميمية التي ينتمي إليها الفرد.

- ليس ضروري اتصال الطفل المباشر بالمجرمين لكي يكتسب سلوكيات إجرامية، فقد يسمع مفاهيم ويرى سلوكيات مؤيدة لها عند آبائه.

من خلال المقاربات السوسيوولوجية التي تم عرضها يتبين لنا أن السلوك الانحراف أو العنف هو سلوكيات مكتسبة تنشأ عن التعلم المباشر أو غير المباشر كما أشار (سوذرلاند) حيث أن المتعلم قد يتعلم فقط من خلال المشاهد دون شرط الاحتكاك بالمتعلم منه، كل هذا حسب (باندورا) و(سوذرلاند) يتم تعلمه بصفة أولية وبنسبة أكبر من الجماعات الأولية التي يحتك بها الفرد ألا وهما الوالدين .

وعليه فإن سلوك العنف في الملاعب الرياضية قد يتم تعلمه إما من الآباء أو من الأخ الأكبر أو الجار، كما قد يتعلمه الفرد من المشاهدة إما فالتلفاز أو عبر الانترنت.

وهذا ما أثبتته دراسة "قديري مصطفى" حول "العنف في الملاعب كمنتج اجتماعي"، حيث أكدت أن 38.66% من أفراد العينة من لديهم علاقات سيئة مع والديهم، وكذا 77.66% ممن يرتكبون العنف داخل الملاعب، يتشاجرون مع أسرهم بالسب والشتم بدرجة أولى ثم الكلام البذيء فالشجار الجسدي، كما يعاني 59.43% من أفراد عينة البحث من الإهمال العائلي، إضافة إلى أن 42% من أفراد عينة البحث لديهم علاقات سيئة مع إخوانهم.¹⁸

رابعا. آليات مكافحة العنف في الملاعب:

تعتبر ظاهرة العنف في الملاعب من أبرز الظواهر التي استفحلت في الواقع الاجتماعي الجزائري، وطغت على مشهده الرياضي، لذا فإنه ونظرا للنتائج السلبية لهذه الظاهرة فإنه لابد من إيجاد آليات وأساليب علاجية لها، تساهم في التقليل من هذه الظاهرة ولما لا محاولة حدها، وعليه فإننا نرى في أن معالجة هذه الظاهرة يمكن أن تكون كالاتي:

1- تفعيل الدور الإيجابي لوسائل الإعلام للحد من ظاهرة العنف في الملاعب:

- عدم المبالغة في رصد الأحداث وإعطاء صورة مبسطة عن الرياضة والرياضيين وعدم تصويرهم للجمهور على أنهم أبطال قوميون تجنب الأحكام القاسية في حق الحكام والمدربين مما يجعل الجمهور يشكل خلفية سلبية اتجاههم.
- عدم تضخيم أعمال العنف في الرياضة خاصة ما يدور بين اللاعبين من دافعية كون طريقة عرض الهدف الرياضي وأسلوب تقديم أعمال العنف والشغب تأثر في موقف الجماهير.¹⁹

- ينبغي على كل من يعمل في مجال الإعلام أن يكون على إدراك تام لمسؤولياته إزاء القيم الأخلاقية والتربوية للأفراد.
- الابتعاد على استخدام المفردات والألفاظ التي توحى بالتحيز والتعصب وأن لا تشجع الجماهير على التعصب.
- إبراز الآثار والجوانب السلبية للعنف سواء داخل الملعب أو خارجه وتأكيد الدائم على أن العنف لا علاقة له بالتحضر.
- تقديم ثقافة رياضية على شكل ندوات ومقالات لشرح القوانين والقواعد الرياضية بما أن من وظائف الإعلام التعليم والتثقيف.²⁰
- الاهتمام بتأهيل الإعلامي الرياضي تأهيلا إعلاميا سليما.
- التركيز الإعلامي على الأحداث الرياضية الإيجابية ونبذ العنف.
- استغلال القيادات الرياضية (إداريين- فنيين- لاعبين- حُكّام) في البرامج التي من شأنها أن تنبذ العنف.
- الدور الرقابي للمؤسسات القانونية في تحديد ما يعرض أو ينشر في وسائل الإعلام للأحداث التي من شأنها أن تؤثر في سلوكيات ورد فعل الجماهير الرياضية.²¹

2. تفعيل دور بعض المؤسسات التربوية لتنمية الوعي الرياضي لدى المشجعين والممارسين:²²

- مراقبة الأسرة للمحتوى الإعلامي الذي يشاهده الطفل، وتشجيعه على ممارسة الرياضة من خلال تزويده بالمبادئ الرياضية منذ الصغر وذلك لتكوين مشاعر وقيم واتجاهات رياضية سوية، تتجسد في سلوكيات لاحقا.
- غرس قيم الرياضة وممارستها وتشجيعها في نفوس التلاميذ من خلال إقامة دروس الألعاب والتربية الرياضية وأنشطتها المختلفة في المدارس، أو عن طريق تنظيم نشاطات رياضية جماعية تجسد قيم التعاون والولاء والانتماء والتشجيع المثالي، ونبذ التعصب والعنف والشغب.
- إقامة النشاطات الرياضية بالجامعات بما يساهم في توعية الجامعة للشباب بأهمية الرياضة وكيفية تشجيعها وممارستها والبعد عن العنف والتعصب والشغب وغير ذلك.

- إقامة خطب وحلقات وعظ بالمساجد تحت على حب الخير ونبذ الشر، وتوضح أن ممارسة الرياضة متأصلة في ديننا هذا بالموازاة مع نبذ العنف والتعصب وإيذاء الغير.
- إقامة النوادي ومراكز الشباب لندوات ثقافية تهتم بالتوعية الرياضية لأفراد المجتمع، وذلك من خلال تنظيم محاضرات من طرف كبار الرياضيين والنقاد في المجال الرياضي وربطها بما يجري في الواقع الرياضي المعاش.

3. دور الأجهزة الأمنية في تأمين الفعاليات الرياضية:

يتم تحقيق هذه الآلية من خلال:²³

- التوزيع الأمني المناسب للقوات المشاركة بالتأمين من خلال إعداد خريطة أمنية دقيقة تغطي كل المواقع الواجب تأمينها.
- قدرة القيادات الميدانية على اتخاذ القرار في الوقت المناسب.
- تأمين الفعاليات الرياضية من خلال التفتيش المحكم في كل المداخل الرئيسية والفرعية وحتى المقاعد، وذلك لمن إدخال أي وسيلة قد يلجأ بعض الأفراد إلى استخدامها لارتكاب الأفعال الإجرامية المختلفة.
- الاستعانة بالتقنيات الحديثة في التدخل الأمني والتحضير واستخدام أجهزة الفيديو لمعرفة المشاغبين والأجهزة المستخدمة في الشغب.

4. دور الأندية الرياضية ورؤساؤها:²⁴

- ضرورة تحلى رؤساء الأندية بالروح الرياضية والابتعاد عن الإثارة الصحفية وعن مهاجمة الفرق والأندية المنافسة والتقليل من قيمة ومستوى الآخرين ونقد ومهاجمة الحكام والمسؤولين.
- وضع رابطة المشجعين لضوابط أخلاقية في تشجيعها الفريق، كالتشجيع في إطار أخلاقي والمحافظة على النظام داخل الملاعب وخارجها، أثناء المباريات وبعدها.
- ضرورة تحلي المدربين وقادة الفرق بأخلاقيات القائد الرياضي الناجح في جميع تصرفاتهم، وإعطاء النموذج الطيب الذي يحتذى به أمام اللاعبين والمشجعين.

خاتمة:

إن العنف في الملاعب الرياضية من الظواهر الاجتماعية التي تعاني منها المجتمعات العالمية عامة والمجتمع الجزائري خاصة، فبالنظر إلى نتائجها فهي تهدد للأرواح والممتلكات وللأمن العام، لذلك وجب التصدي لها من خلال إعداد خطط وآليات تساهم في التقليل أو الحد منها إن أمكن، وعليه وجب علينا تقديم مجموعة من الاقتراحات التي نرى فيها أنها قد تساهم في التقليل من هذه الظاهرة، وكانت كالآتي:

- زيادة التوعية الدينية فيما يخص نبذ العنف والتشجيع على التآخي والتعاون.
- تفعيل الرقابة على مواقع التواصل الاجتماعي ومتابعة المحرضين عبر منصاتها.
- زيادة عدد رجال الأمن داخل الملاعب.
- تفعيل دور لجنة الانضباط بالاتحادية الوطنية لكرة القدم، وذلك بمعاينة كل طرف يتسبب في العنف أو يحرض عنه.
- فرض الرقابة الإعلامية على وسائل الإعلام ومعاينة المتسببة منها في التحريض على العنف.
- إقامة حملات إعلامية تحث على الروح الرياضية ونبذ التعصب.
- إقامة ندوات توعوية لرابطات المشجعين خاصة تلك التي تحظى بشعبية جماهيرية.

قائمة الهوامش:

- 1 بوعداد، عبد المالك، (2014). الموت في الملاعب الجزائرية.. من محمد « ديقا » حتى ابيوسي والسكوت إلى متى؟! العدد 2101. جريدة النهار. الجزائر. ص12.
- 2 الصايغ، ليلى. (2001). الإساءة ... مظاهرها ... أشكالها ... أثرها على الطفل. مؤتمر نحو بيئة خالية من العنف للأطفال العرب. عمان.
- 3 بن دريدي، فوزي أحمد. (2007). العنف لدى التلاميذ في المدارس الثانوية الجزائرية. مركز الدراسات والبحوث. جامعة نايف العربية. الرياض. السعودية. ص 37.
- 4 بن عبد الرحمان الشهري، علي. (2003). "الطلاب و العنف في المدارس الثانوية من وجهة نظر المعلمين والطلاب". رسالة ماجستير غير منشورة. كلية العلوم الاجتماعية، جامعة نايف، الرياض، السعودية. ص 10.
- 5 Khlifi, Ahmed. (1990). L'arbitrage a travers les caractères du football. entreprise nationale du livre. Alger. Algerie. p111.
- 6 Jean Marie Brohm, Jean Marie. (1984). sociologie politique du sport. Sans maison d'édition. France. p120.
- 7 نمري، علي. (2015). أسباب الشغب في ملاعب كرة القدم السودانية من وجهة نظر عينة مختارة. العدد 02. مجلة العلوم التربوية. جامعة السودان للعلوم التكنولوجيا. السودان. ص 4.
- 8 عواض، سالم النفيعي. (2004). "المواجهة الأمنية لأحداث الشغب في الملاعب الرياضية". رسالة الماجستير غير منشورة. علوم الشرطة، السعودية. ص 47.
- 9 مامسر، محمد خير. (1985). دراسة تحليلية لظاهرة عنف الملاعب الرياضية في الوطن العربي. دار الشروق. الأردن. ص 114.
- 10 نبيل عمران، موسى، وجلاوي، بشرى محمد. (2017). العنف الجماهيري في المجال الرياضي تحليل سيولوجي. مجلة الآداب. كلية الآداب. جامعة بغداد. العراق. ص 10.
- 11 السايح. مصطفى محمد. (2006). الألعاب الصغيرة وتطبيقاتها. دار الوفاء لندنيا الطباعة. الإسكندرية. مصر. ص-ص 138- 142.
- 12 نبيل عمران، موسى، وجلاوي، بشرى محمد. مرجع سابق. ص 11.

- 13 لونس، عبد الله. (2008). دور الإعلام الرياضي المكتوب اتجاه ظاهرة العنف الرياضي لدى فئة الشباب الجامعي: جريدة الشروق اليومي نموذجا. رسالة ماجستير. معهد التربية البدنية والرياضية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، الجزائر. ص-ص 15-16.
- 14 غضبان، أحمد. (2006). دور الوازع الديني في التقليل من السلوك العدواني للاعبي كرة القدم الجزائرية. رسالة ماجستير غير منشورة. قسم التربية البدنية، جامعة الجزائر، الجزائر.
- 15 لونس، عبد الله. مرجع سابق. ص 15.
- 16 شحاته ربيع، محمد، وآخرون. (1994). علم النفس الجنائي. ط1. دار غريب للنشر والطباعة. القاهرة. مصر. ص-ص 126-128.
- 17 المرجع السابق. ص-ص 123-125.
- 18 قديري، مصطفى. (2009). العنف في ملاعب كرة القدم كمنتج اجتماعي. رسالة لنيل شهادة الماجستير في علم الاجتماع الجنائي. قسم علم الاجتماع. كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية. جامعة بن يوسف بن خدة. الجزائر. ص 206.
- 19 الزغبي، صالح عبد الله، وخطاط، (2010). علم النفس الرياضي. ط1. دار اليازة للنشر والتوزيع. الأردن. ص 277.
- 20 عصام الدين، عادل. (2000). دور وسائل الإعلام في أمن المنشآت الرياضية. جامعة نايف للعلوم الأمنية. الرياض. المملكة العربية السعودية. ص57.
- 21 بهباني، خليفة طالب. (2004). شغب الملاعب وأساليب مواجهته. ط1. جامعة نايف العربية. الرياض. المملكة العربية السعودية. ص22.
- 22 خطاب، سمير عبد القادر. (2004). شغب الملاعب وأساليب مواجهته. ط1. جامعة نايف العربية. الرياض. المملكة العربية السعودية. ص-ص 72-76.
- 23 ممدوح، عبد الحميد عبد المطلب. (2004). شغب الملاعب وأساليب مواجهته. ط1. جامعة نايف العربية. الرياض. المملكة العربية السعودية. ص-ص، 164-167.
- 24 الباحث، خالد عبد الله. (2004). شغب الملاعب وأساليب مواجهته. ط1. جامعة نايف العربية. الرياض. المملكة العربية السعودية. ص 187.

قائمة المراجع:

- 1- الباحث، خالد عبد الله. (2004). شغب الملاعب وأساليب مواجهته. ط1. جامعة نايف العربية. الرياض. المملكة العربية السعودية.
- 2- بهباني، خليفة طالب. (2004). شغب الملاعب وأساليب مواجهته. ط1. جامعة نايف العربية. الرياض. المملكة العربية السعودية.
- 3- بوعداد، عبد المالك، (2014). الموت في الملاعب الجزائرية.. من محمد « ديقا » حتى إيبوسي والسكوت إلى متى؟! العدد 2101. جريدة النهار. الجزائر.
- 4- بن دريدي، فوزي أحمد. (2007). العنف لدى التلاميذ في المدارس الثانوية الجزائرية. مركز الدراسات والبحوث. جامعة نايف العربية. الرياض. السعودية.
- 5- بن عبد الرحمان الشهري، علي. (2003). "الطلاب و العنف في المدارس الثانوية من وجهة نظر المعلمين والطلاب". رسالة ماجستير غير منشورة. كلية العلوم الاجتماعية، جامعة نايف، الرياض، السعودية.
- 6- الزغبى، صالح عبد الله، وخياط، (2010). علم النفس الرياضي. ط1. دار اليازة للنشر والتوزيع. الأردن.
- 7- لونس، عبد الله. (2008). دور الإعلام الرياضي المكتوب اتجاه ظاهرة العنف الرياضي لدى فئة الشباب الجامعي: جريدة الشروق اليومي نموذجاً. رسالة ماجستير. معهد التربية البدنية والرياضية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، الجزائر.
- 8- مامسر، محمد خير. (1985). دراسة تحليلية لظاهرة عنف الملاعب الرياضية في الوطن العربي. دار الشروق. الأردن.
- 9- ممدوح، عبد الحميد عبد المطلب. (2004). شغب الملاعب وأساليب مواجهته. ط1. جامعة نايف العربية. الرياض. المملكة العربية السعودية.
- 10- نبيل عمران، موسى، وجلاوي، بشرى محمد. (2017). العنف الجماهيري في المجال الرياضي تحليل مسيولوجي. مجلة الآداب. كلية الآداب. جامعة بغداد. العراق.

- 11- نمري، علي. (2015). أسباب الشغب في ملاعب كرة القدم السودانية من وجهة نظر عينة مختارة. العدد 02. مجلة العلوم التربوية. جامعة السودان للعلوم التكنولوجيا. السودان.
- 12- السايح. مصطفى محمد. (2006). الألعاب الصغيرة وتطبيقاتها. دار الوفاء لدنيا الطباعة. الإسكندرية. مصر.
- 13- عواض، سالم النفيعي. (2004). "المواجهة الأمنية لأحداث الشغب في الملاعب الرياضية". رسالة الماجستير غير منشورة. علوم الشرطة، السعودية.
- 14- عصام الدين، عادل. (2000). دور وسائل الإعلام في أمن المنشآت الرياضية. جامعة نايف للعلوم الأمنية. الرياض. المملكة العربية السعودية.
- 15- الصايغ، ليلى. (2001). الإساءة ... مظاهرها ... أشكالها ... أثرها على الطفل. مؤتمر نحو بيئة خالية من العنف للأطفال العرب. عمان.
- 16- قديري، مصطفى. (2009). العنف في ملاعب كرة القدم كمنتج اجتماعي. رسالة لنيل شهادة الماجستير في علم الاجتماع الجنائي. قسم علم الاجتماع. كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية. جامعة بن يوسف بن خدة. الجزائر.
- 17- شحاته ربيع، محمد، وآخرون. (1994). علم النفس الجنائي. ط1. دار غريب للنشر والطباعة. القاهرة. مصر.
- 18- خطاب، سمير عبد القادر. (2004). شغب الملاعب وأساليب مواجهته. ط1. جامعة نايف العربية. الرياض. المملكة العربية السعودية.
- 19- غضبان، أحمد. (2006). دور الوازع الديني في التقليل من السلوك العدواني للاعب كرة القدم الجزائرية. رسالة ماجستير غير منشورة. قسم التربية البدنية، جامعة الجزائر، الجزائر.
- 20- Jean Marie Brohm, Jean Marie. (1984). sociologie politique du sport. Sans maison d'édition. France.
- 21- Khlifi, Ahmed. (1990). L'arbitrage a travers les caractères du football. entreprise nationale du livre. Alger. **Algerie**.

القيم الأسرية بين التغير والثبات في المدن الجديدة دراسة حالة لعينة من قاطني مدينة ذراع الريش - عنابة

Family values between change and persistence in new cities

A case study of a sample of the residents of Daraa al-Rish, Annaba

الأستاذ حمدان مداح

طالب دكتوراه

علم الاجتماع والانحراف والجريمة

جامعة باجي مختار- عنابة

أ. د. سيف الإسلام شوية

أستاذ التعليم العالي

علم الاجتماع

جامعة باجي مختار- عنابة

الملخص:

توسع الاهتمام بدراسة النمط العمراني الحديث، والقيم الأسرية الجزائرية، من خلال ملاحظة الباحث للمشاريع السكنية الجديدة، العصرية المستوردة من الخارج، والبعيدة كل البعد عن ثقافتنا وتقاليدنا، وما ألحقته من تغيير في القيم الأسرية، وقد اهتم الباحث في هذه الدراسة بتأثير هذا النمط في القيم الأسرية، انطلاقا من أن المدينة الجديدة، قد تخلق، هندسة متغيرة، للقيم الأسرية المتنوعة، وأن أهم ما يميز المدينة، ليس فقط بنسبة السكان الذين يعيشون في المدن، وإنما في التأثير الذي تمارسه المدينة على الأسرية، يهدف هذا البحث التعرف على القيم الأسرية في المدينة الجديدة ذراع الريش بولاية عنابة، والكشف عن تأثير النسيج العمراني في المدينة الجديدة وتغير القيم الأسرية وتفكيك وتحليل القيم الأسرية داخل الأنسجة العمرانية الجديدة، من أجل ذلك، أجرى الباحث دراسة ميدانية في المدينة الجديدة، مستعমা منهج دراسة الحالة، بتقنية كرة الثلج، وأهم النتائج الموصل إليها، أن القيم الأسرية تغيرت، بتغير النسيج العمراني، وأثبتت تغير القيم الأسرية في المدينة الجديدة، وتجسدت معالم المشكلة البحثية لهذه الدراسة في التساؤل الرئيسي التالي: هل يؤثر النمط العمراني الحديث في القيم الأسرية؟

الكلمات المفتاحية: القيم ، الأسرة ، المدينة الجديدة .

Summary :

Interest expanded in studying the modern urban style and Algerian family values, through the researcher's observation of new residential projects, modern imported from abroad, and far from our culture and traditions, and the subsequent change in family values, and the researcher was interested in this study with the effect of this pattern on values The family, based on the fact that the new city may create variable architecture for the various family values, and that the most important characteristic of the city is not only the proportion of the population that lives in the cities, but also the influence that the city exerts on family, this research aims to identify family values in Capricorn City The arm of the feathers in the state of Annaba, revealing the effect of the urban fabric in the new city, changing family values, and dismantling and analyzing family values within the new urban tissues. For this purpose, the researcher conducted a field study in the new city, using the case study method, with snowball technology, and the most important results The link to it is that the family values have changed, with the change in the urban fabric, and the family values have changed in the new city, and the features of the research problem of this study are embodied in the following main question: Does the modern urban pattern affect family values?

Key words: values, family, new city.

مقدمة :

تتأثر سلوكياتنا، ومفاهيمنا ومعتقداتنا، واختياراتنا بعلاقتنا بالعالم الخارجي، كما تتأثر بنظرة الآخرين لنا، فالواقع الجزائري في المدن الجديدة، يدل على أن المشاريع السكنية الجديدة في الجزائر عموما، لا تمت بأية صلة للتقاليد والقيم العربية، وللثقافة الإسلامية، وهذا، ما لفت انتباه الباحث، وأدى به لاختيار الموضوع الذي تكمن أهميته، في كونه يسعى، إلى إضفاء صبغة عمرانية، ويكتفي الملاحظ لها من الخارج بالقول، إنها انعكاس لثقافة أصحابها.

وخلال المرحلة الاستكشافية، لاحظ الباحث، التغير الظاهر والجلي، على القيم الأسرية، والاجتماعية، في الوسط الحضري، في المدينة الجديدة، فأثار اهتمامه، وأنه، يمتلك معلومات كافية عنه، كما أن موضوع البحث، كان ممتعا بالنسبة للباحث، بحيث لا يمل، عند قيامه بالبحث عن المعلومات والمصادر المختلفة المتعلقة بالبحث، لتوفرها، وذلك وفقا لمقاييس، ومعايير، موضوعية، تنبثق من طبيعة الموضوع المراد دراسته، ومن مجموع المزايا، والفوائد، التي تحققها نتائج البحث، والكشف عن الحقائق العلمية المتعلقة به، والتحكم فيها، واستغلالها، في الحياة العملية الأسرية، والاجتماعية، في المدينة الجديدة، زيادة على ذلك، فإن أسبابا أخرى، دفعت الباحث لدراسة الموضوع، من أهمها:

- 1- توفر المورد المالي اللازمة لدى الباحث، للقيام بالبحث.
- 2- المعرفة الجيدة، للطريقة المعتمدة أكاديميا للقيام بالبحث.
- 3- القدرة على تخصيص الوقت للقيام بالبحث.
- 4- شغف الباحث بكل ما هو قيمي، اجتماعيا، ونفسيا، وعلميا.

وتعد الجزائر، إحدى البلدان، العربية الإسلامية، التي لها بيئة عمرانية، خاصة بها، إلا أنها منذ شروع المعمر، في إنشاء مباني، ومسكن ومزارع، وغيرها أثناء، فترة تواجده في الجزائر، وقد بدأت هذه البيئة، العمرانية، تتباين في تكوينها العمراني، ومعاييرها العمرانية، الاجتماعية، والحضارية والبيئية، هذا إضافة إلى السياسة العمرانية، التي اتبعتها الجزائر، بعد الاستقلال، وهو ما نتج عنه نمط عمراني، غير متجانس، وغير مستوحى، من بيئتنا العربية الإسلامية، فلم تصمد التشكيلة الاجتماعية التقليدية، أمام تأثيرها، وكانت البنية الأسرية، بما يتخللها من أدوار، ووظائف وأفعال تقليدية، هي التي تدهورت تشكيلتها، وبدأت في التغيير الإجباري، والدخول في منطق الثقافة العصرية، لذا وجب أن نفكر في فن العمارة، وندفع به إلى التعبير، عن هويتنا القومية العربية الإسلامية.

ولهذا اخترنا هذه الظاهرة كموضوع لهذه الدراسة الذي يتمثل في الكشف عن التأثير الذي أحدثه النمط العمراني الجديد في القيم الأسرية الجزائرية، حيث تكمن أهمية هذه الدراسة في كونها تهدف إلى أن تأخذ، نتائجها، بعين الاعتبار، ثري حقل الإبداع في فن العمارة، الذي يحافظ من جهة، على ضرورة السكن، ومن جهة أخرى، على ترسيخ الهوية الجزائرية، من خلال شكل ومضمون، بناء المسكن، كما تهدف هذه الدراسة إلى الانتقال من إصدار الحكم،

بسلبية نمط العمارة الحديثة، من منطلقات شخصية، إلى إخضاعه للدراسة العلمية، التي تنشأ الموضوعية والوقوف عند تفسير علمي، يمكن أن يعتمد، كمرجع لدراسات لاحقة، أو كأداة للإجابة، عن الكثير من التساؤلات، التي يحتاجها طالب العلم، والجهات المعنية.

كما تكمن أهمية هذا البحث، في الاستفادة العلمية منه، الذي من شأنه أن يبرز جانبا مهملا، قد يكون له دخل، في بلورة السلوك الفردي، والجماعي للجزائريين، وقد تسهم هذه الدراسة في إعطاء، بدائل للمختصين أثناء، وضعهم للتصاميم المعمارية، في إعطاء أولوية للسكان، وليس للسكن، بحيث يكون هذا المسكن، مكان راحة، على الطريقة التي تنسجم معها الخواطر.

وأهمية هذه الدراسة، تؤخذ من وجهتين: الأولى تتمثل في إنشاء تصاميم عمرانية بحيث تستجيب للممارسات الاجتماعية للأسرة الجزائرية بدافع تميزها والوجه الثاني، يتمثل في إعطاء صيغة عمرانية، يكتفي الملاحظ لها من الخارج، بالقول أنها انعكاس لثقافة أصحابها، لان الحدائة والتحضر، لا يعنيان طمس الماضي، وإنما مسaire الجديد، بالشكل الذي يحدد، في حيوية القديم، ومن حق أي مجتمع، تكوين بيئة عمرانية مناسبة، تلائم هويته، الحضارية، والاجتماعية ومن الواجب على أي بيئة عمرانية، قيمة أن تتجاوب، مع المتطلبات الحضارية، والاجتماعية لقاطننها، من عادات وتقاليد وقيم.

وتهدف هذه الدراسة الميدانية الوصول إلى الأهداف التالية:

- 1- محاولة الوقوف على واقع القيم الأسرية الجزائرية، داخل المدينة الجديدة ذراع الريش.
 - 2- محاولة معرفة، مدى تغير، وثبات القيم الأسرية، للعائلات المرحلة الى المدينة الجديدة، ذراع الريش.
 - 3- محاولة الوقوف على أهم القيم التي مست الأسرة الجزائرية في المدينة الجديدة ذراع الريش.
- وكان منطلق هذه الدراسة، هو بلورة، التساؤل الرئيسي، الذي تبني عليه الإشكالية، وكان على النحو التالي:

- . هل يؤثر النمط العمراني الحديث في تغير القيم للأسرة الجزائرية ؟
- وقد تم تفكيك التساؤل الرئيسي إلى سؤالين (02) فرعيين هما هي:
- 01 . هل غير النمط العمراني الحديث من شكل الأسرة الجزائرية ؟
 - 02 . إلى أي مدى أثر النمط العمراني الحديث في القيم الأسرية الجزائري؟

01- مصطلحات الدراسة:

مفهوم القيم اصطلاحيا : "هي الأفكار الاعتقادية المتعلقة بفائدة كل شيء في المجتمع، وقد تكون صحة جسمية أو زيادة في الذكاء أو كل شيء حسن يسعى إليه الإنسان"¹. مفهوم القيم إجرائيا : (أنها مجموعة من القواعد، والمبادئ والمقاييس والمؤشرات، التي يتم من خلالها السيطرة، على الأفكار، والمعتقدات، والاتجاهات الأسرية، إضافة للأفراد أنفسهم وميولهم وطموحاتهم، وسلوكياتهم، داخل الأسرة الواحدة، ومواقفهم سواء الفردية منها، أو الاجتماعية في المدينة الجديدة).

مفهوم الأسرة اصطلاحيا : (هي مؤسسة اجتماعية، تقوم على التناسلية، والميولات الأمومية والأبوية، وتختلف أشكال الأسرة حسب الثقافة المنتمية إليها، فهناك الأسرة أحادية الزوجة، و أخرى متعددة الزوجة، ووظيفتها، هي ضمان الأمن لأفرادها، وتربية أطفالها، ومن خلالها يتعلم أطفالها لغة، وعادات وتقاليد جماعتهم، ويكونون شخصيتهم عن طريق تقليد وتقمص الأولياء)².

مفهوم الأسرة إجرائيا : (هي أول وسط طبيعي للفرد، يعيش فيه بشكل جماعي، وتعتمد على مجموعة من القواعد والمبادئ، وهي الأسرة المرحلة إلى المدينة الجديدة، ذراع الريش ، وهي وحدة اجتماعية إنتاجية، تمثل مركزا للنشاطات الاقتصادية والاجتماعية، وهي تقوم على الالتزام المتبادل بين جميع الأطراف بالمودة، وهي مجموعة معينة من الأفراد يجتمعون معا، ويتفاعلون فيما بينهم، وهي في علم الاجتماع الخلية الأولى في المجتمع، كما أنها الخلية الأساس)³.

مفهوم المدينة اصطلاحيا : (هي المكان الذي يحتوي على تجمعات هائلة من السكان، كما تقام فيها محددة، تعمل على إشعاع الأفكار، والممارسات التي تنمي أسلوب ونمط الحياة الحضرية الحديثة، داخل المدينة)⁴.

مفهوم المدينة إجرائيا : (أنها نظام اجتماعي قائم ذو حالة حركية إنمائية، وديناميكية مستمرة، ومكان إقامة السكان الجدد، المرحلين من عدة أحياء سكنية هامشية، إلى المدينة الجديدة ذراع الريش، بولاية عناية، كما أن العلاقة بين مكونات المدينة وعناصرها المختلفة، والعلاقة بين هذه الأنظمة متبدلة ومتغيرة بشكل مستمر ودائم)⁵.

02- الإطار المنهجي للدراسة:

منهجية الدراسة، عبارة عن خطوات مدروسة بعناية من قبل الباحث؛ للوصول إلى الحقائق المرتبطة بموضوع البحث العلمي، وللإجابة على التساؤلات، التي طرحناها في مقدمة هذا البحث وظفنا منهج دراسة الحالة بتتبع أربع (04) حالات (ثلاث "03" رجال وامرأة واحدة "01")، العينة، هي عينة قصدية استهدفت قاطني المدينة الجديدة ذراع الريش بعنابة، وفرز العينة تم عن طريق كرة الثلج ، وتتراوح أعمار الحالات بين 29 سنة و56 سنة، وامتدت هذه الدراسة الميدانية من: 2019/09/01 إلى 2019/10/20، كما اعتمدنا على أدوات لجمع البيانات، تمثلت في مجموعة من الوثائق، تناولت خرائط، وصور للمدينة الجديدة، ذراع الريش بعنابة، وكذا مقابلة معمقة (بورية) طبقت مع الحالات الأربعة (04)، لرصد القيم الأسرية في المدينة الجديدة، واستعملت فيها تقنية المقابلة المعمقة، كوسيلة أساسية لوسائل جمع البيانات، كما استعين بالملاحظة والاستمارة وتحليل المضمون. (انظر الملحق رقم: 01): محتوي أسئلة المقابلة المعمقة).

03- المقاربة النظرية للدراسة:

مازال موضوع القيم في المدينة، يكتنفه الكثير من الغموض، والتعقيد، وذلك لوقوعه في أرض مشتركة بين عديد العلوم كعلم الاجتماع وعلم النفس والفلسفة والجغرافيا، ومحاولة إزالة اللبس عنه، وذلك بتبني مقاربة ايكولوجية، وأخرى نفسية اجتماعية.

أ- النظرية الايكولوجية: تشير هذه التسمية، إلى أعمال مدرسة فكرية متميزة، ظلت تسيطر على علم الاجتماع الأمريكي فترة طويلة حتى وقتنا هذا، حتى أنه من الشائع، استخدام عبارات، النظرية الايكولوجية والمدرسة الأمريكية أو مدرسة شيكاغو كعبارة مترادفة المعني⁶. وفي نفس الوقت، تثير العبارات الثلاث في أذهان المشتغلين بعلم الاجتماع الحضري، الإشارة إلى أعمال ثلاثة (03)، من رواد علم الاجتماع، في أمريكا هم: "روبرت بارك" مؤسس مدرسة شيكاغو و"ارنست بيرجس" و"روديك ماكيتزي"، تلك الأعمال التي وضعت منذ البداية الإطار النظري العام، الذي انطلقت من خلاله العديد من الدراسات اللاحقة، التي كانت لها مكانتها العلمية وأهميتها النظرية في تاريخ العلم، مثل دراسات "لويس ويرث" و"روبرت ردفيليد" و"ميلتون سبنجر" وغيرهم، أما "بارك" فقد صاغ الإطار العام للنظرية، حيث ذهب إلى اعتبار المدينة "مكانا طبيعيا لإقامة الإنسان المتحضر، وصورها على أنها "منطقة ثقافية" لها أنماطا ثقافية خاصة بها، فهي بناء طبيعي، يخضع لقوانين خاصة به⁷.

ويذهب "بارك" في المقال إلى أنه يحاول فهم المدينة، بوصفها مكانا، وكذلك باعتبارها نظاما أخلاقيا، وهو يعتقد أنه يجب وصف هذه الأخيرة بطريقة يمكن معها، عن طريق التحليل الوظيفي إظهار إمكانيات الحياة الثقافية والأخلاقية فيها، أما ما وصفه بأنه إيكولوجية المدينة، فإنه لا يعني الاقتصار على تتبع التقسيم المكاني الداخلي لها أو وضع خريطة لمختلف الأشياء التي توجد بها، وإنما ما أراده في الحقيقة، اكتشاف تأثير هذه الظواهر الفيزيائية في خبرة سكان المدينة الإنسانية والعاطفية ودورها في تشكيلها.⁸

ب - النظرية النفسية الاجتماعية : في مقابل النظرية الايكولوجية، التي وجهت أغلب أعمال مدرسة شيكاغو، كانت النظرية النفسية الاجتماعية، هي التوجيه النظري الذي سيطر على المدرسة الألمانية، كما تمثلها أعمال ثلاثة من روادها الأوائل هم : "ماكس فيبر" و "جورج زيمل" و "اوزفلد شبنجلر"، كان كتاب "ماكس فيبر" "المدينة" سنة 1905، أول عمل علمي لدراسة الحياة الحضرية، عولجت فيه المدينة، من منظور خاص، وبطريقة اختلفت إلى حد كبير من معظم المعالجات التي سبقت معالجته لها بقليل.

لقد بدأ "فيبر" في دراسته للمدينة، بالتصور الشائع لها على أنها منطقة مستقرة وكثيفة من سكان متزاحمين، ينعدم التعارف الشخصي والمتبادل بينهم، وقد ذهب إلى أنه على الرغم من أهمية هذا التصور إلا أنه يمثل جزءا بسيطا من نظرية المدينة، لأنه لا يعتبر كافيا لتحديد الخصائص المميزة لها، خاصة وأنه لم يوضح ما تلعبه العوامل الثقافية من دور في هذا الصدد، إلا أنه حاول جاهدا أن يبرر ظهور المدينة، في ضوء الأشكال المختلفة للتنظيم الاجتماعي، ومن ثم يحاول "فيبر" بعد ذلك ان يستعرض النماذج المختلفة التي يمكن من خلالها وضع تصور للمدينة، وناقشها واحدا بعد الأخر مثل "التصور الاقتصادي"، وعلاقة المدينة بالزراعة والتصور، الإداري والسياسي، محاولا بعد ذلك أن يستخلص من كل نموذج، ما يراه صحيحا أو ملائما، لوضع نموذج تصوري للمدينة أو المجتمع المحلي الحضري.⁹ ومن هنا يمكن القول أن أعمال رواد المدرسة الألمانية، كانت تدور حول الخصائص المميزة للمدينة والحياة الحضرية، باعتبارها خصائص تصدق على هذه الأخيرة ككل، فضلا عن تعريف ثقافة المدينة كظاهرة محددة، من خلال مقابلتها بالوحدات الاجتماعية الأخرى.¹⁰

04-دراسة سابقة حول القيم الأسرية في المدن الجديدة :

هي عبارة عن كتاب بعنوان:(الأثار الاجتماعية و الديموغرافية للنمو الحضري في العراق - محافظة اربيل نموذجاً- أطروحة دكتوراه في علم الاجتماع)، مقدمة من قبل عبد الباقي عبد الجبار الحيدري بإشراف ا د خميس طعم الله إلي الجامعة التونسية/ كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية / قسم الاجتماع للسنة الجامعية 2002/2001 م. والمرجع هو مجلة العلوم الإنسانية وهي مجلة الكترونية شهرية .يقوم على خدمتها من اكاديميين يتوزعون في بلدان العالم المختلفة.

انطلق الباحث في دراسته أساساً من أن ظاهرة اجتماعية متميزة مقارنة بالظواهر الحضرية لأنها تمثل الأهم والأعقد من صور العمران البشري باعتبار أن سكانها 50% من مجموع السكان في العالم، إضافة إلى أنها المنتج للحضارة ومركزها الإشعاعي، لذا احتلت دراستها حصة الأسد في الكتابات الأدبية والاجتماعية والعلمية بفروعها المختلفة، ومما زاد في استقطاب اهتمام الباحثين في البناء الحضري المتنامي باستمراره هو النمو الحضري وبروز المدن الكبيرة وانعكاس كل هذا على المتغيرات الاجتماعية و الديموغرافية والاقتصادية والجغرافية والتاريخية والسياسية.

وهذه كلها لعبت دوراً في اتساع هذه المدن وارتفاع كثافتها السكانية وعدم الانسجام بين أجزاء المدينة الواحدة اجتماعياً وديموغرافياً واقتصادياً، وهذه المشاكل بطبيعة الحال قد عانت منها المدن على نطاق عالمي ، ويرى بشكل واضح في مدن العالم العربي من خلال مشكلات الهجرة من الريف إلى المدينة والتضخم السكاني ، إضافة إلى المشكلات الاجتماعية والاقتصادية والتخطيط والإسكان ...الخ.

وجرت الدراسة مدينة اربيل، وهي من أقدم مواقع الاستيطان في العراق تصل جذورها إلى أواخر الإلف السادس قبل الميلاد. كما أن استمرار تزايد النمو السكاني بالمدينة أن يتم استيعابه بحدود مساحتها الحالية، وقام بتقسيم أطروحته إلى ثلاثة أبواب وخاتمة وتوصيات واعتمد بعضها على الآخر في توضيح موضوع الدراسة من خلال تخصيصه

انطلق الباحث من إشكالية تناولت البحث عن انعكاسات النمو الحضري وبروز المدن الكبيرة على الظروف الاجتماعية الديموغرافية والاقتصادية للمجتمع العراقي.

وتوصلت الدراسة الى النتائج التالية :

- أ. الهجرة من الريف إلى المدينة سبب التضخم الحضري ولا بد من وضع سياسة خاصة للتحكم بذلك.
 - ب. إعادة النظر في التقسيم الإداري الحالي بأسلوب علمي مدروس وكذلك في التصميم الأساسي للمدينة لتستوعب المتغيرات الديموغرافية والاجتماعية والعمرانية الراهنة والمستقبلية.
 - ج. المحافظة على سلامة البيئة من خلال المناطق الخضراء.
 - د - إيجاد جهاز يتولى الإشراف على الدراسات والبحوث العلمية ذات العلاقة بالتخطيط والتنمية العمرانية.
 - و. الحفاظ على أصالة مدينة اربيل كجانب تراثي حضاري في المنطقة.
- لقد تميزت هذه الدراسة في أنها أول دراسة تتناول الآثار الاجتماعية الديموغرافية النمو الحضري نظريا وتطبيقيا على مستوى محافظة اربيل والعراق في ضوء أسس علم الاجتماع الحضري.

05- القيم الأسرية في المدينة الجديدة :

1-5- القيم الأسرية :

- خصائص القيم الأسرية : يعد مفهوم القيم الأسرية من المفاهيم المتشعبة، التي تدخل ضمن العديد من التخصصات المختلفة ولذلك فقد وضع الباحثون عددا من الصفات والسمات المشتركة التي تسهم في توضيح هذا المفهوم. القيم أساسية في حياة كل انسان، فهي بمثابة مرشد وموجه لكثير من النشاط الحر الإرادي للإنسان.¹¹
- 1- القيم اجتماعية: أي أنها تنبثق من خلال التطبيع الاجتماعي فهي تتأني من تراث، المجتمع والعلوم الإنسانية وهي التصور الاجتماعي الذي يتحدد من خلال معايير المجتمع .
 - 2 . القيم مكتسبة: إذ يتعلمها الفرد عن طريق التربية الاجتماعية والتنشئة في نطاق الجماعة.
 - 3 - القيم تترتب هرميا: ويعتبرها أحد السوسولوجيين "هناك قيما لها الأولوية في حياة الفرد عن باقي القيم، كالقيمة الدينية عند رجل الدين، تقع في المنزلة الأولى لديه عن باقي القيم بل تعتبر باقي القيم خاضعة لسيطرتها، نفس الأمر بالنسبة لرجل التجارة فالقيمة الاقتصادية لها الأولوية "¹².

4 - القيم مجردة: أي أن القيمة لا تمثل شيئا محددًا، فهي أكثر عمومًا وشمولًا وتجريدًا من الاتجاهات، كذلك لا تتحدد بموضوعاتها على نحو مباشر.

أما الوعي الجمعي فينشأ من تكيف الفرد (الذات) مع بيئته من خلال تفاعلهم معها ومع بعضهم البعض ، فيؤثر كل منهم على الآخرين وبالتالي يعدل كل واحد سلوكه على ضوء سلوك الآخرين ، إذن "الجماعة تستطيع أن تقيم لنفسها واقعا في داخلها إذا توصلت إلى فهم مشترك وقيم مشتركة شكلت بناءها العقلي"، فالجماعة التي تستطيع أن تشكل لنفسها رموزا يتعارف عليها أعضاؤها فقد استطاعت أن تحقق تفاهما مشتركا وبالتالي تؤسس قيم ومعايير مشتركة وعامة.¹³

القيم الأسرية من المنظور الاجتماعي : لقد اعترض الكثير من علماء الاجتماع، على غرار علماء النفس على دراسة القيم الأسرية دراسة علمية لاعتبارها من المواضيع التي تفتقد إلى الموضوعية. والتي هي صفة أساسية في العلم، زد إلى أن هذا المفهوم متعدد المعاني بتعدد المنطلقات الفكرية التي تعالجه، ولم يظهر أي اهتمام بالقيم كموضوع بحثي إلا في عام 1918 في دراسة بافيت لتوماس TOMAS وزنانيكي Florian ZNENIEKI، عن الفلاح البولندي في أوروبا وأمريكا حيث ظهر الاهتمام بالقيم، التي يحملها الفلاح اتجاه أرض المهجر، وفي عام 1949 قام مكرجي Mukergee، بدراسة حول "البناء الاجتماعي للقيم"، ومن هناك جاء الاهتمام بموضوع القيم من خلال دراستها من بعض الزوايا.¹⁴

2-5- السياسة العمرانية والمدن الجديدة :

. السياسة العمرانية في الجزائر: واجهت السلطات العمومية بعد الاستقلال مشاكل ضخمة تمثل في أزمة سكنية خانقة ، كان من ضمن اسبابها اتباع سياسة التنمية الاقتصادية، وكان تركيز الدولة في سياستها التنموية على الاقاليم الساحلية، فالنمط العمراني كمجموعة من الخصائص البيئية والاجتماعية والاقتصادية، التي تتفاعل معا فينتج عنها الطابع العمراني، الذي يتنوع ويتعدد بتنوع تلك الخصائص، وتؤثر الخصائص الاجتماعية والأسرية بصفة خاصة في تشكيل وتكوين الطابع العمراني للمدينة، فينتج عنه أنماط ريفية، أو شبه حضرية، أو حضرية، أو غيرها.¹⁵ علما أنه لا وجود لخط فاصل بين الفرد والبيئة، بل إن التفاعل بينهما يبلغ حدا كبيرا، يجعل شخصية الإنسان، نتاج تفاعل مستمر بين النواحي العضوية والنفسية.¹⁶

فأنشئت المجمعات السكنية الجديدة، بجانب المصانع ، وتحولت بذلك الى مدن ضخمة، بحيث اعتمدت الدولة في برامجها السكنية ، سياسة تمحورت حول السكن فحسب ، خاصة وان المدن الجزائرية نمت نمووا سريعا، وتضاعف عدد سكانها 3 مرات خلال 20 سنة، وتشير الاحصائيات سنة 2004 بأن عدد سكان المدن قدر ب 59 % بنما سكان الريف 41 %، ويلاحظ بان مدن الوسط أكثر اكتظاظا من مدن الشرق والغرب 44 %، الأمر الذي جعل المجتمع برمته يعاني ازمة سكن حادة ، في حين انه كان من الأرجح والضروري ان تكون هذه الازمات المتعاقبة، بمثابة حوافز تدفع بالمشرع، لإعادة التفكير في النصوص، والتشريعية، والتنظيمية واعادة صياغتها بما يتناسب والظروف الموجودة، في محاولة لتغطية مطالب المجتمع الحضري، الذي يمثل أكثر من 80 % من مجموع سكان الجزائر.¹⁷

فالمدن التي تخطط وتبني الان ليست مخصصة للإنسان العصري فقط، بل للناس ونشاطاتهم المتعددة في السنوات المقبلة ، وقد رأى ابن خلدون(في المدينة/ الحضارة تستقر الامور ويتجه الناس الى الصناعات واشباع الحاجات والترف وتضعف العصبية وتضعف روح التضحية).¹⁸ وعليه يجب الأخذ بعين الاعتبار أن مركز المدينة الحديثة يجب أن يتلاءم مع النمو والتطور الدائمين لطبقات المجتمع، ووظيفته الأسرة هي ضمان الأمن لأفرادها وتربية أطفالها ومن خلالها يتعلم أطفالها لغة وعادات وتقاليدهم ، ويكونون شخصيتهم عن طريق تقليد وتقمص الأولياء.¹⁹

إن المدينة الحديثة تحمل في طياتها طابعا تجديديا، بحيث لا تأخذ بعين الاعتبار الظروف الاجتماعية والاقتصادية والنفسية والثقافية والعمرائية الخاصة بالمنطقة، وطبيعة العلاقات الاجتماعية للفرد والمجتمع، فالعمران المنجز يعاني من فوضى، مما قلل من المجال الحيوي وزاد من توتر العلاقات والقيم الأسرية، بتقليص الفضاءات العامة، (مساحات خضراء، مساحات عامة، فضاءات للعب)، خاصة للأطفال الذين أصبحوا لا يملكون للعب لا فضاء منزليا ولا خارجيا ، هذا ما ساهم في حدة الانحرافات والصراعات، لذلك تواصلت الدولة اليوم معالجتها لمسألة السكن l'habitat من المنظور الكمي، الذي تبنته منذ الاستقلال، دون النظر عدم التوازن الذي حدث في الهيئة العمرانية، ودون ادراك، أن المدينة لازالت تمثل قطب انجذاب لكل الفئات الاجتماعية، بما فيها المستضعفة، باعتبارها مركز السلطة والمعرفة، وفرصة للرقى الاجتماعي.²⁰

فكانت السياسة العمرانية المتوخاة، هي تنظيم المجال "espace" حسب تطور القوى الإنتاجية، والهدف المنشود، هو تكوين طبقة عمالية، عن طريق التصنيع، وبذلك شيدت مجمعات سكنية، قرب المصانع، التي انجزت بضواحي المدن الشمالية، أساس مثل: (مصنع الحديد بعنابة، الجرارات بقسنطينة، الحافلات والشاحنات بالجزائر العاصمة .. الخ)، التي بدأت تتوسع، وتعاظم مع مرور الزمن، ودون تخطيط عمراني محدد، وموزعة في كل الاتجاهات، وبدون معالم.

النمط العمراني لمدينة عنابة :

إن المتمعن في المقومات الحضارية لمدينة عنابة، يرى أنها عرفت تطورات كبيرة من حيث النمط العمراني، ومن حيث هندسة البناء، التي تعود إلى السنوات الماضية، هذا النوع من السكن ذو الطابع الغربي موجود في المناطق التي غادرها الأوربيون، وهذا ما سمح لكل الفئات الاجتماعية بشغل تلك الاملاك الشاغرة، بحيث تبنت الدولة سنة 1964 قرار تسير تلك الاملاك الشاغرة. والنوع الثاني من العمارة في مدينة عنابة، يتجلى في العمارة الحديثة ذات النمط المعمول به في أغلب مشاريع الاسكان في الجزائر، وعليه يتطلب هذا الفضاء من الذين يشغلونه، مراعاة طريقة العيش واعتماد مجموعة ممارسات تمثل علاقات جديدة بين افراد العائلة انفسهم (علاقات جديدة بين الجنسين وبين مختلف الاعمار، طريقة جديدة في تسير الشؤون الاقتصادية للمنزل والعائلة).



الصورة رقم 01: النمط العمراني الغربي بعنابة



الصورة رقم 02: النمط العمراني الجديد بذراع الريش - عنابة

تقع ولاية عنابة في الجهة الشمالية الشرقية للجزائر، يحدها شمالا البحر الأبيض المتوسط على طول 80 كلم، جنوبا، ولاية فاملة ولاية الطارف من الجهة الشرقية، في حين تحيط بها ولاية سكيكدة غربا، وذراع الريش المدينة الجديدة، هي مدينة كبيرة تقع ببلدية وادي العنب، من المنتظر أن يصل عدد سكانها 120 ألف ساكن، بعد ترحيل السكان من الأحياء الهامشية، مثل أحياء سيدي سالم وبوزعرورة وبوخضرة وبوسدرة والعلاليق ببلدية البوني، وأحياء الشعبية والقنطرة حجر الدير ببلدية سيدي عمار، وأحياء ساحة السلاح ولوري روزو وبوحديد .

بعض خصائص الإدارية والعمرانية لمدينة ذراع الريش : يتميز مركز المدينة الجديدة، بالعديد من الخصائص، من أهمها ما يلي:

- 1- وجود كثافة مرورية كبيرة، لأن نهاية معظم الطرق الرئيسية في المدينة تؤدي إليه.
- 2- ارتفاع أسعار الأراضي الخاصة بموقعه، وذلك بسبب تزايد الطلب على خدماته المختلفة.
- 3- اختلاف الكثافة السكانية في موقع مركز المدينة في فترة النهار عن الليل، وذلك لأنه يجذب العملاء من مختلف مواقع المدينة.
- 4- تواجد في مركز المدينة العديد من المحال التجارية الكبيرة التي تحتوي على مخازن، وتمتلك العديد من الطوابق التي تحتوي على سلع ذات وظائف متعددة.

5- الصناعات الإنتاجية قليلة في منطقة مركز المدينة، إلا أنها قد تتواجد في أطراف المنطقة الوسطى في مركز المدينة توجد بعض الشوارع التي تختص في نشاط معين.



الخريطة، توضح الموقع الجغرافي للمدينة الجديدة، ذراع الريش، بلدية وادي العنب، ولاية عنابة، فذراع الريش تمثل النمط العمراني الجديد، وما يحمله من تأثير، على الحياة الإدارية والعمرانية والاجتماعية، والاقتصادية، والثقافية على سكان المدينة.

06- عرض الحالات المعبرة عن القيم الأسرية في المدينة الجديدة :

الحالة الأولى:

توفيق يبلغ من العمر (29) سنة، ذو مستوى الثانية ثانوي، متزوج وأب ل أربعة (04) أطفال متمدرسون، زوجته مأكثة في البيت، عامل يومي في ورشات البناء المنتشرة بكثافة وسط المدينة الأصلية عنابة، يقطن بحي (900 مسكن AADL عدل) بمدينة ذراع الريش عنابة، يعيش زيادة على عائلته الصغيرة مع أمه و جدته، متعاقدًا سابقًا مع إحدى الهيئات النظامية، له مرتب شهري، لا يلبي احتياجاته اليومية لعدد أفراد الأسرة الكبيرة، ولمرض والدته و جدته

بأمراض مزمنة، من السكان المرحلين منذ خمس (05) سنوات ، يرى هذا الشاب أن أهم ما يميز المدينة الجديدة أنها بادية التأثير الذي تمارسه المدينة على الحياة الاجتماعية والأسرية للإنسان الحضري، عكس الحي الشعبي الهامشي من حيث التضامن بين أفراد الأسرة الواحدة وبين السكان، وغير ذلك من ظواهر تدل على تفكك المدينة واتجاهها إلى الاضمحلال، سكان المدن الجديدة مثلها مثل المدن الكبرى نجدهم الأقل التزاما بالقيم الاجتماعية الأسرية، ليس ذما بهم إنما لأن العلاقات الاجتماعية الأسرية شبه معدومة في الحياة المدنية، إلا ما ندر منها، لذلك لا ينشأ مثل ذلك الالتزام التضامني الاجتماعي الأسرية في تلك البيئة الحضرية.

أن المدينة الجديدة، قد تخلق هندسة متغيرة للقيم الاجتماعية المتنوعة، تختلف راديكاليا عما هي في الأحياء الهامشية. هناك مجموعة من التحولات و التغيرات التي طرأت في مجال الحياة الأسرية في المدن الجديدة، والتي أحدثت تغيرا وتبدلا في بعض القيم الأسرية التقليدية، التي كانت تسود المجتمع في الأحياء الهامشية، وتحكم سلوكيات واتجاهات أفرادها، وتطور النظر لأسباب وحجم تلك الظاهرة، والنتائج التي تمخضت عنها، أن المدينة في تصور توفيق ليست مجرد المكان الذي يعمل فيه الإنسان الحديث ويأوي إليه، بل لأنها المكان أو المركز الذي يضبط وينظم، ويمسك بزمام المبادئ الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، والفنية للمجتمع الحضري، ولكنها قضت على كل شيء جميل، كان يحلم به الساكن الحضري في المدينة الجديدة، وتختلف القيم الأسرية في المدينة الجديدة.

الحالة الثانية :

عبد الرزاق، يبلغ من العمر (37) سنة، ذو مستوى الثالثة ثانوي، متزوج وأب ل خمسة (05) أطفال متمدرسون، زوجته موظفة في سلك التعليم، موظف في الادارة العمومية وسط المدينة الأصلية عنابة، يقطن بحي 1950 مسكن المسماة بالأبراج TOUR بمدينة ذراع الريش ، من مرحلي حي سيدي سالم ببلدية البوني بعنابة، يؤكد عبد الرزاق أن حياته وأسرته تغيرت جذريا منذ الترحيل، وبدأت تظهر قيم اجتماعية جديدة غير مألوفة بالنسبة لأسرته المرحلة، فبدأ يلاحظ أن التضامن الذي كان سائدا بين أفراد الأسرة بدأ يقل شيئا فشيئا، حتى أن اجتماع أفراد الأسرة الواحدة على طاولة الأكل بدأ ينعدم، فعيش أهل المدينة حياة متكلفة جدا، بعيدا عن البساطة والعفوية في العلاقات كما كانت في الحي الهامشي، حتى أن سكان العمارة الواحدة قد لا يتبادلون الزيارات أحيانا، وعيش الأسرة حالة من الخصوصية حيث يقل التضامن والاهتمام بين أفراد الأسرة الواحدة، لوجود البيت الواسع والغرف المريحة.

وقد تفاجأ عبد الرزاق من أن المدينة الجديدة ذراع الريش عنابة، منطقة كثيفة من السكان المتزاحمين، ينعدم التعارف الشخصي والمتبادل بينهم، لأن المدينة تتكون من مجموعة أو أكثر من المساكن المقترحة حيث بناء المنازل في المدينة متقاربة مع بعضها البعض فيكون الحائط لصيق الحائط كما هو الحال في المدن الحديثة الغربية الرأسمالية، فتغيرت القيم الأسرية التي كانت تحكم سلوكيات واتجاهات الأفراد، فهناك تبدل وتحويل أصاب القيم الأسرية التقليدية، فشمّل نوع العلاقات الاجتماعية، كما أصاب الفكر من حيث الصياغة والتكوين، فظهرت الأفكار الجديدة، فيحس الفرد أن هناك هوة ثقافية تكبر وتتوسع ببطء بين أفراد المدينة الجديدة عامة وأفراد الأسرة الواحدة خاصة، كما نقص إيمان أفراد مجتمع المدينة الجديدة بقيمهم الاجتماعية وتعظيمهم لها، وانقيادهم لها، حيث أصاب التغير القيم الأسرية السائدة في الصميم، بل حاول قتلها، وقد تصل تلك السلوكيات إلى درجة إلحاق الضرر بحقوق الآخرين أو التأثير على الذوق العام المتفق عليه، أو تزعزع السلم الاجتماعي والأسري بين أفراد مجتمع المدينة الجديدة، ويتضح ضعف بعض القيم الاجتماعية الأسرية أو اختفاؤها أو تخلي بعض الناس عنها بسرعة، ما يكشف أن الالتزام بها ليس بقناعة تامة، فالمدينة الجديدة كونها أكثر عرضة للاختلاط الثقافي، والاجتماعي، والتغير الاجتماعي بسبب تأثير الأنماط والأشكال العمرانية الموجودة فيها، جعلتها تمارس تأثيرا كبيرا على القيم الأسرية الموجودة فيها، عكس الحي الهامشي السابق، التي تمثل القيم الأسرية فيه النموذج المثالي للاندماج القيمي، كما تعتبر معقلا محليا تسوده قيم التعايش السلمي، والتضامن الاجتماعي، التسامح والتعاون، النتيجة هي أن المدينة ليست من يدمج القادمين الجدد إليها، ولكن القادمين المرحلين الجدد هم من يعطي للمدينة الجديدة الصورة التي تتوافق مع قيمهم القديمة وذهنياتهم المكتسبة، يؤكد عبد الرزاق أن النمط العمراني في المدينة الجديدة يتعارض مع الخصائص الاجتماعية والثقافية للجماعات التي تسكنه، والمرحلة من مختلف الأحياء الهامشية.

الحالة الثالثة :

زين الدين، شاب عمره (45) سنة، ذو مستوى الثانية جامعي بيولوجيا، متزوج وأب لأربعة (04) أطفال، عامل يومي سائق سيارة أجرة، زوجته مائكة في البيت، مستواه الدراسي الثالثة ثانوي تقني رياضي، يقطن بحي 2000 مسكن بمدينة ذراع الريش ببلدية واد العنب بعنابة، من السكان المرحلين منذ أربع (04) سنوات من حي عطوي صالح الشعبي الهامشي ببلدية الحجار بعنابة، يرى هذا الشاب أن القيم الاجتماعية التي كان يحلم بها في المدينة الجديدة لم

يجدها، بل بالعكس فقد تفاجأ من التغير والتبدل الذي لاحظه منذ الترحيل، وأن أهم ما يميز المدينة ليس فقط بنسبة السكان الذين يعيشون في المدن وإنما في التأثير الذي تمارسه المدينة على الحياة الاجتماعية للإنسان عكس العي الشعبي الهامشي، حيث التضامن الاجتماعي الالي بين أفراد المجتمع، وذوبان الفرد في الجماعة و خاصة الأسرة الصغيرة.

ويؤكد زين الدين أنه يمكن ملاحظة وجود قيم ريفية في المدينة الجديدة، متخذة أشكالاً عديدة: كتربية الحيوانات في التجمعات السكنية، تجفيف الملابس على الشرفات، تحويل المجلات العامة المحاذية للمسكن إلى حدائق شخصية، أنماط اللباس التقليدي (القشابية)، لقد خلق انتقال القيم الريفية إلى المدينة لا تجانس واضح في المنظومة القيمية الاجتماعية و المعيارية الحضرية في المدينة الجديدة. وأعاق كل عمليات الاندماج العمراني الحضري بين السكان المرحلين، وتسبب في الكثير من المشاجرات بين السكان، وخلق تنافراً كبيراً بينهم، حتى المناسبات الأسرية الاجتماعية والثقافية والدينية لم تعد تجمعهم كتلة واحدة للتضامن والتكافل والتعاقد.

الحالة الرابعة :

دليلة، تبلغ من العمر(56) سنة، ذات مستوى جامعي، متزوجة وأم لـ ثلاثة (03) أطفال متمدرسون، زوجها موظف في سلك التعليم، موظفة في الإدارة العمومية وسط المدينة الأصلية عنابة، تقطن بحي 300 مسكن المسماة بالأبراج TOUR بمدينة ذراع الريش بلدية واد العنب بعنابة، من مرحلي حي بوعقدية الهامشي، المجاور لحي سيدي سالم بلدية البوني بعنابة، تؤكد دليلة أن حياتها وأسرتها تغيرت جذريا منذ الترحيل، وبدأت تظهر قيم أسرية جديدة غير مألوفة بالنسبة لأسرته المرحلة، فبدأت تلاحظ أن التضامن الذي كان سائداً بين أفراد الأسرة بدأ يقل شيئاً فشيئاً، كما أن القيم التقليدية التي كانت تمنع خروج المرأة ليلاً، والتزامها بالدخول المبكر لبيتها، زالت سارية المفعول رغم التغير.

وتؤكد دليلة، أن التنشئة جعلت من خضوعهن منعكسا شرطياً، بينما يبقى الذكور على حريتهم في ذلك، وينشأ صراع قيمي أسري، بين القيم الجديدة أو المستهدفة من التغيير، والقيم السائدة بالفعل في المجتمع، وأشارت الى بروز ظواهر جديدة على مجتمعنا الأصل، ومنها ظاهرة الاعتداء على الأصول والجيران والأطباء والممرضين والاعتداء على المدرسين والأساتذة والمعلمين والشبابي على النساء والمتمدرسات في التعليم المتوسط والتعليم الثانوي، عكس الأحياء الهامشية السابقة، حيث كانت تسود فيه منظومة القيم الاجتماعية التكافلية والتعاون والتعاقد والشعور الحسن والصادق بين أفراد المجتمع ، حيث كانت القيم الاجتماعية الاصلية

تشكل في مجملها النظام الأسري و النسق الثقافي و الوفاق الأخلاقي للمجتمع، وتوجه الناس في حياتهم و تضبط الأنشطة التي يقومون بها في حياتهم اليومية، فتلاشت وانخفضت، قيم التحية، والأمانة والوفاء، والصدق والجد والإحسان، وحسن الجوار وغيرها.

07- عرض النتائج ومناقشتها :

وقد توصلت الدراسة الى مجموعة من النتائج هي :

01. ترتبط القيم في الأساس بالمعتقدات السائدة في المجتمع، مجتمع المدينة يرى أن الأنانية و الفردانية خير يجب اتباعه، وتختلف القيم الأسرية في المدينة الجديدة، عنها سابقا في نشاطات الشباب والاحتفالات الذهاب في نزهة، ومواقيت الدخول إلى البيت، والصدقة، عقاب الأبناء، وحرية الجنسين داخل الأسرة والتضحية من أجل الأسرة والأشغال المنزلية وتقييم العلاقة مع الأولياء، والتربية المعتمدة.

02 - تشكل القيم الأسرية بنية العقل الجمعي، وتفسر السلوك الاجتماعي للأفراد و الجماعات في مجتمع ما، وهي المصدر الاجتماعي لنمطية سلوك الأفراد و طريقة تفاعلهم مع الآخرين، إقامة الفتيات بعيدا عن الأسرة من أجل الدراسة أو العمل، العلاقات العاطفية، والزواج، وعلاقة الإخوة الذكور بالإناث، والعلاقة مع الأولياء، والطاعة.

03 - سكان المدن نجدهم الأقل التزاما بالقيم الأسرية، ليس ذما بهم إنما لأن العلاقات الاجتماعية شبه معدومة في الحياة المدنية، إلا ما ندر منها، لذلك لا ينشأ مثل ذلك الالتزام الأسري في تلك البيئة، فالقيم الأسرية الحضرية تتأقلم هنا مع قيم الثقافة التقليدية، إذ لم تبق القيم التقليدية مثلما كانت عليه، ولا القيم العصرية مثلما كانت عليه، بل ما تم هو إعادة امتلاك الثقافة العصرية، مما أدى إلى إعادة تبلور القيمة، أو الممارسة حسب الوسط الثقافي الموجود، كالاحتفال بأعياد الميلاد، مثلا التي ترفض فيها الأسر الاختلاط بين الجنسين.

04. إذا كان البناء الاجتماعي، يتكون من مجموعة متصلة، ومنمطة من العلاقات الاجتماعية التي تبرز من خلالها أدوار الأفراد، ووظائفهم فإن للبناء الاجتماعي الأسري الحضري، أهمية حيوية في تشكيل الشكل الحضري السائد، فهو يتسم بخصائص معينة، لعل أهمها سيادة العلاقات غير الشخصية، التي تظهر في شكل التفاعلات والعلاقات المستمرة بين الأفراد.

05. أن المدينة الجديدة قد تخلق هندسة متغيرة للقيم الأسرية المتنوعة، فالمدينة الجديدة فوق هذا كله اتجاه عقلي ومجموعة من العادات والتقاليد إلى جانب تلك الاتجاهات المنظمة والعواطف المتأصلة في هذه العادات والتي تنتقل عن طريق هذه التقاليد، القيمة هي تلك الحقائق الأساسية في البناء الاجتماعي.

الخاتمة:

ظاهرة الانتقال النسبي لمرحلة التغير، عبر القيم الأسرية في المدينة الجديدة، نحو الإقبال على القيم الحضرية العصرية، إلى أن ذلك التقدم لازال بطيئا، فرغم أن الشباب أثبتوا بأنهم أكثر معاصرة وحضرية، إلا أنهم أثبتوا أيضا اقتناعهم بمحافظتهم على بعض القيم التقليدية والدينية، بما ينبئ بوتيرة سير بطيئة نحو العصرية، وتخضع القيم الأسرية الحضرية لانتقاء حسب الاقتناع التقليدي، ويبدو أن هذه المرحلة الانتقالية الطويلة، عرفت استقرارا لدى الباحثين بصفة لا شعورية، وهذا يحتاج الى الدراسات السوسولوجية والنفسية المعمقة، مستقبلا.

قائمة المراجع:

- 1 فوزية ذياب.(1980). *القيم والعادات الاجتماعية*، دون ط. بيروت، لبنان: دار النهضة العربية.
- 2 Mostafa Boutefnouchet la famille Algérienne, Evolution Caractéristiques Alger SMED 1980.
- 3 الهام بنت فريج العويضي (2004م)، أثر استخدام الانترنت على العلاقات الأسرية (الطبعة الأولى)، ج1 جده، السعودية: وكالة كليات البنات.
- 4 محمد عباس إبراهيم، التنمية والعشوائيات الحضرية، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، دك، 2000.
- 5 سمية هادفي. (2014). *سوسولوجيا المدينة وأنماط التنظيم الاجتماعي الحضري*. الجزائر، الجزائر: مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية.
- 6 علي فؤاد أحمد. (1979). *محاضرات في علم الاجتماع الريفي*. القاهرة، مصر: دار الثقافة والعلوم.
- 7 بدوي محمد، (1995). *علم الاجتماع الاقتصادي*، دون طبعة، الاسكندرية، مصر: دار المعرفة الجامعية.

- 8 محمد عاطف غيث، (1995). علم الاجتماع الحضري، مدخل نظري (الإصدار دون طبعة). الاسكندرية، مصر: دار المعرفة الجامعية.
- 9 السيد عبد العاطي السيد. (1985). علم الاجتماع الحضري، مدخل نظري. الاسكندرية، مصر: دار المعرفة الجامعية.
- 10 فينست فرانسيس كوستيللو. (1997). التحضر في الشرق الاوسط. (غريب محمد سيد أحمد و عبد الهادي محمد اوي، المترجمون) الاسكندرية، مصر: دار المعرفة الجامعية.
- 11 علي فؤاد أحمد. (1979). محاضرات في علم الاجتماع الريفي. القاهرة، مصر: دار الثقافة و العلوم.
- 12 محمد علي القطان. (1989). القيم الاجتماعية. القاهرة، مصر: دار الفكر والعلوم.
- 13 محمد أحمد محمد بيومي. (2004). علم اجتماع القيم (الإصدار دون طبعة). الاسكندرية، مصر: دار المعرفة الجامعية.
- 14 عبد المجيد عبد الرحيم. (دون سنة). تطور الفكر الاجتماعي. القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية.
- 15 حسين علي الفول. (2003). علم النفس الجنائي، دار الفكر العربي، القاهرة.
- 16 محمد علي القطان. (1989). القيم الاجتماعية. القاهرة، مصر: دار الفكر والعلوم.
- 17 MOSTAFA BOUTEFNOUCHET. (1980). LA FAMILLE ALGERIENNE EVOLUTION CARACTERISTIQUES .ALGER ،ALGERIE: SMED.
- 18 الديق بلقاسم. (2004). البيئة العمرانية الحديثة والمرض الاجتماعي في المدينة الجزائرية. قسنطينة: منشورات جامعة قسنطينة.

إشكاليات الفعل النقابي في الجزائر إتجاه المجتمع (رؤية تحليلية)

The problematic of trade union action in Algeria towards society (Analytical vision)

أ.د إلياس شرفة

طالبة دكتوراه/ أفراح هلياني

جامعة الشاذلي بن جديد الطارف

الملخص:

جاءت هذه الورقة البحثية لتسلط الضوء على واقع الفعل النقابي في الجزائر والمسائل التي أوقعت في ضبابية ، حيث يقوم الفعل النقابي في أساسه على الدفاع عن حقوق العمال وحمايتهم من تهديدات البيئة المحيطة بهم واغتنام الفرص المتاحة لتفعيلها كمكاسب عمالية تحفزهم للعمل والتطور، ولأن هذا العامل هو أساس البناء الاجتماعي فإن تفعيل آليات النضال النقابي يجب أن تواكب كل التغيرات التي يتعرض لها العامل وتتجاوز دائرة الإهتمام به إلى محيطه الاجتماعي والسهر على حمايته وتأمينه كمواطن والمحافظة على حقوقه وضمان تنميته ورفاهيته.

سنحاول التعرف على واقع الفعل النقابي في الجزائر من زوايا مختلفة وعلاقته ببعض القضايا الإقتصادية والإجتماعية والإشكاليات المطروحة ودوره فيها برؤية تحليلية سوسيولوجية.

الكلمات المفتاحية: الفعل النقابي، النقابة العمالية، المجتمع

Summary :

This research is based on the reality of trade union work in Algeria and the issues that cause uncertainty for it, because it mainly works to defend and protect workers professionally, and to seize opportunities to achieve labor gains that motivate them to

develop and work, it is the basis of social construction, activating the mechanisms of trade union struggle must accompany all changes To which the worker is exposed and goes beyond the circle of concern with him to his social environment and guarantees his protection and security as a citizen and the preservation of his rights and well-being. We will try to identify the reality of trade union action in economic and social issues, and its role in it with an analytical social vision.

Key words: union work, labor unions, society

مقدمة:

شهدت الساحة المهنية على مر السنوات نضالا عماليا من أجل تأمين مصالحهم وحقوقهم، وأبرزها كانت في حقبة الثورة الصناعية وما حملته من نهضة ثورية في وجه أرباب العمل، وتوالى الاحتجاجات والحركات وانتظمت في إطار رسمي يرافع من أجل حقوق الطبقة العمالية الهشة ويحافظ على المكاسب التي تحققت.

والجزائر رغم أنها كانت تحت رحمة الإستعمار إلا أنها عرفت تكثلا نقابيا منظما تحت إسم الإتحاد العام للعمال الجزائريين سنة 1956، حاول حشد العمالة الجزائرية، إلا أنه أجهض ليستمر النضال بعد الإستقلال كيد سياسية لجهة التحرير الوطني، حتى إقرار التعددية في ثمانينيات القرن الماضي.

وارتبط إنشاء النقابة العمالية بتأدية ادوار إقتصادية، إجتماعية، مهنية وتعليمية تقليدية في عدة القطاعات تنشط بها العمالة، ولكن العوامل المحيطة بالبيئة الإجتماعية تتطلب التوسع في الرؤى والاجتهاد لتحقيق مستوى نشاط عالي من النضال والفعل النقابي من خلال تبوأ النقابة أدوارا جديدة تضاهي التحولات الإقتصادية والتكنولوجية خاصة والتي تتبعها تأثيرات إجتماعية وتعليمية وصحية .

فالدور الجديد للنقابة العمالية يستلزم منها رفع عروض عمالتها إلى إحداث تنمية مستدامة تتعدى حدود الحيز المكاني البسيط والتخلي عن التفكير الكلاسيكي الذي يقف عند حدود غلاء المعيشة، رفع الأجور، وتوفير النقل، والتأمين الصحي، بل عليها أن تشارك في إنشاء قاعدة تنموية فعلية ليكون المناضل النقابي هو الفاعل في انتزاع مكاسب وطنية من رحم الأزمة بفضل جهده ومؤهلته وتفاعله وممارساته، فكلما تمكن المناضل من خلال نقابته من تقديم

عروض تنموية عالية تأخذ في حسابها أن العامل هو مواطن بالدرجة الأولى وأن نهاية عمله لا يعني نهاية علاقته برب العمل بل على العكس من ذلك تبدأ عندها علاقة جديدة هي امتداد للأولى تتمثل في الحفاظ على هذا المورد البشري من خلال دعمه في جميع المجالات .
وتهدف هذه الدراسة إلى لفت الإنتباه للقضايا الإجتماعية التي يتخبط فيها العمال بصفتهم مواطنين ومعرفة مدى جاهزية وقدرة الجهاز النقابي لاكتساح ميادين في نضاله.
من هنا جاءت هذه الورقة البحثية للوقوف على الواقع الفعلي للنقابة العمالية في الجزائر من خلال طرح الإشكال التالي: - ماهي الإشكاليات التي يعرفها الفعل النقابي في الجزائر إتجاه المجتمع؟

1- التأسيس المفاهيمي للدراسة:

1-1 تعريف الفعل النقابي:

لكي تتمكن من فهم الفعل النقابي علينا أن نضعه في سياقه الاجتماعي الذي ولد فيه، فالفعل الاجتماعي حسب فيبر هو " صورة للسلوك الإنساني الذي يشتمل على الاتجاه الداخلي والخارجي الذي يكون معبرا عنه بواسطة الفعل أو الإحجام عن الفعل، وأنه يكون الفعل عندما يخص الفرد معنى ذاتي معيناً لسلوكه، والفعل يصبح اجتماعياً عندما يرتبط المعنى الذاتي المعطى لهذا الفعل بواسطة الفرد بسلوك الأفراد الآخرين ويكون موجهاً نحو سلوكهم"¹، ويشير مفهوم الفعل الاجتماعي عند تالكوت بارسونز إلى "إدراك الفعل للبيئة والمشاعر والأفكار... فالفعل متبادل بين فاعلين أو أكثر، ويتطور من خلال مجموعة من القواعد السلوكية، والمعايير، والقيم المجتمعية والنظامية التي توجد في الثقافة التي تحيط بالفعل الاجتماعي ذاته... وهو أيضاً ضروب السلوك التي يكونها الفرد عن العالم الخارجي والتي يأخذها في الحسبان ويستجيب لها"²
والفعل النقابي من هذا الباب هو ذلك النشاط والدور النقابي الهادف والمتوقع الذي يأخذ في حسابه المتغيرات الاجتماعية والإقتصادية المتشكلة في البيئة المجتمعية والتي تؤثر في مستقبل الطاقات البشرية والتنمية القومية ويعمل النقابيون على حماية العمال بصفتهم مواطنين من خلال مد جسور نضالهم خارج الحيز المؤسساتي .

2-1 تعريف النقابة العمالية:

مصطلح نقابة مشتق "لغويا من كلمة (نقيب) ويعرف في لسان العرب بأنه السيد والحكيم والعريف في قومه وهو من ينقب عن أحوالهم"³، بمعنى رئيسهم ومنها جاءت كلمة نقيب الأطباء، نقيب المحامين وغيرها.

أما إصطلاحا فيعرفها الأستاذ ضياء مجيد الموسوي على أنها:"الأداة الأساسية التي تتعرف على حاجات و رغبات العمال من جهة و تقوم بالمفاوضات مع أرباب العمل من جهة أخرى"⁴. كما تعرف بأنها" تلك المنظمة التي تعد الأساس الذي يركز عليه صرح علاقات العمل الجماعية، والتي تتكون من جماعة من العمال لتمارس نشاطا مهنيا بقصد الدفاع عن مصالحهم"⁵ وبشئ من التعمق نجد أن الآن توران عرفها بأنها "منظمة للدفاع عن الهجوم الإقتصادي، تناضل من أجل أجر أحسن، ومن أجل التوظيف وكذا أوتوقراطية أرباب العمل"⁶. كما يعرفها حنفي بأنها "تنظيم يجمع القوى العاملة، تم تكوينه بهدف حماية وتنمية المصالح الإجماعية والإقتصادية والسياسية لأعضائه من خلال المفاوضة والإتفاق الجماعي"⁷. ويضيف سيدني ويبز بأنها" منظمة دائمة من العمال الأجراء تهدف إلى تحسين ظروف العمل وصيانة العمال من الأخطار التي تدهمهم داخل وخارج العمل"⁸ فالنقابة العمالية هي تنظيم رسمي يهدف إلى تحقيق المطالب المشروعة للعمال بصفتهم فاعلون في المجتمع والتي تعينهم على مكافحة المعوقات الداخلية والخارجية التي تحيط بالبيئة الإجماعية.

3-1 تعريف المجتمع:

يعرف المجتمع بأنه "مجموعة من العلاقات الاجتماعية التي تقع كلها أو معظمها في إطار محدود المساحة من الأرض"⁹ فهو بذلك يمثل اتساق في الحياة الاجتماعية أين ينظم أفراد المجتمع أنشطتهم وفق قواعد مضبوطة، كما يعرفه بارسونز بأنه "تجمع الفاعلين في منطقة محددة، بصورة تتيح ظهور الأنشطة اليومية المشتركة"¹⁰، ويقول آخرون أن المجتمع عبارة عن مجموعة من الناس يقيمون في منطقة جغرافية محددة، ويشتركون معا في الأنشطة السياسية والاقتصادية ويكونون فيما بينهم وحدة اجتماعية ذات حكم ذاتي تسودها قيم عامة ويشعرون بالانتماء نحوها"¹¹.

فالمجتمع الجزائري هو نسق إجتماعي متكامل نشط متفاعل تحكمه مجموعة من القوانين، ويتأثر بما تخلفه الظروف الداخلية والخارجية من تهديدات إقتصادية واجتماعية تمس حياة الأفراد سواء العاملين أو العاطلين عن العمل أو الذين أمهوا مشوار حياتهم المهني، وتؤثر على تحقيق مكاسب تنموية للطبقات العمالية وغير العمالية على حد سواء.

2- التأسيس النظري للفعل النقابي:

1-2 نظرية الدور:

"تمتد جذور هذه النظرية إلى مطلع القرن العشرين، فهي تعدّ من النظريات الحديثة في الحقل السوسيولوجي، حيث ترى أن سلوك الفرد وعلاقاته الإجتماعية مع الآخرين إنّما يعتمد على الدور الذي يؤديه، كما أن مكانة الفرد تعتمد على أدواره الإجتماعية"¹²

"وتستمد نظرية الدور متغيراتها من العناصر الحضارية والإجتماعية، ودراسات الشخصية حيث تتمثل وحدات النظرية الرئيسية فيما يلي:

- الدور وحدة الحضارة
- المركز أو المكانة وحدة المجتمع
- الذات وحدة الشخصية"¹³

ولا يمكن الإنكار بأن هذه النظرية ساهمت في بناءها عدّة اتجاهات فكرية مهدت الطريق للرواد الآخرين وكانت بمثابة لفت الإنتباه لهم، ومن بينها "إسهامات هانز كيرث و س.رايس ميلز (C.WRIGHT.MILLS ___ HANS.GERTH)، حيث يعتبر كلاهما من أهم منظري نظرية الدور، حيث اعتبروا الدور حلقة الوصل بين البناء الإجتماعي والبناء الخلقي الذي نتج عن التفاعل بين البناء السيكولوجي للفرد وأدواره، ويحتاج الدور حسب رأيهما إلى تدريب والممارسة، ويكون هذا من خلال عملية التنشئة الإجتماعية"¹⁴ وعملية التدريب هنا تكون عبر الممارسات الفعلية للعمل النقابي والتفاعل مع البناء الإجتماعي، وترتكز هذه النظرية على القضايا الرئيسية التالية:

- التوقعات
- التماثل
- التأييد الإجتماعي

فالتوقعات تشير إلى نوع السلوك الذي يحدده الدور، بمعنى أن السلوك يتقرر نوعه تبعاً لتوقعات الفرد عن دوره المرتقب. أما التماثل فمعناه التطابق بين خصائص الفرد والدور الاجتماعي المقترَب، حيث يتوقع المجتمع من النقابة العمالية المساهمة الفعالة في خدمة العمال وتوفير أسباب راحتهم وتلبية حاجاتهم كمواطنين، كما يتوقع المجتمع من النقابة العمالية إنقاذ البلاد من الكثير من الأزمات والصراعات بخبراتهم رغم الصعاب وخطورة الأوضاع التي يمر بها المجتمع، و المناضل وهو مواطن قبل ذلك ينسجم مع دوره عندما يكون التطابق بين خصائص المناضل والدور الذي يؤديه كبير، وإن كان التطابق صغير فإنه يحدث الصراع

أما التأييد الاجتماعي فمعناه تأييد الآخرين إلى الدور الذي يؤديه المناضل. بمعنى أن دور العامل والمواطن يكون نفسه في نفس المكانة التي يحتلها المناضل. فمثلاً عندما يشغل العامل أو المواطن دور المناضل النقابي، فمن المتوقع أن يشخص الأوضاع ويقدم الحلول التي تتماشى مع الرغبات العمالية وتحفظ كرامة المواطن، ويتوقع نفس الشيء من مناضل آخر في مؤسسة أخرى¹⁵.

2-2 المدخل البنائي الوظيفي :

النقابة العمالية حسب المدخل البنائي الوظيفي هي نسق يقوم بعدة وظائف دفاعية، ويتطلب من هذا النسق التكيف مع محيطه وبالتالي يسهم الفعل النقابي في خفض معدلات التوتر والصراع والتصددع، وحسب روبرت ميرتون فالمجتمع هو بناء اجتماعي يتكون من أبنية فرعية تؤدي وظائف اجتماعية من شأنها تحقيق التوازن كخاصية جوهرية ،

وأضاف ميرتون شيء مهم في التنظيم وهي الوظائف الظاهرة والكامنة، فالفعل النقابي هنا يقوم بوظيفة معينة حددها سالفا وإتفق المجتمع عليها عموما ونظر إليها على انها ثابتة نسبيا وهي عادة تتمثل في الأدوار التي حددت للعمل النقابي داخل التنظيم إلا أنه يمكننا أن نورد أفكارا أساسية جديدة ذات جذور اجتماعية مستقاة من أفكار ميرتون فيكون للفعل النقابي وظائف كامنة لا يصرح بها علنا يمكن الاتفاق بين الأعضاء عليها وتكتشف من خلال المواقف والممارسات والعلاقات العامة"

فالوظائف الظاهرة للعمل النقابي تتمثل عادة في الدفاع عن حقوق العمال والموظفين والنضال في تحسين ظروفهم المهنية، وتحقيق مطالب الرعاية الاجتماعية العمالية، أما الوظائف

الكامنة فهو محور اهتمامنا في هذه الورقة والتي نعتبرها محورا هاما في تفعيل العمل النقابي منها ما هو مرتبط بقضايا التنمية والاستثمار الإقتصادي والوقوف على المستوى التعليمي وما يعيشه القطاع من تدني في التحصيل الدراسي للتلاميذ وأشكال الاستغلال الغير أخلاقي للمدرسين، وما يعانيه قطاع الصحة المريض من غياب للضمير المهني وإتباع أسلوب المتاجرة في أرواح المرضى، فكلها مظاهر اجتماعية يتخبط فيها المجتمع الجزائري وهي نابعة من أنساقه الفرعية ولذا يمكن للنقابات العمالية أن توظف أفعالها الكامنة في محاربة الأفعال الغير مرغوبة عبر مخرجات الأنساق الفرعية للمجتمع وتصحيح مسارها والحد من الانحرافات التي تقضي على البناءات الإجتماعية.

3- إشكاليات الفعل النقابي نحو قضايا إقتصادية في المجتمع الجزائري:

1-3 التنمية الإقتصادية

إن التنمية الاقتصادية وتحقيق معدلات مناسبة للنمو الاقتصادي تعتبر تحديا كبيرا أمام العمال، فإذا كانت مواجهة هذا التحدي من اختصاص السلطة التنفيذية (الحكومات) والسلطة التشريعية (البرلمان) فإن أكثر المتأثرين بها سلبا أو إيجابا هم العمال وذلك لأن نتائجها تنعكس عليهم وفي حال كانت هذه النتائج سلبية فإن أصحاب العمل والحكومات سيحاولون التخلص من هذه النتائج بعكسها على العمال وبشكل خاص على أجورهم وامتيازاتهم الأخرى وتزداد الصعوبة عندما يتوافق ذلك مع مشاكل اقتصادية خطيرة أخرى مثل: التضخم والبطالة "الأمر الذي يلقي على العمال ونقاباتهم عبئا أكبر ويجعل مهمتهم في الدفاع عن مصالح العمال أكثر صعوبة"¹⁶، لأنه وعضو المطالبة برفع الأجور وتحسين الأوضاع المهنية والاجتماعية للعمال ومن موقع قوة تكون النقابات في هذه الحالات مطالبة بالتخفيض من سقف المطالب والاكتماء بضمان عدم تسريح العمال وهنا تخضع النقابات للتفاوض التعاوني من أجل الإبقاء على إستمرارية المؤسسة حيث يركز الفعل النقابي إقتصاديا وفق ما هو متفق عليه في مجموعة من التفاعلات:

"- حشد طاقاتها وإعادة تنظيم أساليب عملها بالشكل الذي يتناسب مع أبعاد هذه الآثار السلبية وعمقها.

- العمل على تحسين الأجور وحماية حقوق العمال ومكاسهم والحد من تدني مستوى المعيشة للعمال جراء إرتفاع الأسعار والعمل على زيادة الأجور بما يتناسب مع ذلك.

-تفعيل الحوار الثلاثي(عمال، أرباب العمل، الحكومة) في ظل تنامي القطاع الخاص"¹⁷.

هذه الأدوار المسطرة لا شك أنها تفيد في تحسين جزئي لحياة الموظف لكنها لا تكفي لحماية المجتمع من الصراع الفتوي أو الجهوي وحجم القلق والتوتر الذي يخلفه تدهور الأوضاع خاصة في مناطق الظل حيث يعيش الأغلبية بمعادلة صعبة ليس لها ضابط اقتصادي أو إجتماعي وإنما إيماني (عايشين برحمة ربي)،

إن اختزال النضال النقابي في الحيز المؤسساتي فقط هو بالتأكيد تعطيل للتقدم والنهوض بمستويات الوعي الجمعي وهو بذلك يعزز بقصد أو بدون قصد التهميش والإقصاء وكل أشكال التباعد والتفكك الإجتماعي بين مناطق الوطن، كان بإمكان العمل النقابي من منطلق الشريك الإجتماعي والطرف الثالث الأساسي في الثلاثية إستغلال آليات الضغط القانونية لديه للمساهمة في تحقيق توازنات إقتصادية للمجتمع والقضاء على المخرجات الغير مرضية في النسق الإقتصادي المتمثل في التوزيع الغير متساوي في قوى العمل مما أدى إلى معاناة جهات الوطن منها المناطق الجنوبية حيث تعرف هي الأخرى غياب توزيع عادل للأغلفة المالية والإستثمارية فيها ومعاناة سكانها من التهميش والبطالة وسوء الأوضاع الصحية، وهو نفس التوجه الذي ذهب إليه زييري حسين مؤكداً أن " مثلث قوة العمل في مناطق الحضرنسبته 60% مقابل 40% في المناطق الريفية على امتداد السنوات 2004-2014 ، حيث افتقرت المناطق الريفية لسياسات التنمية الإقتصادية الحقيقية وهمشت وأسقطت من جداول المشاريع التنموية قد تصل إلى حد الجهوية كما وصفها المجلس الوطني الإقتصادي والاجتماعي في أحد تقاريره"¹⁸، وهنا كان منتظرا من النقابات العمالية أن تمارس قوة ضغط على مصالح الحكومة حتى تنصف قاطني المناطق الصحراوية وتدعم الهياكل والمنشآت بموارد بشرية مؤهلة وكذلك بموارد مالية وفتح الطرقات ومد جسور تنموية فعلية تخدم أهالي المناطق الجنوبية وتقدم لهم مختلف أشكال التنمية الإقتصادية والإجتماعية والصحية والمهنية والتعليمية ومختلف الإحتياجات .

لكننا نلاحظ أن النقابات العمالية لحد الساعة لا تضغط بشكل قوي على صانعي القرار فلا تنديد لسوء الأحوال بالمناطق الجنوبية من قبلها إلا ما تعلق بمنحة الجنوب أو عندما يتعرض الأهالي لخطر العقارب التي يذهب ضحيتها العديد من الأشخاص فتظهر حينها تنديدات واحتجاجات سرعان ما تنقضي بانقضاء أو انخفاض درجة الخطر، فجعل الاعتراضات المسجلة هي من المواطنين وإن كانت هناك اعتراضات عمالية فهي فردية أو جماعية دون غطاء نقابي ما يجعلها لا تؤثر في قلب الأوضاع. وأحسن مثال عن غياب تنمية حقيقية ولجوء الحكومة إلى

حلول آنية غير مدروسة وغير فعالة هي الإقدام على نقل المرضى عبر هليكوبتر للتطبيب في مستشفيات خارج المنطقة، في حين كان ينتظر سكان الجنوب مبادرة لفتح مستشفيات جامعية شأنهم في ذلك شأن ولايات الشمال، تساهم من جهة في امتصاص نسبة البطالة خاصة من جانب الأطباء والمرضى وحاملي شهادات من معاهد للتكوين المهني ومن جهة أخرى توفر رعاية صحية في حينها دون تكبد عناء التنقل للمريض وأهله، وقد حدث هذا في غياب شبه تام للنقابات بالمنطقة التي لم نسمع لها رأيا حول ما تم اتخاذه من تدابير في ذلك.

2-3 البطالة وسوق العمل والنوع الاجتماعي:

عرفت السنوات الأخيرة في الجزائر تزايد في عدد المؤسسات الخدمية مقابل نقص في المؤسسات الاقتصادية الحساسة والتي عرفت إشهارا بالإفلاس والغلق وطرد الآلاف من العمال، ففي دراسة محمد صايب ميزات جاء "مؤشر توزيع اليد العاملة حسب النشاط دالا على أن الجزء المهم من النشاطات موجود في قطاع الخدمات، بحيث أن نسبة اليد العاملة المسجلة فيه هي 55% منذ سنة 2003 إلى 2010، بينما سجل القطاع الفلاحي تراجعاً حيث سجل فقدان 10 نقاط بالمقارنة مع سنة 2003 التي ناهزت 21.1% لتصل سنة 2010 إلى 11.7%¹⁹، كما تبقى نسبة البطالة المسجلة "سنة 2010 مرتفعة عند فئة الشباب بين 16-24 سنة حيث بلغت 21.5% مقارنة بفئة البالغين 7.1%، وتعاني الفتيات من مخاطر البطالة حيث يوضح مؤشر النوع في سوق العمل أن تشغيل الفئة النسوية مزال يتأرجح بين 12 و 14% ما بين 2003 - 2010 مقابل نسبة تشغيل عند الرجال وصلت إلى 69% ضمن الفترة نفسها"²⁰

هذا الوضع أحدث فجوة تشغيلية في سوق العمل وعدم تجانس بين ما يتطلبه سوق العمل وما تعرضه المؤسسات التعليمية والتكوينية من مخرجات، تعطيلاً في الطاقات النسوية في المجتمع الجزائري رغم تزايد عدد الإناث مقابل الذكور.

هذه العضلات السوسيو إقتصادية تنجر وراءها تبعات إجتماعية ونفسية خطيرة كالاكتقان نتيجة الإحساس بالظلم وعدم المساواة، وشعور الأفراد بممارسة الاستبعاد عليهم وعدم مشاركتهم في بناء المجتمع وحالات الإحباط والتذمر وربما حتى الانتحار في عديد من المرات بسبب العجز في تغيير الأوضاع.

تملك النقابات العمالية ورقة تفعيل أساليب النضال بما يتناسب مع الأوضاع التي يعيشها المجتمع، هذه الورقة يمكن أن تستعملها في وضع اقتراحات بنائه تحمي الشباب الخريجين بما أنهم طاقات كامنة وإقامة حوار تشاوري مع الكونفدرالية الوطنية لأرباب العمل للوصول إلى بناء

إستراتيجية تشغيلية تنمية تحفظ كرامة المواطن، وتفعيل دور الاتحادات الطلابية في ذلك وإخراجها من دائرة التسييس التي أصبحت صبغة للعمل الطلابي وإشراكهم بدلا من ذلك في توجيه المشاريع الإنمائية بما يخدم توجهات الشباب والاقتصاد الوطني لامتناس نسبة البطالة المتزايدة، ومن جهة أخرى توثيق الجهود بين مختلف نقابات القطاعات ونقابات قطاع التكوين أو التعليم ومطالبهم بالسهر على تحسين جودة مخرجات التعليم بما يتناسب وسوق العمل.

كما أن الفروقات الواضحة في التشغيل على أساس النوع تؤثر بشكل كبير على التوجهات الكبرى للسياسة النقابية وتواجدها تبعا للنوع الاجتماعي فاستفادة العنصر الذكوري من التشغيل مقابل عنصر الإناث، يفسر أن التكتل في النقابات غير متساوي خاصة في ظل غياب العنصر النسوي في المناطق التي مازالت تعاني من بعض الأفكار الراضة لانضمام الفتيات والنساء لمثل هذه التنظيمات ما يهدد بشكل مباشر مطالب هذه الفئة ويحرمها من ممارسة حقها النقابي والنضالي رغم جهود الدولة لتمكين المرأة من اعتلاء مناصب نوعية وريادية في العديد من الهيئات، ما شكل تناقض بين توجه الدولة وبين سياسة التشغيل الحقيقية.

هذا الطرح المقدم تدعمه نتائج دراسة أقامتها الدكتورة منى عزت عن وضع العمل النقابي بالنسبة للنساء بجمهورية مصر العربية، حيث توصلت الباحثة أن "انشغال المرأة بالأعمال المنزلية وتربية الأبناء حال دون تحقيق توازن بين أدوارها الأسرية والعمل النقابي، كما أن العديد من القطاعات تتبنى النظرة التقليدية وسيطرة الفكر الذكوري عليهم مما يجعلهم يرفضون فكرة أن تترأسهم امرأة، وعزوف النقابات عن تبني مطالب تخص قضايا نسائية مثل إنشاء دور الحضانة بأماكن العمل، ومدة عطلة الأمومة التي تعتبر مجحفة في حق الأمهات العاملات، إلى جانب غياب لوائح تقر بحق التمثيل العادل للنساء في مراكز اتخاذ القرار"²¹، ما يفسر أن الوضع نفسه في مختلف الدول العربية فمرجعية الهيمنة الذكورية مازالت تقف حائلا أمام سعي المرأة لتحقيق هويتها الاجتماعية.

4- إشكاليات الفعل النقابي نحو قضايا اجتماعية في المجتمع الجزائري:

1-4 الزيادة في الرواتب والضريبة على الدخل الإجمالي:

حالت الأوضاع والأزمات المتكررة التي تصيب الإقتصاد الجزائري وعدم الإستقرار الأمني والاجتماعي والسياسي دون تحسين للمستوى المعيشي للطبقات الاجتماعية على اختلافها،

ويعتبر مسعى النقابات في رفع أجور عمالها ركن أساسي في النضال النقابي وتجسد هذا المطلب في اجتماع الثلاثية لعام 2009 الذي ألح فيه الاتحاد العام للعمال الجزائريين على ضرورة تحسين القدرة الشرائية للأسر الجزائرية، مرتكزا على ارتفاع تكاليف المعيشة وتنامي التضخم، في حين رفض أرباب العمل أن يكون هذا القرار على حساب المرودية، وانتهى الأمر إلى الاتفاق على حل وسط مؤداه رفع الأجر الأدنى بنسبة % 23 ابتداءا من أول جانفي 2010

إلى جانب ذلك تعد الضريبة على الدخل أحد أهم موارد خزينة الدولة لأنها تقتطع مباشرة من دخل العامل وقد شاع عن توجه الدولة حاليا إلى رفع الحد الأدنى الخاضع للضريبة إلى ثلاثون الف دينار جزائري، وفي هذا الصدد طالبت النقابة المستقلة المسماة (الأسنتيو) بالجنوب وكذلك النقابة الوطنية لعمال التربية من إصدار رخصة إستثنائية لعمال الجنوب الكبير (إيليزي، تندوف، تمنراست، أدرار) الذين كانوا مستفيدين من إمتياز التخفيض على الضريبة بنسبة %50 بموجب القانون رقم 14-74 المؤرخ في 17 فيفري 2014 على الضريبة وهذا ما لم يحمله قانون المالية لسنة 2020 ،

كما دعى الأمين العام للمركزية النقابية خلال إنعقاد اجتماع جهوي بولاية سكيكدة عن أمل المركزية النقابية في تخفيض الضريبة التي تثقل كاهل العامل البسيط إلا أنه يتوجب الحذر من التوجه لهذا الفعل دون دراسة توابعه فخفض الضريبة على الدخل سيؤدي حتما إلى إنخفاض في مداخيل الخزينة العامة للدولة وهذا العجز سيؤدي بدوره إلى تجميد ملفات التوظيف بعدم فتح مناصب مالية لطالبي العمل من الشباب ، ولهذا وجب البحث عن قنوات تمويل بعضها في حوار الثلاثية وقد أشار الأمين العام للمركزية النقابية بإقتراح فرض ضريبة على الثروة حتى تكون هناك عدالة إجتماعية ، وهو مطلب شعبي قبل أن يكون عمالي²²

إلا أن القراءة الإقتصادية والإجتماعية تصل إلى قناعة مفادها أن الإشكال لا ينحصر في تخفيض الضريبة على الدخل فليست بالمطلب القوي الذي يحل أزمة الأجور بل كان على النقابات العمالية المطالبة بتفعيل إشكال تحيين الشبكة الإستدلالية المعدلة في سنة 2010 والتي تجاوزتها الأوضاع الإقتصادية بإرتفاع الأسعار وإنهيار القدرة الشرائية للمواطن العامل مما يستدعي تكاثف كل النقابات العمالية وصياغة مطلب وطني يتضمن إعادة رسكلة الشبكة الإستدلالية بدراسات علمية تغطي قدرة معيشية عبر مساحة زمنية مستقبلية طويلة المدى والابتعاد عن الزيادات العشوائية الآنية التي لا تخدم الدولة والمواطن معا.

2-4-2-4 التقاعد وآثاره :

إن استفادة العمال والموظفين من التقاعد بعد إستكمالهم لمسارهم المهني هو بدون شك حق للجميع مهما اختلفت أطيافهم وهم بذلك يرسمون خط تساوي في المعاشات وإنهاء لكل الصراعات المهنية جراء بعض الإمتيازات الوظيفية التي كانت محل تضارب وإختلاف، والتوجه نحو تشكيل طبقة تقاعدية معاشية لا تمايز فيها، وكأن لسان الحال يقول انتهى زمن الوزير، والقائد، والمدير، والمسؤول، والسائق، واللحام...إلخ.

وفي سياق مجريات العمل النقابي ومسؤوليته إتجاه هذه الفئة التي تتجه نحو فقدان مركزها الإقتصادي بالتدريج، يحمل ملف التقاعد بشقيه وضعا متأزما، فالشق الأول يتعلق بنظام التقاعد الذي يكرس التمييز بين المتقاعدين، حيث نجد ثلاثة أنواع فهناك صندوق التقاعد الخاص بالعسكريين الذين يستفيدون من التقاعد بنسبة 100% إلى جانب صندوق التقاعد الخاص بشاغلي المناصب العليا فالبلاد الذي تتكفل به وزارة المالية والموجه للإطارات السامية بالدولة الذين يستفيدون هم أيضا من معاش تقاعدي بنسبة 100% حتى لو تعلق العمل بمنصب وزير لعدة أشهر فقط فهو سيحصل على إمتياز تقاعدي لراتب وزير مدى الحياة، أما النوع الثالث فهو لباقي الموظفين والعمال على إختلاف إنتماءهم للمقطاعات يتحصلون على معاش بنسبة 80% فقط حتى لو عمل طيلة 32 سنة خدمة فعلية مع شرط السن 60 سنة، وهذا ما يجعل النظام التقاعدي غير عادل وغير مقبول فكلنا أبناء الوطن، ما يطرح تساؤل كبير عن هذا التمييز في حساب التقاعد.

ومع كل هذا التضارب واللاعادلة، هناك إحصاءات للنقابات العمالية للحدوث عنه، إلا ما سجل في الآونة الأخيرة من منشورات لكتاباست التي نشرت عبر موقعها الفرق بين الصناديق الثلاثة للتقاعد، وما يزيد الأمر تعقيدا هو أن الوزراء القدامى المحالين على التقاعد منذ سنوات طويلة يتم تحيين معاشهم التقاعدي حسب ما هو معمول به في الوقت الحالي،

إن العدالة الإجتماعية كان يمكن استشعارها بمنح معاشا عادلا لكل المتقاعدين بالرجوع إلى رتبهم الإدارية الأصلية وليس إلى منصبهم النوعي وإستغلال الفارق الحاصل لتوظيف شباب بطل يطوق للعمل الذي هو حقه الدستوري، فأين هي النقابات العمالية من كل ما يحدث؟ . أما الشق الثاني في ملف التقاعد فهو التقاعد النسبي الذي بدأ العمل به سنة 1997 تبعا للأمر رقم 97-13 والذي ألغي سنة 2016، وتتججج الحكومة بتضائل أموال صندوق التقاعد وعجزه عن تغطية المزيد من معاشات التقاعد، في حين نجد أن طبقة واسعة من شريحة العمال

تطالب بإعادته وتفعيله من جديد حتى يسمح من جهة للعمال وخاصة المزاولين للأعمال المتعبة كالأستاذة من التقاعد بعد سنين من التدريس المتعب ومن جهة أخرى الإستفادة من المناصب الشاغرة للإستغلالها في توظيف الشباب الذي يعاني من البطالة مما يساهم في توزيع داخلي جيد لليد العاملة وبعث الإحساس بالأمان لطالبي الوظائف.

وفي هذا الإطار طالبت النقابات العمالية بالتقاعد بإعادة تفعيل التقاعد النسبي وحذرت من تهميش الطبقة العمالية بالإتجاه نحو تبني قانون جديد يتضمن التوجه نحو خفض النسبة إلى 60% مع رفع سن التقاعد إلى 65 سنة وهذا ما جاء على لسان القيادي في الإتحاد المكلف بالمنازعات الإجتماعية حسب ما أورده جريدة الشروق بصفتها يوم 2019-10-23 ، تحت عنوان (المركزية النقابية تبحث عن عذريتها المفقودة) ، كما أكدت المركزية النقابية عن تقديمها مقترحات بخصوص العجز الذي يعرفه صندوق التقاعد وذلك بتخصيص نسبة 0.5% المقتطعة في شكل نسبة مخصصة للتقاعد المسبق لفائدة الصندوق الوطني لمعادلات الخدمات الإجتماعية وصهبا في صندوق التقاعد²³ ، وهو إجراء عملي يخفض من العجز المسجل في صندوق التقاعد ويفتح الباب لإعادة النظر في قانون التقاعد الحالي الذي لا يخدم سياسة التشغيل ولا العامل الذي يجهد وهو في منصبه حتى يستوفي الشروط القانونية للتقاعد فيصبح المجتمع العمالي مجتمعا مسنا منكمشا لا يتوافق مع شروط سوق العمل التي تتعامل مع الجهد كسلعة لها قيمتها السوقية، فكلما قل عرض المؤهلات والقدرات ، قلت معها أشكال التعاقد .

3-4 التأمينات الإجتماعية والرعاية الصحية:

تتنافس الدول في التباهي بامتلاكها أحسن منظومة تأمين ورعاية إجتماعية وصحية لمواطنيها، والجزائر كباقي الدول وانطلاقا من قناعتها الدائمة في حماية مواطنيها وعمالها كرسست هذه المبادئ عبر جملة من القوانين وجعلتها أهم محاور الحقوق الإجتماعية منها القانون رقم 83-11 المتعلق بحوادث العمل والتأمينات الإجتماعية ، وساهمت النقابات العمالية في ترقية الحوار الاجتماعي وتأطيره وتوجيه العمال وتعبئتهم في الدفاع عن حقوقهم من أجل تحسين شروط العمل وإصلاح نظم المنح والتعويض والتأمين والحماية والرعاية من خلال العمل على:

- تطوير أنظمة الضمان الاجتماعي لأن ذلك أساسا من حقوق الطبقة العاملة وشمل كل عمال القطاع الخاص بالتأمينات.

- العمل على تنفيذ القوانين واستثمار أموال التأمينات الاجتماعية بما ينعكس إيجابا على العمالة

- التّركيز على أهمية التدريب والتأهيل ورفع مستوى كفاءة اليد العاملة

- العمل على إبقاء الوظيفة الاجتماعية للدولة وتوسيع الخدمات الاجتماعية والرعاية الصحية .

وفي المقابل نعيش يوميا تدمرا شعبيا واسع النطاق حول نقص التغطية الصحية وعدم كفاءة الطاقم الصحي، وترتفع معها الصيحات بطلب إقامة قطب صحي يضم مختلف التخصصات الطبية والجراحية بالمناطق الداخلية لما له من إيجابيات منها:

- مد جسر التنمية نحو المناطق الداخلية للبلاد مما يساهم في دفع عجلة تنمية حقيقية بالمنطقة ورفع مداخيلها

- جلب المستثمرين للإستثمار بها سيفك العزلة عن المناطق الداخلية والصحراوية ويفتح المجال للإستثمار في عدة قطاعات لتوفير خدمات ومرافق للمتوافدين عليها

- التقليل من نسبة البطالة وخاصة التقنية ففتح قطب صحي يتطلب توظيف أطباء وشبه طبيين وإداريين ومهنيين وغيرهم من الوظائف.

- يكون منارة علمية للطلبة فيزيد من كفاءتهم ومؤهلاتهم العلمية والعملية

- يقلل من عدد المتجهين للدول المجاورة لطلب العلاج، خاصة لدولة تونس الشقيقة ما يثقل كاهل المواطن من عملة صعبة وتكاليف النقل والمبيت وغيرها،

هذه الجوانب الايجابية المتوقعة من قبيل هذه المشاريع الإنمائية في المجال الصحي هي بالتأكيد ضمن مجال نشاط النقابات الصحية لما لها من فوائد تعود على المريض والطاقم الصحي العامل بها والمجتمع، لكن المتابع لشؤون الوضع الصحي وعلى بساطته بإمكانه ملاحظة الغياب التام للدور النقابي خاصة لنقابات الصحة على كثرتها فيما يخص القضايا الآتي ذكرها:

- عدم البحث والتقصي عن سبب توجه المرضى للتداوي خارج الوطن وهل ذلك يعود لنقص الكفاءات الطبية، لنقص الأموال، لنقص الهياكل،... إلخ ،
- تجنب الحديث عن واقع المصحات الخاصة وعن التواطؤ بين الأطباء في توجيه المريض نحو طلب العلاج بالمصحات الخاصة والمتاجرة بصحة المواطنين وغيرها من السلوكيات الغير أخلاقية.

- ممارسة الصمت فيما يخص العمل المزدوج للأطباء والمرضين والمخبريين وغيرهم من الطاقم الصحي بالمستشفيات العامة والعيادات الخاصة ومآل ذلك سواء على مستوى الأداء أو على المستوى الأخلاقي والإنساني.

- إتجاهات المرضى للتوجه نحو أطباء من الجيل الماضي والتخوف من طبيب متخرج حاليا يؤؤل هذا التوجه إلى المشكل المطروح في جودة مخرجات التعليم خاصة وأنها تتجه مباشرة لسوق العمل والتعامل مع أرواح إنسانية تطلب الصحة والراحة والأمان.

- مجال تأمين الأمراض المهنية التي يجب أن تحين نظرا للمتغيرات الصحية والإجتماعية والمهنية والتكنولوجية التي أثرت على السلامة المهنية والصحية للعمال وتقديم دورات تحسيسية وإحصائيات لمعرفة العدد الحقيقي للمصابين بالأمراض المهنية ومصدر هذه الأمراض التي قد لا تظهر إلا بعد مرور عدة سنوات من العمل، وبهذا يجد العامل المتقاعد أو المنتهي عقده نفسه أمام مرض مهني لكنه لا يستفيد منه إذا تعدت مدة ظهور المرض سنة من ترك العامل للعمل، ما يهضم حق العامل المواطن في الاستفادة من التأمين على المرض المهني ويتكبد بذلك تكاليف العلاج الباهضة، بالإضافة إلى قائمة الأعمال الشاقة التي تعرف صراعا وجدلا بين النقابة العمالية والحكومة.

إن تفادي الخوض في هذه المظاهر الصحية السلبية من قبل نقابات العمال وعدم تحمل مسؤولياتها الإجتماعية يساهم مع الوقت في تعزيز اللامعيارية الإجتماعية أو ما يعرف عند إيميل دوركايم بالأنوميا الإجتماعية داخل النسق الصحي الذي سيخلق هو الآخر خلافا في النسق الكلي وهو المجتمع لأن كل الأنساق الفرعية الممثلة للقطاعات الأخرى ستصاب بالعدوى الأنومية وتتخلف نقاباتها عن الدفاع عن حق العامل الذي هو مواطن خارج أسوارها سيعود لها في الغد حاملا مآسي أسرته وأبناءه، مشبعا بكل أنواع الضغوط ليقدم أداءا وظيفيا ضعيفا يؤثر على إنتاجية المؤسسة ليكون الحلقة المفقودة التي يبحث الجميع عن تفسير لها.

4-4 قطاع التربية ومشاكل الإضرابات والدروس الخصوصية:

يتجه الحاقدون على الأمة الناجحة بتطبيق القاعدة التي تقول بأنه إذا أردت أن تضرب أمة فعليك بمدنساتها التعليمية، لأنها من أركان مؤسسات التنشئة الإجتماعية التي ترافق الطفل في مراحل نموه الأولى حتى يصبح شابا قادرا على تمييز الصواب من الخطأ وتقدير الأمور بميزانها وهي المسؤولة الأولى عن إنتاج نخب وطنية تتمتع بقيم المواطنة كالمساواة، حب الوطن، العدل، الأخوة، السلام، التكافل، التضامن، التماسك... إلخ.

وفي الجزائر عرفت منظومتها التربوية إهتزازا قويا عبر الإضرابات التي طالت القطاع وعرقلت عملية التعليم بشكل واضح ما أثر على الحياة الدراسية للطفل وعائلته، فنجد أن عائلات الأطفال يتوجهون كل صباح إلى المدارس وفي عقلمهم الباطن ألف سؤال عن مصير أبناءهم وعن تحصيلهم الدراسي في ظل هذه الإضرابات، وإذا رجعنا إلى الأسباب الفعلية وراءها نجدها أسباب مشروعة تصب في صالح الأستاذ الذي يكون الأجيال فلا يمكن تجاهلها أو التنقيص من أهميتها، من بينها:

- إعادة تصنيف أساتذة الطور الابتدائي بما يتماشى وشهادة التوظيف وذلك لحصولهم على نفس المؤهل العلمي مع أساتذة طور المتوسط والثانوي .

-تقليص الحجم الساعي لأساتذة الطور الابتدائي

-إنشاء وظائف مشرفين تربويين مهمتهم مرافقة الأطفال أثناء الطعام والخروج للساحة

-إعفاء الأستاذ من كل ما هو خارج قاعة التدريس

-إستحداث رتبة أستاذ للمواد العلمية وأستاذ للمواد الأدبية

ومع ذلك نقول أن تقليص الحجم الساعي لا يكفي فالمواد المدرسة ومناهج التدريس أصبحت تثقل كاهل الأسرة وقد شاع بين الأسر عبارة (أنا لنحضر في مكان أبني) (أنا لنستحق الشهادة في مكان ابني) (أنا لنجوز الإمتحان في مكان إبني)، هذه العبارات لها دلالات عميقة تدل أن الطفل لا يتلقى التعليم الكافي أو لا يتكيف مع الطرق البيداغوجية للمعلم أو أنه أنك من كثرة المواد فلم يعد يستوعب هذا الكم الهائل الذي يفوق أحيانا سنه الطبيعي، ولنتصور أن الطفل يتيم الأب أو الأم وليس لديه من يدرسه في المنزل أو أبواه أميان فهل نسمح بضياح مستقبل الطفل ؟ زد إلى ذلك إتجاه الأساتذة إلى إعتماذ الدروس الخصوصية وتقديم اللبنة العلمية فيها وترك الحصة المدرسية لتقديم ما قل من الزاد العلمي، ما يحتم على الطفل التسجيل لتحصيل

دروسه، وقد أصبحت ظاهرة تعليمية شائعة في كل الأطوار ولم نسجل أي تنديد لهذه الممارسات التي تعبت بجيل الغد من قبل نقابات التعليم على كثرتها، فهل دور النقابة تحصيل مصالح الأستاذ فقط دون مراعاة للمنتوج التعليمي وتجردها من المسؤولية التربوية والأخلاقية إتجاه الأجيال الصاعدة؟

إن مثل هذه التصرفات تؤثر لا محالة في مصداقية النقابات وتضرب في جوهر إنشائها وتفقدتها ثقة أطراف المجتمع، وتهدم زمنا من العمل والنضال لأنها ساهمت في تكريس الرداءة التي سيجني المجتمع ثمارها لاحقا وسيحملها بكل تأكيد مسؤولية السكوت في وقت كان يفترض أن تحافظ على توازن واستقرار وأداء أعتق مؤسسة في التنشئة الإجتماعية.

خاتمة:

لعبت النقابات العمالية في الجزائر أدوار مهمة وحققت عدة مكاسب إجتماعية واقتصادية وسياسية أيضا، فكان نضالها طويلا زواج بين الأحادية الحزبية والنقابية وبين التعددية التي ساهمت في النهوض بالعمل النقابي بشكل ملحوظ، إلا أن أدوارها الإقتصادية، المهنية التعليمية، الصحية والإجتماعية أصبحت صعبة التحقيق في ظل المتغيرات الداخلية والخارجية التي نعيشها، فكانت قضايا التنمية الإقتصادية والمهنية ضئيلة ومنحصرة في جوانب كرفع الأجور وبعض المنح دون فتح أسواق نضالية تنموية تحاكي تطورات السوق والاقتصاد المعرفي. ومن جانب نضالها الإجتماعي والتعليمي والصحي، نجد ما زالت تراوح مكانها وكل نشاطها يصب في زوايا ضيقة تنتهي بانتهاء حدود العمل المؤسسي، فهي تدافع عن حق العامل الذي يدوم دوامه 08 ساعات دون مزاجه لما ينتظره خارجا بعد نهاية دوام العمل، ما أصبغ نضالها بالطابع التقليدي .

فالفعل النقابي في الجزائر ينتظره مشوار نضالي طويل وينتظره أيضا تجديدا لنخبه وأعضاءه بما يتوافق ومتغيرات البيئة الوطنية.

الهوامش

- 1 - حوسين بلخيرات، النظرية السياسية للمجتمع الدولي، مركز الكتاب الأكاديمي، ب، 2017، ص 26 .
- 2- بودبزة ناصر، التحليل الميكرو سوسيولوجي للتنمية التربوية في الجزائر: أزمة فاعلين أم أزمة تنمية، مجلة العلوم الإجتماعية والإنسانية، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، العدد 23، مارس، 2016، ص195
- 3 - بن حمزة حورية، مطبوعة بيداغوجية في مقياس سوسيولوجيا الحركات العمالية، جامعة الشاذلي بن جديد الطارف، 2016-2017، ص 13 .
- 4 - ضياء مجيد الموسوي، سوق العمل و النقابات العمالية في إقتصاد السوق الحرة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007، ص 74 .
- 5 - إبراهيم الدسوقي أبو الليل، التنظيم القانوني لعلاقات العمل الجماعية وفقا للقانون الكويتي في ضوء القانون المقارن والقانون الدولي، مجلة الحقوق، عدد 13، ص51
- 6 - ضياء مجيد الموسوي، مرجع سابق، ص 74 .
- 7 - حنيفي عمي، الجوانب النظرية والتطبيقية في إدارة الموارد البشرية، دار الكتاب الحديث، مصر، 2008، ص 307 .
- 8 - علي محمود عبد السلام الفار، علم الإجتماع الصناعي، دار المعارف، مصر، 1975، ص325 .
- 9 - ميشال مان، موسوعة العلوم الإجتماعية، دار المعرفة الجامعية، مصر، 1999، ص133
- 10- نفس المرجع، ص133
- 11 - محمد عاطف، قاموس العلوم الإجتماعية، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2006، ص66
- 12- احسان محمد الحسن، النظريات الإجتماعية المتقدمة، دار وائل للنشر، الأردن، ط1، 2005، ص 159
- 13 - محمد سيد فهمي: طريقة العمل مع الجماعات، المكتب الجامعي الحديث، الأزاريطة، ج 2، بدون سنة نشر، ص 62
- 14 - احسان محمد الحسن، مرجع سابق، ص 164.
- 15 - المرجع نفسه، ص 76-77، بتصرف .

- 16 - ضياء مجيد الموسوي، مرجع سابق، ص 80 .
- 17 - بوربيع جمال، محاضرات في مقياس سوسيولوجيا الحركات العمالية، مطبوعة التأهيل الجامعي، جامعة محمد الصديق بن يحي جيجل ، 2015-2016، ص 47 .
- 18 - حسين زبيري، الحركة العمالية النقابية والبحث عن العدالة الإجتماعية في الجزائر، معهد السياسات بالجامعة الأمريكية ببيروت، لبنان، 2016، ص 12 .
- 19 - محمد صايب ميّزات، بانورما سوق العمل في الجزائر: إتجاهات حديثة وتحديات جديدة، مجلة إنسانيات، العدد 55-56، جانفي-جوان 2012 ، ص 36 .
- 20 - نفس المرجع، ص 36 .
- 21 - منى عزت، النساء والعمل النقابي Pdf، المركز القومي للبحوث الإجتماعية والجنائية، مصر، 2014 ، ص 11 .
- 22 ب. طواهرية، نقابات الجنوب ترفض إلغاء تخفيض الضريبة على الدخل، جريدة الشروق، <https://www.echoroukonline.com> ، 2020-01-25 ، الساعة 19 .
- 23- محمد مسلم، المركزية النقابية تبحث عن عذريتها المفقودة، <https://www.echoroukonline.com/>، يوم 31-01-2020، الساعة 19.32.

قائمة المراجع

- 1- حوسين بلخيرات، النظرية السياسية للمجتمع الدولي، مركز الكتاب الأكاديمي، ب ب، 2017.
- 2- بودبزة ناصر، التحليل الميكرو سوسيولوجي للتنمية التربوية في الجزائر: أزمة فاعلين أم أزمة تنمية، مجلة العلوم الإجتماعية والإنسانية، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، العدد 23، مارس، 2016 .
- 3- بن حمزة حورية، مطبوعة بيداغوجية في مقياس سوسيولوجيا الحركات العمالية، جامعة الشاذلي بن جديد الطارف، 2016-2017.
- 4- ضياء مجيد الموسوي، سوق العمل و النقابات العمالية في إقتصاد السوق الحرة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007 .
- 5- إبراهيم الدسوقي أبو الليل، التنظيم القانوني لعلاقات العمل الجماعية وفقا للقانون الكويتي في ضوء القانون المقارن والقانون الدولي، مجلة الحقوق، عدد 13 ، ب.س.

- 6- حنفي عمي، الجوانب النظرية والتطبيقية في إدارة الموارد البشرية، دار الكتاب الحديث، مصر، 2008.
- 7- علي محمود عبد السلام الفار، علم الإجتماع الصناعي، دار المعارف، مصر، 1975.
- 8- ميشال مان، موسوعة العلوم الإجتماعية، دار المعرفة الجامعية، مصر، 1999.
- 9 - محمد عاطف، قاموس العلوم الإجتماعية، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2006.
- 10- احسان محمد الحسن، النظريات الإجتماعية المتقدمة، دار وائل للنشر، الأردن، ط1، 2005.
- 11 - محمد سيد فهي: طريقة العمل مع الجماعات، المكتب الجامعي الحديث، الأزاريطة، ج 2، ب.س.
- 12- بوربيع جمال، محاضرات في مقياس سوسيولوجيا الحركات العمالية، مطبوعة التأهيل الجامعي، جامعة محمد الصديق بن يحي جيجل، 2015-2016.
- 13-حسين زيري، الحركة العمالية النقابية والبحث عن العدالة الإجتماعية في الجزائر، معهد السياسات بالجامعة الأمريكية ببيروت، لبنان، 2016.
- 14 - محمد صايب ميزات، بانورما سوق العمل في الجزائر: إتجاهات حديثة وتحديات جديدة، مجلة إنسانيات، العدد 55-56، جانفي-جوان 2012.
- 15- منى عزت، النساء والعمل النقابي Pdf، المركز القومي للبحوث الإجتماعية والجنائية، مصر، 2014.
- 16- ب.طواهرية، نقابات الجنوب ترفض إلغاء تخفيض الضريبة على الدخل، جريدة الشروق، <https://www.echoroukonline.com> ، 2020-01-25 ، الساعة 19.
- 17-محمد مسلم، المركزية النقابية تبحث عن عذريتها المفقودة ، <https://www.echoroukonline.com/> ، يوم 2020-01-31، الساعة 19.32.

التحولات الديموغرافية وعلاقتها بالصحة في الجزائر

Les changements démographiques et leur relation à la santé en Algérie

Analyse analytique et rétrospective

د. حجام العربي

د. صابور شويرف مختارية

جامعة الشاذلي بن جديد - الطارف

جامعة محمد بن أحمد - وهران

الملخص:

أقرت السلطات العمومية الجزائرية العلاج المجاني عام 1974 ، وكان الهدف منه هو الرفع والتحسين من مستوى الصحة، على وجه الخصوص، مع العمل على تحسين الحالة الصحية للسكان لاسيما الفئة المحرومة؛ ومع ذلك ، فإن نظام الرعاية المعتمد آنذاك كان يقتصر على العلاج فقط . ان كل من: انخفاض وفيات الأمهات ووفيات الرضع والأطفال، معدلات الخصوبة دون أن ننسى ارتفاع أمل الحياة أدى إلى ارتفاع نسبة الشيخوخة ، وهذا له تداعيات في المستقبل ، الأمر الذي يتطلب من الدولة رعاية مكلفة للتكفل بالمرضى. تنبني هذه الانتقادات على التقييمات المتعلقة بالاستقبال ورعاية المريض والاعطاب المتعلقة بوحدة العلاج والرعاية. لذا فإن هذه الورقة البحثية تروم إلى تقييم الوضع الحالي لصحة السكان الجزائريين وتسلط الضوء على وفيات الأمهات والرضع.

الكلمات المفتاحية: التحول الديموغرافي ، الانتقال الوبائي ، وفيات الرضع ، وفيات الأمهات ، أمل الحياة ، الإنفاق على الصحة.

Résumé :

En Algérie, les pouvoirs publics ont décidé d'instaurer la médecine gratuite en 1974, l'objectif étant de relever le niveau sanitaire et notamment d'améliorer rapidement la situation sanitaire des populations défavorisées. Cependant, le système de soins choisi montre qu'il s'agit d'un système orienté vers les soins curatifs. La réduction de la mortalité maternelle, infantile et juvénile ainsi que celle des taux de fécondité devient, aujourd'hui, de plus en plus problématique avec le vieillissement de la population qui nécessite des soins coûteux concernant la prise en charge des maladies. □

Ces critiques fondées tant sur des appréciations liées à l'accueil, à la prise en charge du malade et aux dysfonctionnements des unités de soins qu'à leurs résultats objectifs. Le but de ce document est de présenter la situation actuelle de la santé de la population Algérienne et mettre la lumière sur la mortalité maternelle et infantile.

Les mots clés : transition démographique, transition épidémiologique, la mortalité infantile, la mortalité maternelle, l'espérance de vie, dépenses de santé. □

Introduction :

L'état de santé de la population est une réalité complexe qui suscite un grand nombre d'études, de débats et d'actions. Pendant longtemps la mortalité a été le seul indicateur de son évolution et de l'état de santé de la population. La mortalité est un phénomène démographique, c'est le processus qui détermine la survenue des décès au sein d'une population.

Le niveau de la mortalité est étroitement lié à l'état de santé de la population et à son avancée dans la transition sanitaire, qui est le modèle qui théorise les changements à long terme des causes de décès. La baisse de la mortalité s'accompagne d'une modification du profil sanitaire de la population.

L'Algérie est un pays à revenu intermédiaire, de la tranche supérieure, avec des capacités techniques et financières nationales appréciables. En dépit d'une décennie de terrorisme à la fin du siècle dernier, ce pays a renoué avec la stabilité politique et économique. L'engagement politique et les investissements financiers dans le secteur social ont pour corollaire l'existence d'un dispositif de soins de santé relativement dense et évolué. Les orientations futures comprennent une évolution pragmatique du système de soins de santé pour répondre aux défis des dynamiques démographique, épidémiologique et sociale et d'un contexte régional et international en évolution rapide. L'Algérie reconnaît la nécessité d'assumer ses responsabilités dans l'amélioration de la santé de son propre peuple, ainsi que dans sa contribution à l'amélioration de la santé régionale et internationale. L'accent est mis sur la promotion de la santé (avec sa nécessaire dimension d'inter sectorialité) ainsi que sur la fourniture de soins de santé équitables, abordables, efficaces et de qualité.¹

L'amélioration de la santé des populations est aussi un des Objectifs du Millénaire pour le Développement (OMD) énoncés par les Nations Unies en 2000 qui portent, entre autres, sur la baisse de la mortalité, notamment celle des enfants et des femmes, l'amélioration de la santé maternelle, le recul des grandes endémies comme le sida, le paludisme ou encore la tuberculose.

Problématique :

La mortalité maternelle est très élevée, ce qui est inacceptable. Environ 830 femmes meurent chaque jour dans le monde du fait de complications liées à la grossesse ou à l'accouchement. En 2015, 303 000 femmes sont décédées pendant ou après la grossesse ou l'accouchement. La majeure partie de ces décès se sont produits dans des pays à revenu faible et la plupart auraient pu

être évités.² Selon l'ONS, en 2017, l'Algérie a connu un enregistrement de 1 060 000 naissances vivantes auprès des services de l'état civil, dépassant le seuil du million de naissances pour la quatrième année consécutive. Cet accroissement des naissances pose un défi important à relever par les autorités sanitaires.

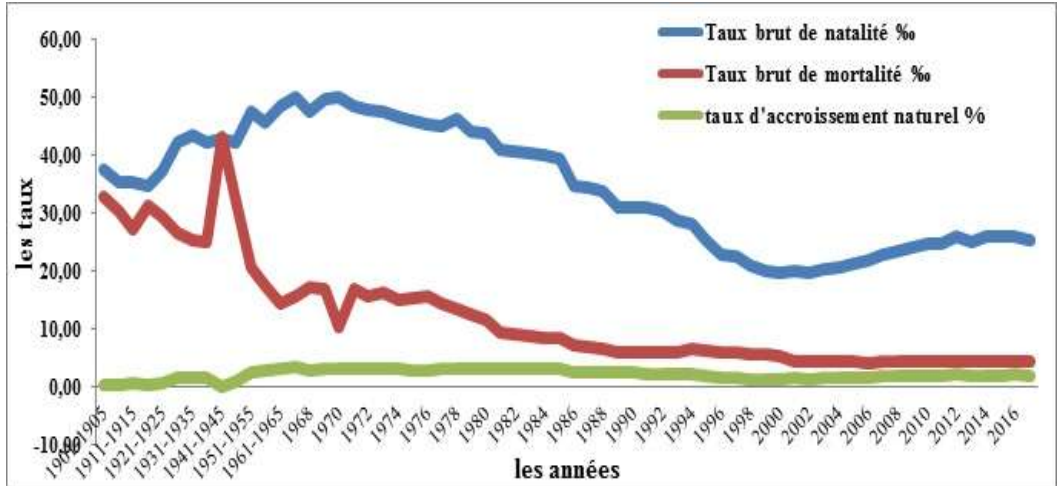
L'objectif que nous assignons à notre présent travail consiste à tenter d'évaluer le système de santé algérien entre 1962 jusqu'au 2017 à travers une étude rétrospective de l'évolution de la mortalité infantile et maternelle en Algérie qui demeure élevé malgré la baisse remarquable par rapport aux années soixante. Un certain nombre de questions se rapportant à la santé en Algérie méritent réflexion à savoir :

- Est-ce que Le système de santé mis en place après l'indépendance répond-il aux besoins sanitaires actuels?
- Est-ce que la politique de l'Etat vis-à-vis de la santé maternelle et infantile est appropriée aux exigences du développement ?

1-La Transition démographique en Algérie :

La transition démographique désigne le passage d'un régime traditionnel où la fécondité et la mortalité sont élevées et s'équilibrent à peu près, à un régime où la natalité et la mortalité sont faibles et s'équilibrent également.³

Graphique N°01 : Evolution des indicateurs démographiques en Algérie entre 1901-2017.



Source : ONS.

La transition démographique est vécue par la quasi-totalité des populations humaines au cours de son évolution. Le modèle qu'elle présente est basé sur le mouvement démographique naturel de la population qui s'englobe les niveaux de la mortalité et de la natalité.

La population Algérienne, comme, toute population du monde, a connu à son tour cette transition par une natalité et une mortalité très élevées, période qui correspond à la première phase de la transition, par une baisse de la mortalité et une natalité qui reste assez forte ou la deuxième phase et par une baisse continue de la mortalité et la natalité qui caractérise la troisième phase.

1-1-La première phase de transition démographique :

La démographie de l'Algérie coloniale était marquée par un niveau de natalité élevé en raison de l'absence de toute contraception et par une mortalité aussi élevée

Cette situation est celle désignée par les théoriciens de la transition démographique par le régime démographique naturel.

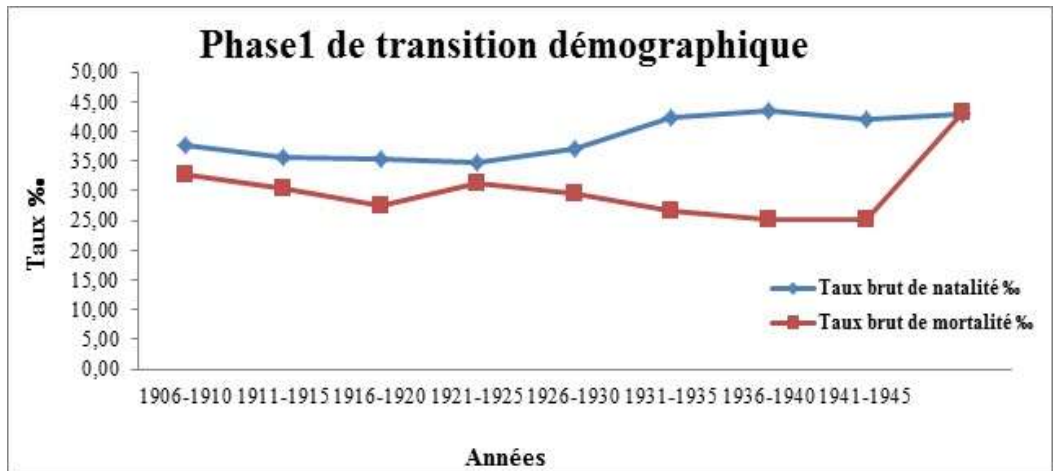
Sur le plan statistique, La période couvertes et plus particulièrement celle allant de 1901 à 1920, se caractérise par une fiabilité incertaine.

L'Algérie connaît deux phases distinctes durant la période 1901-1945:

La période entre 1901-1920 :

La situation démographique Algérienne était marquée par des niveaux assez élevées pour la natalité ainsi que la mortalité et par un taux d'accroissement naturel très faible autour de 0.50%.

Graphique N°02 : Evolution des indicateurs de la transition démographiques (Phase 1) en Algérie entre 1901-1945.



Source : ONS.

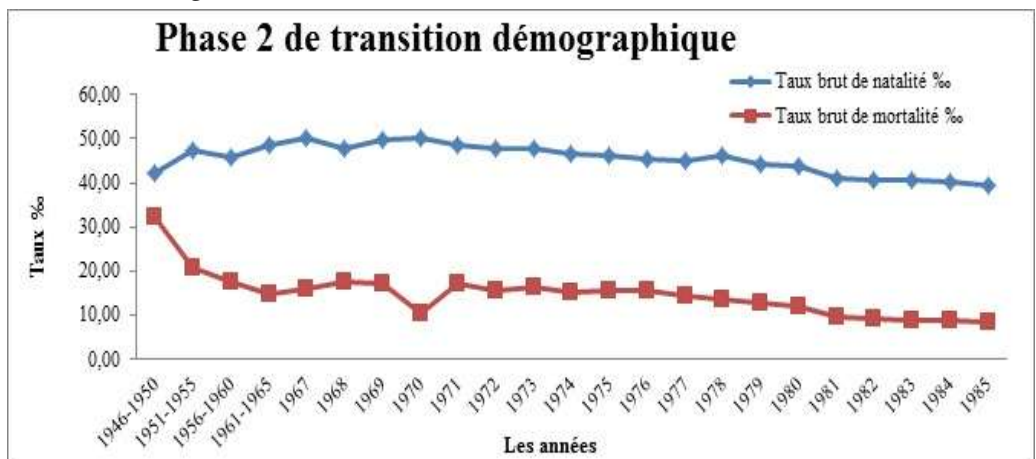
La période entre 1921-1945 :

La mortalité amorce une baisse dès 1921 alors que la natalité reste très élevée. A la fin de la seconde guerre mondiale 1940, une épidémie de choléra a ravagé le pays en coïncidant avec de longues périodes de résistances populaires (représailles du 8 mai 1945) et comme conséquence le taux brut de mortalité enregistre un pic en atteignant 43.10‰.

1-2-La deuxième phase de transition démographique :

L'équilibre du régime naturel réalisé jusqu'en 1920 se brise en 1946 à cause de la chute de taux de mortalité (il passé de 47.40‰ en 1951-1955 à 32.20‰ en 1946-1950 à 8.40 ‰ en 1985), et la variation de taux de natalité entre 39.50‰ et 50.16‰ entre 1946-1985. L'excédent naturel enregistre un taux de 1% en 1946-1950 ; il s'élève à 2.68% dans la période entre 1951-1955 et à 3.37% en 1970. Cette augmentation du taux d'accroissement est le résultat d'une natalité toujours très élevé et d'une mortalité en chute rapide.

Graphique N°03 : Evolution des indicateurs de la transition démographiques (Phase 2) en Algérie entre 1946-1985.



Source : ONS.

De la même manière que la première phase, cette seconde phase se subdivise en deux périodes distinctes :

La période entre 1946-1970 :

La natalité de cette époque est plus élevée que celle qu'à connu l'Algérie du régime démographique primitif. Le taux de natalité se situe à un niveau jamais atteint (avant l'indépendance) jusque là de 47‰ dans la période entre 1951-1955. après 1962 une période de récupération qui s'exprime par l'élévation du niveau de natalité pour atteindre un taux de 50.16 ‰ en 1970 correspondant à une fécondité naturel . Par contre la mortalité et à l'exception des fluctuations conjoncturelles (pique de 1941-1945 et pique de 1946-1950), est en baisse assez régulière. Cependant et en raison de la fécondité naturelle (la natalité très élevée) et le fléchissement de la mortalité, le taux d'accroissement **dépasse les 3% à partir de 1961-1965.**

La période entre 1971-1985 :

Celle-ci est caractérisée par une natalité supérieure à 39‰ et un taux brut de mortalité toujours en diminution mais supérieur à 12‰ jusqu'en 1980. Le taux d'accroissement qui en résulte est toujours supérieur à 3%. Celui enregistré 3.50% en 1976-1980 et sera considéré comme l'un des taux d'accroissement naturels des plus élevés du monde. La forte croissance démographique de cette période se traduit par le doublement de la population en 1982 par rapport à 1966.⁴

1-3-La troisième phase de transition démographique :

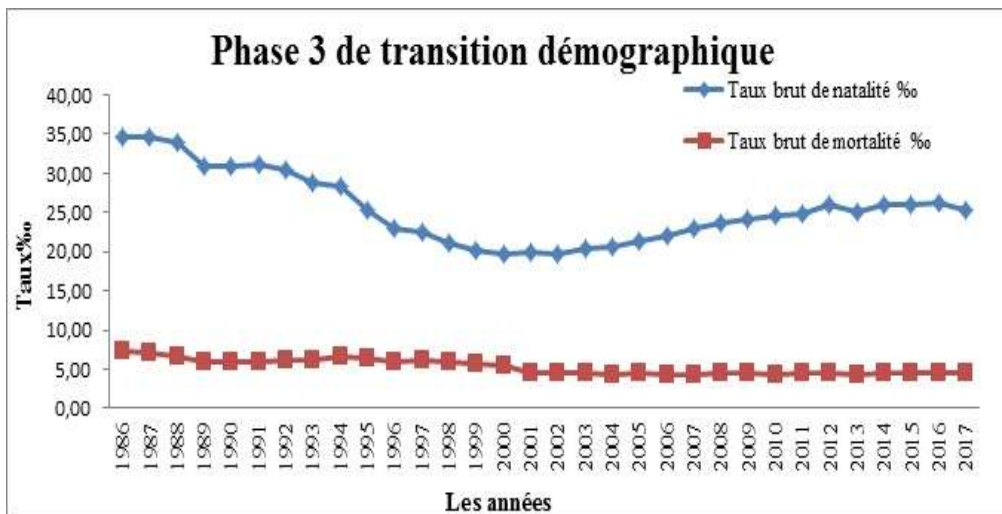
La troisième phase commence à partir des années 80 qui se caractérisent par la chute continue de la natalité jusqu'au 2002 et une décroissance continue de la mortalité ce qui provoque par conséquent un accroissement naturel faible. C'est La période ou la population Algérienne a connu leur doublement en termes de croissance démographique (Le taux d'accroissement naturel est noté 2.74% en 1986).

Cette seconde phase se subdivise en deux périodes :

La période entre 1986-2002 :

C'est Durant cette période l'Algérie lance un vaste programme de maîtrise de la croissance démographique basé sur la prévention sanitaire, la vaccination massive et la prévention maternelle et infantile.

Graphique N°04 : Evolution des indicateurs de la transition démographiques (Phase 3) en Algérie entre 1986-2017.



Source : ONS.

Les progrès sanitaires de la population sont à l'origine de la baisse de la mortalité. L'amélioration de l'hygiène et de l'alimentation (disparition des famines et rations alimentaires plus équilibrées) et un plus grand accès aux soins médicaux entraînent un recul du nombre de décès. Les maladies infectieuses reculent. Elles ne sont plus la cause principale des décès

La baisse spectaculaire de la mortalité infantile, en plus des résultats obtenus grâce aux différentes réalisations d'infrastructures sanitaires, est sans doute le facteur primordial de la baisse de la mortalité générale. La mortalité infantile passe de 70.71‰ en 1986 à 39.15‰ en 2002 et la mortalité générale de 7.34‰ à 4.41‰ durant la même période.

Le programme national de maîtrise de la croissance démographique (PNMCD) a donné également des résultats non négligeables aussi sur le plan de la sensibilisation des femmes en âge de procréer que sur celui de l'usage des moyens contraceptifs.

La période entre 2003-2017: (l'année limite de notre recherche : 2017)

Cette période était marquée par une légère reprise pour le taux brut de natalité à partir de 2003. Ce revirement de la situation est probablement le résultat de l'augmentation de la population féminine en âge de procréer et le renforcement de l'intensité du mariage (la fin de période des décennies noir, été marquée par l'augmentation des prix de pétrole). Le taux brut de natalité qui était 19.68‰ en 2002 augmente à 24.07‰ en 2009 à 25.93‰ en 2014. Le taux brut de mortalité ne dépasse pas les 4‰ (résultat des progrès sanitaire). Le taux d'accroissement naturel s'élève de 1.85% en 2003 à 2.09% en 2017 à cause de niveau de natalité et mortalité enregistré dans ces années.

2-La transition épidémiologique :

Marquée par l'éradication des maladies transmissibles ou presque, et l'émergence des maladies chroniques qui touchent près de 60% de la population selon le ministère de la santé, de la population et de la réforme hospitalière (MSPRH).

2-1- Les maladies transmissibles :

On distingue 5 catégories de maladies :

Les maladies à transmission hydrique (MTH) :

Jusqu'à 1990, les maladies à transmission hydrique occupaient la première place parmi les maladies à déclaration obligatoire en Algérie, elles étaient à l'origine de 25% des causes des décès des enfants âgés de 1 à 14 ans.⁵

Aujourd'hui, les MTH semblent être maîtrisées, grâce à l'amélioration des conditions de l'habitat en conséquence aux nombreux programmes nationaux de construction de logement ayant réduit le taux d'occupation par logement passant de 7,1 personnes par logements en 1998 à 4,8 personnes par logements en 2012. De plus, 85% de la population boit de l'eau potable⁶ et 95% de la population à accès à des installations d'assainissement améliorées.⁷

Les maladies bénéficiant de programme élargi de vaccination (MPEV) :

La vaccination des maladies suivantes : la tuberculose, la diphtérie, le tétanos, la coqueluche, la poliomyélite et la méningite ; est rendue obligatoire et gratuite depuis 1968 avec le décret 69-88, du 19/06/1969. Quant à la rougeole, elle a été intégrée au programme de vaccination national obligatoire en 1985, ce qui explique justement la baisse consécutive de l'épidémie de rougeole en 1985 par rapport à 1984.

Les maladies à transmission vectorielle : L'incidence du paludisme est très faible, les quelques cas encore recensés, sont à plus de 90% des cas importés des pays africains frontalière

Les zoonoses :

Les zoonoses en Algérie enregistrent encore des taux alarmants. D'autant plus qu'il s'agit de maladies qui laissent des séquelles graves sur l'homme. Les principales persistant encore sont:

- La rage,
- La brucellose,
- La leishmaniose

Les maladies sexuellement transmissibles :

En Algérie, la seule maladie sexuellement transmissible faisant l'objet de déclaration obligatoire est le sida, ce qui justifier l'absence de données statistiques pour les autres types d'infections sexuellement transmissibles. Le dépistage et la déclaration du sida est rendue obligatoire avec l'arrêté ministériel du 24 mai 1998.

Les statistiques récentes sur le sida en Algérie, révélés par l'Institut Pasteur, révèlent 81 nouveaux cas en 2014, parmi eux 14 cas sont âgés de moins de 30 ans, soit près de 17%. Bien que le phénomène reste encore marginal, il doit requérir une grande vigilance vu son impact social et la vitesse de sa propagation si jamais il venait à s'inviter dans le paysage épidémiologique du pays.⁸

2-2-Les maladies chroniques :

Les maladies non transmissibles ont été responsables de 68% des décès dans le monde en 2012, dont les principales sont les maladies cardio-vasculaires, les cancers, le diabète et les pneumopathies chroniques.

L'Algérie, comme beaucoup d'autres pays au monde, enregistre une croissance continue des maladies chroniques, dont les principales sont l'Hypertension artérielle (HTA), le Diabète, l'Asthme, les maladies articulaires, les maladies cardiovasculaires et le cancer. En 2012, parmi la population de 15 ans et plus, 14% sont atteints d'une de ces maladies contre 10,5% en 2006. Ce sont les femmes qui sont les plus affectées par les maladies chroniques (17% contre 11% pour les hommes) et les personnes vivant en milieu urbain (15% contre 12% pour la population rurale).⁹

Par espace de programmation territoriale, les prévalences les plus élevées sont enregistrées dans le Nord du pays, avec 15% dans chacune des régions Nord-centre et Nord Ouest, par contre le Sud enregistre une prévalence de 11%. Bien que ces prévalences augmentent avec l'âge, il ne demeure pas moins qu'elles touchent 2,6% des jeunes de 15-24 ans et 4% chez les personnes âgées entre 25-39 ans, alors qu'elle atteignent 31% chez les 50-59 ans et 49% chez 60-69 ans.¹⁰

3-L'espérance de vie :

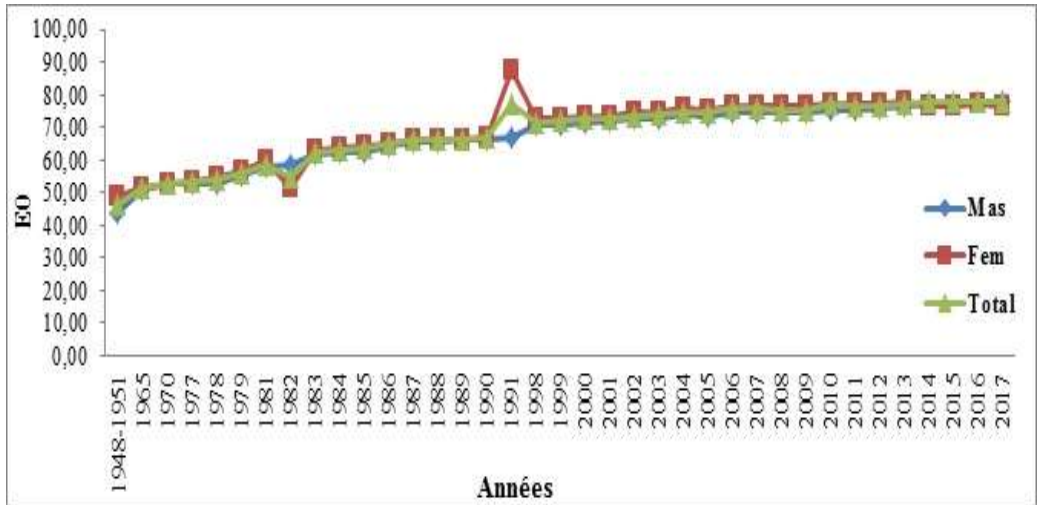
C'est la valeur moyenne de la distribution des décès ou la somme des années vécues par l'ensemble des individus de la génération divisées par l'effectif de cette génération. En d'autre terme, c'est le calcul du temps que peuvent espérer vivre les individus à un âge X ou à la naissance.¹¹

Le recul de la mortalité, en particulier la mortalité infantile, enregistré depuis cinquante ans, s'est traduit par un gain considérable en espérance de vie à la naissance puis aux différents âges de la vie. L'espérance de vie à la naissance est aujourd'hui supérieure à 76 ans. L'évolution positive de l'espérance de vie à la naissance est également à inscrire à l'indicatif des progrès de la science et

l'amélioration des conditions de vie dont résulte une mortalité remarquablement faible.

L'espérance de vie à la naissance est passée de 52.79 ans en 1965 à 77.60 ans en 2017 enregistrant une amélioration de 24.81ans. Par sexe, les femmes Algériennes, leur espérance de vie s'allonger de 25.43 ans contre 26.65 ans pour les hommes Algériens.

Graphique N°05 : Evolution de l'espérance de vie à la naissance en Algérie entre 1948-2017.



Source : ONS.

En Algérie, l'espérance de vie à la naissance en bonne santé pour les deux sexes, telle que révélée par les statistiques sanitaires mondiales, fait perdre 10 ans d'âge à l'espérance de vie à la naissance, pour diverses causes d'incapacités. Cet écart est extrêmement important pour une population dont la structure est jeune.

Les années de vie perdues pour cause d'un mauvais état de santé en 2012, sont dues essentiellement aux maladies non transmissibles (MNT : 63%), maladies transmissibles 24,5% et aux traumatismes 12,3%. Afin de lutter contre les MNT, un programme d'Appui au Secteur de la Santé (PASS), financé par l'Union Européenne dans le cadre des Instruments Européens de Voisinage et de Partenariat, a été mis en œuvre depuis 2012, à la faveur duquel un plan stratégique quinquennal 2014-2018 a été lancé en décembre 2013. Ce dernier se fixe comme axes prioritaires, la promotion de l'alimentation saine, la promotion de l'activité physique et la lutte contre le tabac.¹²

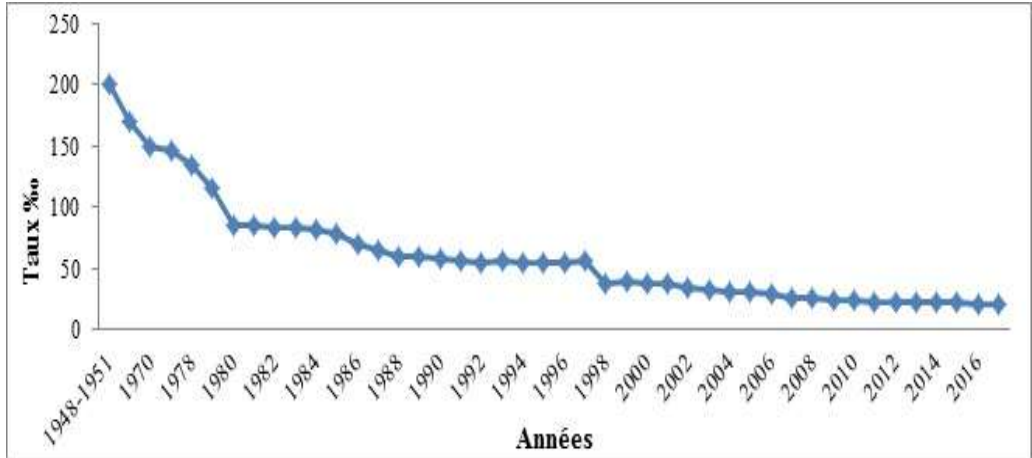
4-La mortalité infantile:

Le niveau de mortalité infantile est considéré comme un meilleur indicateur du niveau de développement d'une population. Il constitue en effet un des paramètres essentiels des composantes de l'indice de développement humain que l'organisation des notions unies a élaboré annuellement.

Son évolution renseigne sur les efforts consentis dans le domaine de la santé maternelle et infantile et permet de ce fait d'apprécier le degré de réussite ou échec des politiques et programmes mis en œuvre en matière.

L'évolution de la série des taux de mortalité infantile à travers les statistiques révèle une baisse remarquable sur la période allant de 1948 à 2014. Les taux enregistrés durant les deux années extrêmes sont 200‰ et 22‰ respectivement, Un recule de 180 point. Ce taux est, cependant, reste très élevé jusqu'à la fin des années soixante dix ou il a dépassé les 100‰.

Graphique N°06: Evolution du taux de mortalité infantile en Algérie entre 1948-2017.



Source : ONS.

Le taux de mortalité infantile (TMI) continue son recul estimé à 0,4 point entre 2013 et 2014, pour atteindre 22‰ (23.50‰ auprès des garçons et 20.40‰ auprès des filles). Cette baisse peut être considérée assez modeste comparativement au rythme enregistré par le passé. Notons que le taux de mortalité infantile a décliné de 35.80 point en 2014 par rapport au niveau enregistré en 1990. En revanche, pour l'année 2014 le volume des décès infantiles a régressé de 38% par rapport au niveau observé en 1990, alors que les naissances vivantes ont connu une hausse de plus de 30%. Le TMI enregistre un taux de 21‰ en 2017.

En matière de santé de l'enfant, la mortalité néonatale pour la période (1985-2012) reste assez élevée, bien qu'elle ait enregistré une baisse significative de 8 points, passant de 24‰ pour la période 1985-1989 à 15,7‰ pour la période

2008-2012, tout en renforçant sa part dans les décès infantiles (de 47% en 1985-1989 à 65,7% en 2000-2002 puis à 73,4% entre 2008 et 2012).

L'Algérie accorde une attention particulière au secteur de la santé pour l'amélioration de la condition sanitaire de la population en générale et à la femme et de l'enfant en particulier. Des infrastructures sanitaire et notamment les centres de protection maternelle et infantile ont été installés à travers l'ensemble du territoire national pour les consultations médicales, l'orientation des cas de grossesses difficiles vers les centre de soins spécialisés, la protection sanitaire après l'accouchement de la femme et de l'enfant, la vaccination, et le suivi médical de l'enfant jusqu'à l'âge de six ans. La couverture vaccinale complète des enfants âgés de 12-23 mois a été de 83% en 2012. Par ailleurs, 72% des enfants l'ont reçu avant l'âge de 12 mois. Cette vaccination a été administrée pour 66% des enfants dans les Hauts-plateaux-centre, contre 89% dans le Nord-est.

5-la mortalité maternelle :

L'amélioration de la santé maternelle figure parmi les objectifs majeurs de la politique nationale de prévention et d'action sanitaire dont elle constitue l'un des Axes prioritaires d'intervention. L'initiative pour la maternité sans risque a été lancée en 1987 à Nairobi.

Malgré les progrès réalisés, la mortalité maternelle reste encore importante en Algérie. Le ministre de la Santé, de la Population et de la Réforme hospitalière, a déclaré le 12 juillet 2012 que le taux de mortalité maternelle a été d'environ 500 décès pour 100000 naissances vivantes en 1962. Selon la même source, le taux passe à près de 215 décès pour 100 000 naissances en 1981, soit une baisse de

près de 60% dans un intervalle de 19 ans. En ce qui concerne les enquêtes, la mort maternelle a été mesurée trois fois à travers les enquêtes suivantes :

Tableau 01 : Evolution du taux de mortalité maternelle pour 100000 naissances vivantes de 1962 à 2011.

Année	TMM	La source
1962	500	Ministère de la santé, de la population et de la réforme hospitalière (MSPRH)
1981	215	MSPRH
1985-1989	230	Enquête national « morbidité et mortalité infantile » Algérie, 1989
1992	215	Enquête Algérienne sur la santé de la mère et de l'enfant, 1992.
1999	117,40	Enquête nationale sur la mortalité maternelle menée en collaboration avec l'Institut National de la Santé Publique (INSP) en 1999.
2004	99,50	MSPRH
2005	96,50	MSPRH
2006	92,60	MSPRH
2007	88,90	MSPRH
2008	86,20	MSPRH
2009	81,40	MSPRH
2010	76,90	MSPRH

La première, à travers l'enquête Mortalité et Morbidité Maternelle et Infantile (MMI) en 1989 qui a donnée un taux de l'ordre de 230 décès maternels pour 100.000 naissances vivantes.

La deuxième fois en 1992, dans le cadre de l'enquête Algérienne sur la santé de la mère et de l'enfant (EASME) ; le taux fut estimé à 215 décès pour 100.000 naissances vivantes.

La troisième enquête nationale sur la mortalité maternelle, réalisée en 1999 et menée en collaboration avec l'Institut National de la Santé Publique (INSP)

donne un taux de mortalité maternelle estimé à 117 décès pour 100.000 naissances vivantes, soit une baisse de près de 50% dans un intervalle de 7 ans entre (1992-1999).

Selon le Ministère de la Santé, de la Population et de la Réforme hospitalière, l'Algérie se situe à un niveau intermédiaire avec un taux estimé en 2011 à 73,9 décès maternels pour 100 000 naissances vivantes. Cette baisse, de l'ordre de 85% en l'espace de 49 ans (1962-2011) est un fait remarquable, qui est lié à la fois à l'amélioration générale de la prise en charge de la grossesse et de l'accouchement et à la baisse de la fécondité (l'indice synthétique de fécondité ou nombre moyen d'enfants par femme qui passe d'environ 8 à 2 enfants entre 1970 et 2009).

Les décès maternels constituent à eux seuls 10% de l'ensemble des décès des femmes âgées de 15 à 49 ans en 2009, Alors qu'ils constituaient d'environ 25% au moment de la première enquête (1989).

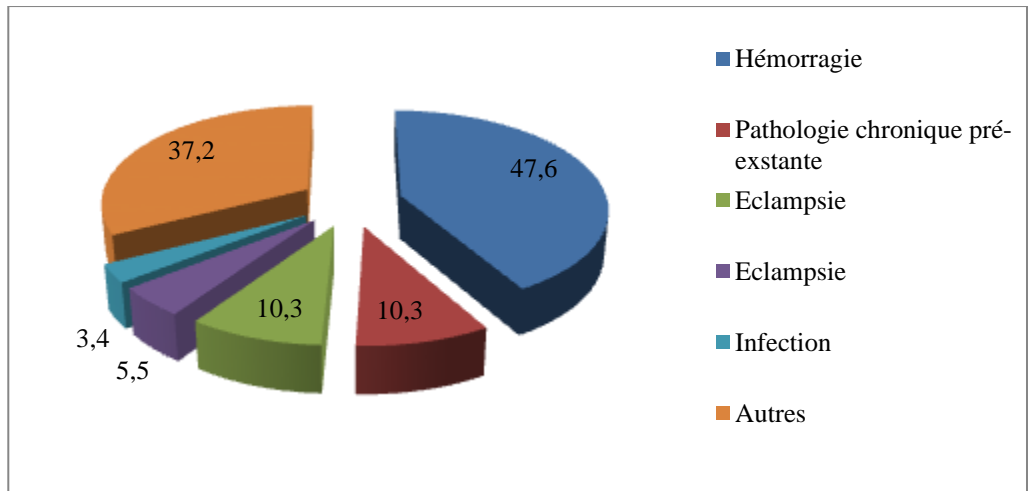
La part de la mortalité maternelle concernant les accouchements qui se produisent à domicile, n'a pas été évaluée récemment, mais son impact serait de toute manière limité sur le taux global du fait que seulement 3,5% des femmes accouchent encore à domicile.¹³

Cependant, le taux de mortalité maternelle, qui reflète la qualité d'un système de santé⁹¹, demeure anormalement élevé. En effet, selon les dernières estimations fournies par le Ministère de la Santé de la Population et de la Réforme Hospitalière, la mortalité maternelle représente 60,3 pour 100 000 naissances vivantes en 2014. Celle-ci culminait à 117,4 pour 100 000 naissances vivantes en 1999 et à 60,3 pour 100 000 naissances vivantes en 2014.

Le TMM atteint 230 à Adrar (Sud algérien) contre 30 de ces pour 100 000 naissances vivantes au niveau de la wilaya d'Alger. Les décès surviennent dans 55 % des cas à l'hôpital et dans 57,3 % après transfert. Les causes sont connues, une forte proportion des décès peut être évitée sous peine d'une qualification des personnels et une captation des parturientes à risque. Dans ce cadre, le laboratoire que nous dirigeons propose une approche basée sur l'information et le partage ou la délégation des compétences, le médecin généraliste est la pierre angulaire de cette approche communautaire basée sur la captation et à la gestion des parturientes à risque.¹⁴

a- Les causes de décès : Plusieurs causes sont associées aux décès maternels, qu'elles soient d'ordre obstétrical ou non. En 2014, l'hémorragie, avec état de choc, représente la cause principale des décès, avec une part de 48% des cas.

Graphique N°07: Pathologie liée a la cause de décès (%) au 2^{eme} semestre 2014.



Source : Rapport national sur le développement humain - Algérie, PNUD, 2015, p.83.

b- Les indicateurs de santé :**b-1-Dépistage des grossesses à risque :**

Le dépistage des grossesses à risque constitue un axe important du programme de santé. Le nombre de grossesses enregistré au niveau des PMI (femmes enceintes qui y ont effectué au moins une visite prénatale) connaît une augmentation, puisqu'il est passé de 674033 au cours de l'année 2007 à 725154 en 2009.

Près de 5% (5.3% en 2007 et 4.9% en 2009) de grossesse à risque ont été dépistées et orientées vers les centres de références pour prise en charge.

La proportion de l'association diabète et grossesse est passée de 10.70% en 2007 à 14.40% en 2009, alors que celle de l'HTA et grossesse est passée de 34.90% en 2007 à 36.70% en 2009.

La proportion des femmes enceintes présentant une grossesse à risque adressées par les PMI et prises en charge par les centres de référence a dépassé.

Tableau N°02 : Le dépistage des grossesses à risque en PMI (années 2007-2009).

INDICATEURS	Année 2007		Année 2008		Année 2009	
	Nombre	%	Nombre	%	Nombre	%
Nombre total de femmes enceintes captées dans les PMI	674033	-	712740	-	725154	-
Femmes enceintes présentant une grossesse à risque dépistée en PMI et adressés au centre de référence	35898	5.30	34929	4.90	35446	4.90

GHR dépistée en PMI et adressées au centre de référence	3832	10.70	5036	14.40	5099	14.40
- Grossesse et diabète -	12545	34.90	12678	36.30	13018	36.70
Grossesse et HTA	19521	54.40	17215	49.3	17329	48.90
-Autre facteurs de risque						

Source : contribution du gouvernement algérien à la mise en oeuvre de la résolution 15/17 du conseil des droits de l'homme du 30/09/2010, intitulés : «mortalité et morbidité maternelle évitables et droits de l'homme : suivi de la résolution 11/8 du conseil»

b-2-La couverture sanitaire :

La couverture sanitaire des femmes pour suivi prénatal est nette amélioration, reflété notamment par la proportion de la consultation prénatale (90.20%), la couverture des femmes pour vaccination antitétanique et tout particulièrement le taux d'accouchement en milieu assisté (97.90% n 2010).

Tableau N°03 : évolution des taux d'accouchement en milieu assisté

Année	1992*	2000*	2005*	2006*	2007**	2008**	2009**	2010**
Accouchement	76	91.20	94.30	95.30	95.30	97	97.20	97.90

Source : * ONS

** Données estimés par le Ministère de la santé, de la population et de la réforme hospitalière

Tableau N° 04 : évolution de la couverture sanitaire en direction de la mère et de l'enfant entre 1998et 2007.

Personnel	Ratios	
	1998	2007
Gynécologues	1/4759*	1/3692*
Pédiatres	1/18647**	1/11664**
Paramédicaux dont sages-femmes	1/339***	1/370***
	1/638*	1/1033*

Source :(*) Ratios estimés pour les femmes mariées en âge de reproduction.

(**) Ratios estimés pour les enfants de moins de 18 ans.

(***) Ratios estimés pour la population totale.

Au regard des objectifs quantitatifs retenus, le renforcement des programmes ciblant la mère et l'enfant est ancré dans le cadre globale du processus des réforme du secteur de la santé. L'amélioration escomptée en termes de renforcement de la prise en charge des soins obstétricaux a été marquée par les poursuite de la réalisation des établissements hospitalière spécialisés(EHS) mère et enfant) ainsi que l'affectation de gynécologues obstétriciens conformément au plan de gestion des ressources humaines dans le cadre du plan de développement et d'investissement du secteur à l'horizon2014 .

6-Le financement de la santé en Algérie :

Depuis l'année 2000, le pays connaît la reprise de la croissance économique grâce à la remonter des cours des hydrocarbures dans les marché internationaux et l'amélioration des recettes de l'Etat. Cette situation s'est répercutée positivement sur les ressources allouées au secteur de la santé, comme le monte l'évolution des dotations budgétaires du ministère de la santé présenté dans le tableau suivant :

Tableau N°05 : l'évolution du budget de la santé (2002-2013) en DA

Années	Budget de la santé en dinars courant
2002	58940528,4
2003	66516678
2004	76524542,4
2005	74953143,6
2006	84378331,2
2007	112263559,2
2008	155041501,2
2009	213987394,8
2010	234014205,6
2011	273431449,2
2012	28 541 263,4
2013	29 556 247,2

Source : ministère de la santé, de la population et de la réforme hospitalière : statistiques sanitaires, 2002-2011, Alger.

Comme le montre les données du ministère, les ressources consacrées au secteur de la santé se sont multipliées par plus de 5 fois au cours de cette dernière décennie grâce à l'amélioration de la situation financière du pays.

Conclusion :

Pendant longtemps la situation sanitaire en Algérie a été dominée par les maladies transmissibles. Depuis une vingtaine d'années, on assiste à une modification des problèmes de santé prévalent avec une place de plus en plus grande occupée par les maladies non transmissibles, notamment les affections chroniques (maladies cardiovasculaires, cancers, etc). Cette modification du paysage sanitaire, connue sous l'appellation de «transition épidémiologique», se

caractérise par une situation où se superposent les maladies liées à la pauvreté, et au manque d'hygiène, et celles liées au développement (stress, urbanisation, mode de vie, mode d'alimentation, etc.)¹⁵

Pour résumer la situation sanitaire en Algérie, on commence par parler sur le profil des maladies transmissibles qui a largement évolué par rapport aux années 1990 : la poliomyélite est en voie d'éradication, et le tétanos en voie d'élimination. De même, l'incidence de la rougeole, de la coqueluche et de la fièvre typhoïde a largement reculé. Aucune notification de choléra n'a été enregistrée depuis 1990. Par contre, il convient de noter la persistance de certaines zoonoses (leishmaniose, brucellose, rage) et de l'envenimation scorpionique, tout comme l'émergence, en dépit d'une sous-déclaration évidente, des toxi-infections alimentaires, le plus souvent collectives, ce qui témoigne du caractère perfectible de la gestion et du respect des conditions d'hygiène au sein des collectivités, et notamment des établissements scolaires et universitaires, ainsi que lors d'événements ponctuels, en particulier familiaux. La méningite cérébro-spinale et les hépatites (B et C) continuent d'être observées, sous forme de cas sporadiques.

En Algérie, le taux de mortalité maternelle enregistre 92,60 décès pour 100 000 naissances vivantes, en 2006, malgré le fait que 95,30% des accouchements se déroulent en milieu assisté. Les décès maternels constituent 10% de l'ensemble des décès des femmes âgées de 15 à 49 ans, les inégalités sont flagrantes.¹⁶

Une baisse remarquable de la mortalité générale qui est passée de 15,37‰ en 1967 à 4,55‰ en 2017. Ceci s'est accompagné d'une augmentation progressive de l'espérance de vie et d'une transition démographique plus

tardive dans les années quatre-vingt qui s'est manifestée par une modification de l'aspect de la pyramide des âges. La proportion des populations les plus jeunes (moins de 15 ans) a enregistré un taux de 29.70%, une augmentation pour la population adulte (les 15–59ans représentent 61,10%) et 9,10% pour la population 60 ans et plus en 2017. Cette augmentation importante pour la classe de plus de 60 ans traduit par le vieillissement progressif de la population et cela nous amène à l'augmentation du poids des maladies chroniques, que l'État doit faire face dans les années avenir.

Pour conclure, La répartition des médecins crée une inégalité d'accès aux soins entre les populations du nord et celles du sud, et entre les populations urbaines et les populations rurales. De plus il faut revoir la formation médicale, en augmentant les effectifs dans les spécialités affichant un besoin avec le changement du profil morbide de la population. Le problème du système de santé en Algérie, ni pas un manque d'infrastructures sanitaire, ni de praticiens de santé, mais plutôt un problème d'adéquation entre l'offre de soins et les besoins de soins de la population à l'ère de la transition sanitaire.

Bibliographiques :

- AÏSSA DELEND, ABDELKRIM FODIL, la transition démographique en Algérie, revue des sciences humaines, Université-Mohamed Khider Biskra N°10,2006.
- contribution du gouvernement algérien à la mise en ouvre de la résolution 15/17 du conseil des droits de l'homme du 30/09/2010, intitulés : «mortalité et morbidité maternelle évitables et droits de l'homme : suivi de la résolution 11/8 du conseil»

- Fellah L, étude exploratrice du système de prévention algérien : déterminisme et problématique, thèse de doctorat en sciences économiques, université d'Alger, 1998
- INED.
- M. Ouchtati, Sihem Mezhoud, Farid Chakib Rahmoun, OMD 5 et mortalité maternelle : confluence et sommation croisées de toutes les inégalités, Cahiers Santé Vol. 19, N° 3, juillet-août-septembre 2009.
- Ministère de la sante de la population et de la reforme hospitalière, Projection du développement du secteur de la santé : perspective décennale, 2003
- Ministère de la santé, de la population et de la réforme hospitalière : statistiques sanitaires, 2002-2011, Alger.
- OMS : statistiques sanitaires mondiales 2013, édition OMS, suisse 2013.
- Rapport national sur le développement humain, Algérie, PNUD, 2015.
- Stratégie de Coopération de l'OMS avec l'Algérie 2016-2020.
- TABET DERRAZ N F. et BESTAOUI S : épidémiologie et clinique de la brucellose humaine sur trois décennies en zone endémique, 13^{ième} journées nationales d'infectiologie, 13 – 15 /06/2012, SIDI BELABBES, Algérie
- Transition épidémiologique et système de santé, Projet TAHINA, Enquête Nationale Santé public, INSP 2005.
- <http://www.andi.dz/index.php/fr/statistique/demographie-algerienne-2017>.
- <https://www.who.int/fr/news-room/fact-sheets/detail/maternal-mortality>

Les Annuaire et les Séries statistique de l'O.N.S :

- Rétrospective statistique 1970 – 2002, Edition 2005.
- Rétrospective statistique 1962-2011, Démographie, chapitre 1.
- Rétrospective statistique 1962-2011, Emploi, chapitre 2.
- N°32 : L'Algérie en quelques chiffres, résultats 2001, Edition 2003.
- N°33 : L'Algérie en quelques chiffres, résultats 2002, Edition 2004.
- N°34 : L'Algérie en quelques chiffres, résultats 2003, Edition 2005.
- N°35 : L'Algérie en quelques chiffres, résultats 2004, Edition 2005.

- N°36 : L'Algérie en quelques chiffres, résultats 2005, Edition 2006
- N°39 : L'Algérie en quelques chiffres, résultats 2006-2008, Edition 2009.

N°44 : L'Algérie en quelques chiffres, résultat

- 1 - Stratégie de Coopération de l'OMS avec l'Algérie 2016-2020, p.10.
- 2 - <https://www.who.int/fr/news-room/fact-sheets/detail/maternal-mortality>
- 3 - INED.
- 4 - AÏSSA DELENDIA, ABDELKRIM FODI, la transition démographique en Algérie, revue des sciences humaines, Université-Mohamed Khider Biskra N°10,2006
- 5 - Fellah L, étude exploratrice du système de prévention algérien : déterminisme et problématique, thèse de doctorat en sciences économiques, université d'Alger, 1998. P.38.
- 6 - OMS : statistiques sanitaires mondiales 2013, édition OMS, suisse 2013. p.110.
- 7 - TABET DERRAZ N F. et BESTAOUI S : épidémiologie et clinique de la brucellose humaine sur trois décennies en zone endémique, 13ième journées nationales d'infectiologie, 13 – 15 /06/2012, SIDI BELABBES, Algérie, p.40.
- 8 - Rapport national sur le développement humain, Algérie, PNUD, 2015, p.95.
- 9 - Rapport national sur le développement humain, Algérie, loc.cit, p.84
- 10 - Ibid.
- 11 - INED
- 12 - Rapport national sur le développement humain - Algérie, PNUD, 2015, p.82.
- 13 - Rapport national sur le développement humain - Algérie, PNUD, 2008.
- 14 - M. Ouchtati, Sihem Mezhoud, Farid Chakib Rahmoun, OMD 5 et mortalitématernelle : confluence et sommation croisées de toutes les inégalités, Cahiers Santé Vol. 19, N° 3, juillet-août-septembre 2009, p.167.
- 15 - Ministère de la sante de la population et de la réforme hospitalière, Projection du développement du secteur de la santé : perspective décennale, 2003, p.06.
- 16 - ONS